

د. سامية مصطفى مسعد

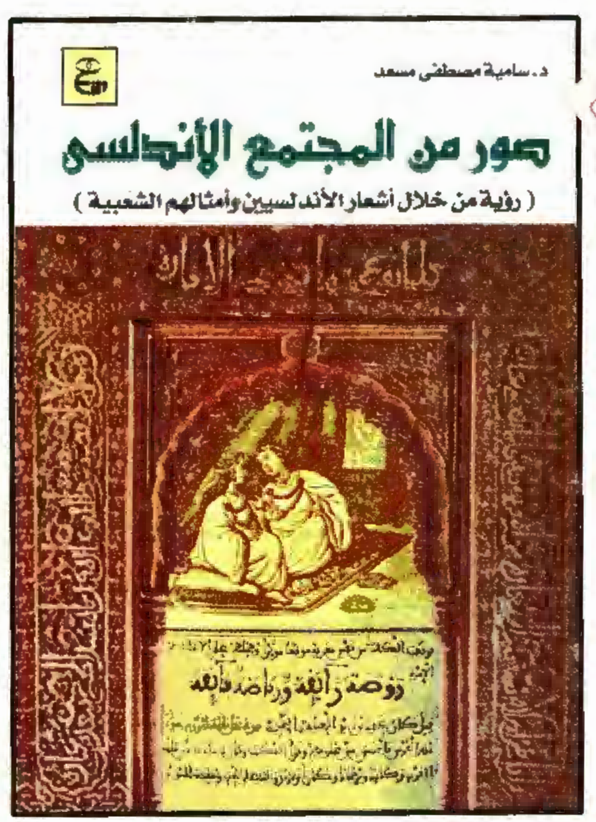
صور من المجتمع الأندلسي

(رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية)



د. سامية مصطفى مسعد
مغرب
واندلس
٢
١
٤٣









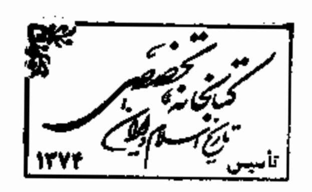
للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



صور من المجتمع الأندلسى

رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية



دكتورة / سامية مصطفى مسعد
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى
١٩٩٨م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٦ شارع يوسف فهمى - اسباتس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:ÉIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن البداية دائمًا لأى عمل يقوم به الباحث هو الاقتناع الكامل بضرورة وأهمية موضوع البحث، وإذا كان الأمر كذلك فيجدر بنا أن نلقى الضوء على موضوع له أهمية بالغة فى مجال الدراسات الأندلسية ألا وهو دراسة المجتمع الأندلسى وظواهره المختلفة وما ساد هذا المجتمع من آفات اجتماعية كانت ذات أثر بالغ على تدهور هذا المجتمع وانهياره ، ولاأقول أن هذه الآفات كانت هى السبب الوحيد ولكنها أحد الأسباب الكثيرة التى لايحتملها البحث لسعة مساحته ولكنى أتناول تلك الأسباب التى أدت إلى ضياع ملك المسلمين فى الأندلس وسأعالج فى هذا البحث دراسة المجتمع الأندلسى من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية ، ولعله من المسلم به أن الأدب وما يحويه من أشعار وأزجال وأمثال شعبية هو مصدر لايستهان به فى دراسة المجتمع وظواهره المختلفة سلبًا وإيجابًا ، فالأدب دائمًا مصدرًا لاغنى عنه فى دراسة المجتمع شأنه فى هذا شأن الفنون الأخرى وهو أقرب إلى الصدق فى التعبير عن حياة المجتمع وطبيعته واتجاهاته وتجاربه، ومن ثم كان اتجاهى فى هذا البحث أن أقدم جانبًا من آفات اجتماعية أصابت هذا المجتمع وذلك من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية ولاغرو فالأشعار والأمثال الشعبية تكون وثيقة اجتماعية أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الأصالة من غيرها . هذا وقد قسمت البحث إلى قسمين :

القسم الأول : ويتناول المجتمع الأندلسى نموه وتطوره متعرضة لدراسة عناصره وطبقاته من خلال أشعار الأندلسيين، وأمثالهم الشعبية وما صاحب هذا المجتمع من نمو وتطور وترف وأثر هذا الترف على المجتمع الأندلسى .

أما القسم الثانى : فتناولت فيه الآفات الاجتماعية التى عانى منها المجتمع الأندلسى وانغماس بعض فئاته فى الملذات كشرب الخمر وعادة التغزل فى المذكر (التشبيب) وانتشار البغاء ، ودور المرأة فى هذا التدهور الخلقى الذى ساد المجتمع الإسلامى فى الأندلس مما أدى فى النهاية إلى سقوط الأندلس وضياع ملك المسلمين فيه .

دكتورة / سامية مصطفى مسعد



المجتمع الأندلسى نموه وتطوره

لدراسة نمو المجتمع الإسلامى وتطوره لابد أن نشير إلى عناصره وطبقاته المختلفة، فنجد ضمن هذا المجتمع عدة عناصر مختلفة شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به، ومن هذه العناصر :

أولاً : العرب والوافدون :

وهم أهم العناصر التى تألف منها المجتمع الأندلسى بعد الفتح ، وقد دخل العرب الأندلس فرادى وجماعات[1] متتالية عرفت باسم الطوالع يضاف إليهم من هاجر إليها من عرب الشام والعراق ومصر[2]، هذا وقد عرفت الأندلس أربع طوالع عربية[3] استقرت فى كل ناحية فى

١- يذكر د. حسين مؤنس فى كتابه فجر الأندلس أن القبائل العربية التى دخلت الأندلس يمثل اليمنية منها حوالى اثنين وخمسين قبيلة ، بينما بلغ عدد القيسية اثنين وأربعين قبيلة، راجع : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص٣٧٠ .

٢- محمد عبد المنعم خفاجة ، قصة الأدب فى الأندلس: جـ١ ، بيروت ١٩٦٢ ، ص٨٨ .

٣- كانت أول طالعة عربية دخلت الأندلس هى طالعة موسى بن نصير وكانت تضم نحو اثنى عشر ألف من العرب فى رواية أو ثمانية عشرة ألف حسب رواية أخرى وكان بين رجال هذه الطالعة كثير من التابعين ومن شيوخ القيسية واليمنية ومواليهم من بنى أمية وبعد هذه الدفعة الكبيرة من العرب الداخلين إلى الأندلس، صارت تفد تباعًا دفعات أصغر برفقة الولاة، فقد قدم الوالى الحر بن عبد الرحمن الثقفى (١٠٠هـ-١٠٣هـ) إلى الأندلس وبصحبته أربعمائة رجل من وجوه إفريقية عرفوا بالطالعة الثانية وكان معظمهم من اليمنية وسميت هذه الجموع بالبلديون تميزاً لهم عن العرب الشاميين الذين دخلوا الأندلس فى الطالعتين الأخيرتين والتى كانت أولاهما طالعة (بلج بن بشر القشيرى) ١٢٣هـ وبلغ عددها عشرة آلاف نسمة ألفان من الموالى وثمانية آلاف من العرب، كذلك وفدت طالعة ثانية من الشاميين وكانت قليلة العدد بصحبة والى الأندلس أبو الخطار الكلبى ١٢٥هـ هذا وقد عمد الوالى أبو الخطار الكلبى وهو من اليمنية إلى تفريق الشاميين فى البلاد. فأنزل أهل دمشق البيرة وسماها دمشق وأنزل أهل حمص أشبيلية وسماها حمص وأهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الأردن رية ومالقة وسماها الأردن وأهل فلسطين شذونه وسماها فلسطين، وأهل مصر تدمير، وسماها مصر .

راجع . ابن القوطية . (أبى بكر محمد بن عمر) ، تاريخ افتتاح الأندلس : تحقيق ابراهيم الإبيارى: الطبعة الأولى١٩٨٢م، ص٣٠-٣١؛ ابن عذارى (محمد المراكشى) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب=

نواحى الأندلس وقد بين ابن حزم فى جمهرته منازل القبائل العربية فى الأندلس[٤] ، كذلك حفظ لنا كل من ابن غالب[٥] وابن الخطيب[٦] معلومات قيمة عن أنساب القبائل العربية التى سكنت الأندلس منذ الفتح .

أما المقرى فقد أضاف معلومات لاتقل قيمة وتفصيلاً [٧] عن ابن غالب وغيره ممن اهتموا بأمر العرب فى الأندلس .

وترجع أهمية وجود العرب فى الأندلس إلى أنهم كانوا أحد عناصر الفتح وولاة الأندلس وأمرائها وخلفائها فهم سادة الموقف دون منازع [٨].

ولقد كان ، للصراع القبلى بين القيسية واليمانية أثر خطير على الوجود العربى فى الأندلس[٩] ، ذلك أن السلطة العربية هناك أوشكت على الاندثار والضياع لولا أن قيض الله

= جـ٢ ، تحقيق (ج.س) كولان، ليفى بروفنسال : دار الثقافة بيروت : ص٢٥ ؛ مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم : تحقيق ونشر لافونتين مدريد ١٨٦٧، ص١٥ ، ص٤٦ وما بعدها؛ المقرى (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ١ ص٢٩- ص٢٩٥ ؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٣٥٥- ص٣٦٨ ، ص٣٧ ؛ سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى : رسالة دكتوراة : ص٧٤ - ص٨٣ : الرياض : ١٤٠٠هـ .

٤- ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد) جمهرة أنساب العرب : تحقيق عبد السلام هارون : القاهرة ١٩٧١م جـ١ ، جـ٢ فى صفحات متفرقة من الكتاب .

٥- المقرى : (أحمد بن محمد) نفح الطيب : جـ١: ص٢٩٠- ص٢٩٨ ، راجع حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس : ص٢٣١- ص٢٤٨ .

٦- ابن الخطيب (لسان الدين ابن الخطيب التلمسانى) الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ١ : تحقيق محمد عبدالله عنان : ١٩٧٣: ص١٠٢- ص١٠٣ .

٧- يقول المقرى : «واعلم أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس وتم فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها، فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان» .

راجع المقرى : نفس المصدر ، نفس الجزء والصفحات .

٨- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى : ص٧٩ وما بعدها .

٩- عن الصراع بين القيسية واليمنية فى الأندلس راجع ابن عذارى : (البيان المُغرب) جـ١ : ص٥٥ وما بعدها ، جـ٢ : ص٣٠- ص٣٨ ؛ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس صفحات متعددة ؛ مجهول : أخبار =

للأندلس الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)[١٠] الذي قوى من نفوذ العرب وأنقذ الإسلام من الزوال .

وعلى الرغم من قلة أعداد عرب الأندلس بالنسبة للعناصر الأخرى التي سكنت شبه الجزيرة الأندلسية إلا أنهم سرعان ما اختلطوا وامتزجوا مع العناصر الأخرى بعد الفتح[١١] فكان لاختلاطهم هذا أثر كبير في دخول كثير من الأسبان في الإسلام[١٢] وعلى الرغم من ضعف

= في فتح الأندلس ، تحقيق ونشر لافونتين القنطرة مدريد : ص٣١- ص٦٨ ؛ مؤنس : فجر الأندلس : ص٣٥٥- ص٣٦٥ ؛ سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: من الفتح حتى سقوط الخلافة ص١٥٣- ص١٦٧ .

R. Dozy, Histoire de los Musulmans de Espana , pp. 38-161 .

وراجع الترجمة العربية : تاريخ مسلمي أسبانيا : جـ١ : ص١٥٤- ص١٨١ .

١٠- عن عبد الرحمن بن معاوية الداخل وتأسيسه الإمارة الأموية في الأندلس راجع : ابن الآبار : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي) الحلة السيراء : جـ١ ، ص٤٥ ، وما بعدها ، تحقيق مؤنس : القاهرة ١٩٦٦؛ ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء - القسم الخاص بالأندلس: نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي ص٦٠- ص٦١ ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس : طبعة تونس ١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م، ص٤٢- ص٤٣ ؛ ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس : ص٤٥ ، ص٤٦ ؛ مجهول: أخبار مجموعة : ص٥٥ ، ص٨٨ وما بعدها ؛ عنان دولة الإسلام في الأندلس: العصر الأول : القسم الأول ص١٥٢ ؛ سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس : ص١٨٩، ص١٩٠ .

Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmagne ., Vol . I , pp. 103-104 .

Dozy, Histoire des Musulmans d'Espana ; Vol . I , pp . 211-214 .

١١- دخل العرب إلى الأندلس على شكل جيوش منظمة ولم يصحبوا معهم نساءهم فكان من الطبيعي أن يتخذوا لهم نساء من أهل البلاد ، وأن تصبح المصاهرة بينهم وبين الأسبان أمراً لابد منه ، راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص٣٢ ، ابن عذاري: البيان المغرب : جـ٢ ، ص٢٣ ، علي حسني الخربوطلي : العرب في أوروبا : ص٩٧ ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق ص٣٦٥ .

١٢- سعد عثمان : نفس المرجع : ص٧٩ ومابعدها كان أغلب الداخلين إلى الأندلس جنود شأنهم الفتح لا العلوم والثقافة ، ومع ذلك عرفت الأندلس في فترة الولاة نوعًا من الثقافة ، كان بمثابة خيوط الفجر الأولى التي تؤذن بصبح مشرق فقد دخل الأندلس في عهد الولاة عدد من الصحابة والتابعين الذين كانوا على حظ بالمعرفة الدينية، وكانوا يصحبون الجند أو يفدون بعد الفتح ، للإفتاء فيما يعن للمسلمين من أمور الدين كتقسيم الغنائم ، وتخطيط المساجد في أشبيلية وقرطبة وغيرها من البلاد، وكانت عنايتهم قبل كل شئ =

الروح العربية وضعف الانتماء العربي في الأندلس[١٣] فقد بقي للقريشين والموالي مقام الحظوة عند الأمراء والخلفاء ، فخصوا بالإقطاعات والوظائف الهامة وكان لهم دور بارز في الأحداث السياسية خلال عصري الإمارة والخلافة [١٤]، كما أن عدداً من الأسر ظلت تشغل المناصب الإدارية وقيادة الجيوش[١٥] ..

= بتدريس كتاب الله وسنة رسوله ولغة القرآن والحديث، وقد وضع ابن بشكوال كتابًا عن التابعين الداخلين إلى الأندلس بعنوان التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين وهذا الكتاب مفقود وقد نقل عنه المقري في قوله «وفي كتاب ابن بشكوال يذكر أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلاً » .

راجع المقري: نفح الطيب : جـ١ : ٢٦٩، صاعد الأندلسي : (أحمد بن صاعد الأندلسي) : طبقات الأمم ، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي: بيروت ١٩١٢م. ص٦٢ ، راجع سعد عثمان : المجتمع الأندلسي: ص٢٦ .

١٣- يقول المستشرق الفرنسي هنري بيرس في كتابه الشعر الأندلسي في عصر الطوائف أن العرب كانوا حتى منتصف القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ينقسمون إلى فرعين يتخاصمون غالبًا وهم المضرية واليمنية أو العدنانيون والقحطانيون ثم بدأوا يفقدون إحساسهم بأصولهم الشرقية القائمة على مفهوم قبيلة معينة وتخلوا تدريجيًا عن أنسابهم العريقة التي ارتبطت بوجودهم وهجروها منذ زمن طويل ما لبثوا أن اتخذوا لهم أنسابًا تذكرهم بالمكان الذي ولدوا فيه ، مدينة أو قرية أو ضيعة أو كورة وكان يوصف العربي بأنه فقيه أو قاض أو قائد أو شاعر أو وزير قبل أن يكون مخزوميًا أو قيسيًا وقد تعلق العربي بالأرض فنجد مثلاً في المقري: نفح الطيب جـ٣ ص٥٣٤ إن الأمويين الذين استقروا في رميمة في مقاطعة قرطبة قد تخلوا عن نسبهم المروانية وانتسبوا بدلا منها إلى رميمة فكان الواحد منهم يقال عنه رميمي، وإذا كان الجانب الأكبر من الشعب نسي أصوله العرقية ولم يكن يهتم كثيراً بمعرفة الأنساب ، فقد كان الأفراد على النقيض يحاولون أن يرتفعوا بأنسابهم إلى جدودهم الأولين ليبرهنوا على نقاء دمهم العربي، ولم يتردد الشعراء الذين درسوا الأنساب العربية أيام طلبهم للعلم في استخدام معارفهم والعزف على هذا الوتر الحساس : راجع المقري : جـ٣، ص٥٣٤، هنري بيرس : الشعر الأندلسي ص٨٥- ص٨٦ ، ص٢٣١ .

١٤- أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة : دمشق سنة ١٩٧٢ عن دور العرب في الحياة السياسية خلال عصري الإمارة والخلافة راجع : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص٤٥-ص٤٦ - ص٤٧ ، وما بعدها ؛ مجهول : أخبار مجموعة : ص٥٠ ص٥٥ - ص٧٧- ص٩٣ وما بعدها؛ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس .

١٥- كان العرب الشاميون في عهد الإمارة الأموية في الأندلس يقدمون على غيرهم في المناصب والأعطيات والصلات، لكنهم فقدوا تلك الميزات في عهد الخلافة . =

وكانت العصبية القبلية بين العرب ، قد ظهرت بعد استقرار العرب فى الأندلس وتجددت قصة النزاع القديم بين القيسية واليمنية فانعكس هذا الصراع على أشعار العرب فى تلك الفترة ، فوردت أبيات كتبها أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى[١٦] إذ يقول[١٧] :

أفَاتُم بنى مروان قيسًا دماءَنا ... وفى الله إن لم تُنْصفوا حكمٌ عدلٌ

كأنكم لم تشهدوا مَرجْ راهطٍ ... ولم تعلموا ؟ مَنْ كان ثَم له الفَضلُ

وقَيناكُم حَرّ الوغى بصُدورنا ... ولستْ لكُمْ خَيل تعدو ولا رجَل

فلما رأيتم وافد الحَرب قدخَبَا ... وطاب لكم منها المشاربُ والأكل

تغافلتم عنّا كأنْ لم يكن لنا ... بلاءَ وأنتمْ ما علمتُ لها فعلُ

يؤكد هذا ما ذكره ابن حيان بقوله «وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية أن أطلق بعضهم على بعض الغارات واستحلوا الحرمات وتخلقوا بأخلاق الجاهلية واتخذوا الحصون والمعاقل المنيعة فارتقوا إليها وأذلوا البسائط[١٨].

وعلى الرغم من قلة أعداد العرب بالنسبة للعناصر الأخرى فقد توالت الوفود العربية المهاجرة إلى الأندلس ولم تنقطع الهجرة العربية فى أى عصر من العصور فقد كثر دخولهم فى عصر الولاة واستمر حتى عصر المرابطين والموحدين (٤٨٤هـ- ٦٢٠هـ) وكان الوافدون من العرب ينزلون قرطبة أو يقصدون أهل قبائلهم فى النواحى [١٩].

= راجع ابن حيان «أبو مروان بن حيان القرطبى» : المقتبس فى أبناء بلد الأندلس : تحقيق محمود على مكى بيروت . ١٩٧٣ : ص١٣٧- ص١٣٨ . راجع أيضًا سعد عثمان المجتمع الإسلامى فى الأندلس .

١٦- يقول ابن عذارى : وكان أهل الأندلس قد طلبوا من صاحب إفريقية حنظلة بن صفوان عاملاً يجمع كلمتهم، إذ كانت الكلمة متفرقة والقتل ذريعًا ولا يأمنون تغلب العدو عليهم، فأرسل إليهم «أبا الخطار» هذا واجتمع على أبى الخطار أهل الشام وعرب البلد ودانت لهم الأندلس «ابن عذارى» البيان المغرب: جـ٢ ص٣٤ .

١٧- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص٢٤ .

١٨- ابن حيان : المقتبس فى أخبار الأندلس: جـ٣ : ص٥٢ طبع ملشور أنطونية: باريس: سنة ١٩٣٧ .

١٩- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص٣٦٨ .

وقد دخل الأندلس في القرن الرابع الهجرى عدد من الأمويين تأخر دخولهم إلى الأندلس إلى أيام الخليفة الناصر لدين الله (٣٢٣هـ) فأحسن إليهم وأكرم مثواهم ، وفى سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م قدم إلى الأندلس محمد بن عبد السلام بن سليمان بن عبد الله بن عبدالملك بن مروان فتقبله الناصر ووصله وأكرم وفادته [٢٠].

وكذلك وفد إلى الأندلس عدد من الأدباء والشعراء أمثال أبو على القالى ت (٣٥٦هـ) / (٩٦٦م) وصاعد البغدادى (٤١٧هـ) / (١٠٢٦م)[٢١] وغيرهم.

وقد أعتبر العرب أنفسهم أصحاب سابقة وفضل يحق لهم الحكم والاستئثار وتعيين الأمراء والخلفاء.[٢٢] فخلدوا إلى الراحة وامتلاك الأراضى والضياع[٢٣] وقد ظهر ذلك فى محاولات الاستقلال العربية ضد الدولة الأموية التى استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجرى- وهذا ما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلفاءه من بعده يفقدون الثقة فى الأسر العربية فى الأندلس ويحاولون الاعتماد على عناصر اجتماعية أخرى كالصقالبة والبربر، فأصبح العرب فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى مجرد عنصر اجتماعى سكن الكثير منهم العاصمة قرطبة لما فيها من مباهج الحياة [٢٤].

هذا وكان وجود العرب فى أرض الأندلس الجديدة باعثًا قويًا من بواعث قرض الشعر، فالتغنى بهذه الأرض الجديدة الغنية بجمالها ومياهها، وأشجارها الملتفة ، كان من الموضوعات التى تثير فى نفس العربى الحس المرهف وتطلق بخياله العنان[٢٥] ومن أمثلة قليلة وصلت إلينا تتجلى فى أبيات عبد الرحمن الداخل التى قالها فى نخلة رآها مفردة فى منية الرصافة بقرطبة يتأكد لنا هذا القول :

٢٠- ابن حيان : المقتبس : جـ٥ طبعة شماليتا : ص٤٠ .

٢١- ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام) (ت٥٤٢هـ) .

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة المجلد الأول : القسم الرابع ، ص٨ ، ص٩ .

٢٢- دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا : جـ١ ص١٥٤ ، الترجمة حسن حبشى.

٢٣- جودة الركابى: فى الأدب الأندلسى: ص٣٧ .

٢٤- إحسان عباس : تاريخ الأندلس : عصر سيادة قرطبة : دار الثقافة : بيروت : لبنان ص٢٢ .

٢٥- حكمة على الأوسى : فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة : نشر مكتبة الخانجى القاهرة ص٥١ .

تَبَدَت لنَا وَسْطَ الرُّصَافَةِ نَخْلةٌ ... تنَاءَتْ بأرضِ الغَربِ عن بَلَدِ النَّخل

فقُلتُ شَبيهي في التَغَرُبِ والنَّوىَ ... وطُولِ التَّنائي عن بُنَيَّ وعن أهلي

نَشأت بأرض فيها غَريبةً ... فَمثُلكِ في الإِقصاءِ والمُنتأى مِثلي

وقال يتشوق إلى أهله فى الشام :

أيُها الراكبُ المُيمِّم أرضًا ... أقر من بَعْضَ السلام لبَعْض[٢٦]

أنَّ جِسْما كَمَا علمَت بأرضٍ ... وفؤادى ومالكيه بأرضَ

كذلك كانت الكوارث التى تنزل بالأندلس حيث تسبب القحط الشديد، والمجاعات العظيمة المتوالية يموت فيها خلق كثير ، من البواعث القوية على قول الشاعر : من ذلك ما جاء فى قصيدة للعكى قالها (٢٧٥هـ / ٨٨٨م) حينما عم بالأندلس القحط الشديد ثم نزل الغيث واستبشروا بفضل الله، فقال فى مدح الأمير المنذر[٢٧]:

نزل الحياة المحى وطابت أنفس ... قد كان سوء الظن فيها يهجس

أحيا الإلاه عبادة ، من بعد ما ... كانت من القنط والنفوس توسوس

متلافيا فيه بعائد رحمة ... لولا عوائدها طوتنا إلا بؤس

ملك الملوك تقدست أسماؤه ... الحسنى ، وعز جلاله المتقدس

هذا ولم يكن الشعر هو مرآة مجتمع العرب فى الأندلس فقط، فالأمثال أيضًا كانت تعكس صورة الحياة بصفة عامة .

وقد وصلت إلينا بعض الأمثال الشعبية[٢٨] التى تلقى الضوء على مجتمع العرب فى الأندلس وما اتصفوا به من أخلاق وعادات تميزهم عن غيرهم من العناصر الأخرى. ومن هذه

٢٦- راجع : ابن عذارى البيان المغرب : ج٢ : ص٦٠- ص٦١ .

٢٧- ابن عذارى المصدر السابق نفس الجزء : ص١١٩ .

٢٨- كان ظهور الإسلام وانتشار اللغة العربية بعد الفتوح الإسلامية فى الأمصار المختلفة من أسباب ظهور أمثال شعبية جديدة لم تلبث أن صارت بين الناس صيرورة أمثال العرب فى الجاهلية وهكذا سرعان ما نشأ فى البيئات الإسلامية الجديدة أمثال إقليمية منتزعة من حياتها وأحداثها وتجاربها، فيما خفى فى صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين والأمويين .

الأمثال يقول ابن عاصم «من بدال يخسر العريان»[٢٩] ولعل معناه كما يذكر محمد بن شريفة في رسالته عن أمثال أبي يحيى الزجالي أن تبديل الأشياء وتغيرها يخسر العريان ويؤكل مالهم ويفهم من ذلك أن هذا المثل قيل في سذاجة البدو وقلة خبرتهم في البيع والشراء ، وميلهم إلى ابتياع الأشياء الرخيصة[٣٠] أما المثل القائل «عرب البطاح يفرم الجر بي لليهود»[٣١] فيفهم منه أنه يقصد به ما كان يحدث من صراع دامي بين القيسية واليمنية[٣٢] وبين سكان الجبال والحصون وبين سكان البطاح والبسائط [٣٣].

ثانيًا : البربر :

وإذا كان العنصر العربي لم يكن يمثل إلا جانبًا يسيراً في الشعب الأندلسي فإن البربر[٣٤] كانوا على النقيض جاءوا مع الفتح حيث تدفقت جموعهم نحو الأندلس ، واندمجت الموجات الأولى منهم مع العناصر العربية الأندلسية [٣٥].

= ولكن لم تزدهر الأمثال . الشعبية الإقليمية إلا في العصر العباسي حيث ظهر ما يسمى بأمثال العامة وأمثال المولدين وكان بعضها من المستحدث الذي اقتضته البيئة الجديدة وبعضها مما انتقل إلى العربية من تراث الشعوب الداخلة في الإسلام كالفرس والأقباط والبربر وعجم الأندلس : راجع : عبد العزيز الأهواني: أمثال العامة في الأندلس : ص٢٣٧- ص٢٣٩ ؛ محمد بن شريف : أمثال أبي يحيى الزجالي رسالة دكتوراة: غير منشورة : سنة ١٩٨٦ ، ص٩٣- ص٩٤ .

٢٩- أمثال ابن عاصم (٦٩٥) مأخوذة من أمثال أبي يحيى الزجالي محمد بن شريف : ص١٧٥ .

٣٠- محمد بن شريف : المرجع السابق : نفس الصفحة .

٣١- نفس المرجع والصفحة .

٣٢- نفس المرجع والصفحة .

٣٣- نفس المرجع والصفحة .

٣٤- يذكر ابن حزم الأندلسي أن البربر «من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة منهم إلى اليمن من حمير وبعضهم إلى بر بن قيس بن عيلان» راجع ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: تحقيق ليفي بروفنسال : طبعة دار المعارف : ص٤٦١ .

٣٥- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص٣٩٦ «كان البربر أسرع اندماجًا في البيئة الجديدة عن العرب لأنهم لم تكن لهم عصبية كالعصبية العربية ولا لغة مكتوبة تحول بينهم وبين هذا الاندماج السريع، كما أن =

وبعد الفتح اتصل تيار الهجرة البربرية إلى الأندلس بشكل مستمر . وقد استقر البربر إلى جانب العرب فى بعض نواحى الأندلس وانفردوا بأنفسهم فى نواحى أخرى [٣٦].

هذا وقد شارك البربر فى الصراع الذى اندلع بين عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) واليمنية من جهة والقيسية من جهة أخرى، فكان لمواليه من بنى الخليع[٣٧] وبنى نواس[٣٨] أكبر الأثر فى تحقيق النصر على خصمه يوسف الفهرى [٣٩]. -أمير الأندلس- وإعلان قيام الدولة الأموية فى الأندلس[٤٠] .

= كثيرا من البربر لم يعد مرة أخرى إلى إفريقية بل تزجوا من نساء أهل البلاد راجع : لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا : المكتبة التاريخية : سنة ١٩٥٨ : ص٣٢ ، حكمة على الأوسى : فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة : نشر مكتبة الخانجى : سنة ١٩٧٧: ص٣٧- ص٣٨ ،

Levi Provencal : L'Espagne Muslmane au xe Siegke, Paris: 1932 , p. 20 .

٣٦- عن أسماء القبائل البربرية وأماكن انتشارها واستقرارها فى الأندلس أنظر : عبد الواحد طه : استقرار القبائل البربرية فى الأندلس : مقال فى مجلة أوراق : العدد الرابع : ص٣٥- ص٤٨ : ص١٩٨١ .

٣٧- بنو الخليع من بربر قبيلة «مديونة» استقروا فى مدينة تاكرنا وهى كورة فى الجنوب وكانوا موالى ليزيد بن عبد الملك ولما علموا بوصول عبد الرحمن الداخل إلى رية أتوه أربعمائة فارس لمساعدته : راجع ابن حزم جمهرة أنساب العرب : جـ٢ : ص٥٠٠ ، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس : ص٤٨- ص٥٣ .

٣٨- بنو نواس : كان عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) قد استقر عندهم فى بلاد المغرب وبعث لهم مولاه بدر إلى الأندلس : راجع ابن حزم : المصدر السابق ج٢ : ص٤٩٩ ، ابن القوطية المصدر السابق ص٤٤ .

٣٩- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص٤٨- ص٤٩ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس جـ١ : ص٥١-ص٥٢ ، عنان : دولة الإسلام وآثارهم فى الأندلس فى العصر الأول قسم (١) ص١٤٥- ص١٥٨، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس : ص١٩٤- ص١٩٥ . بيروت سنة ١٩٦٥ .

٤٠- مجهول : كتاب أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، نشر دون لافونتين : القنطرة، مدريد ، سنة ١٨٦٧م، ص٨٦- ص٩٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص٤٦- ص٤٧ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس : ص٤٤- ص٥٣ ، ابن الأبار الحلة السيراء: جـ١ ص٣٥ ، مجهول من أهل القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى ذكر بلاد الأندلس تحقيق لويس مولينا طبعة مدريد ١٩٨٣ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميجل أسين ، ص٩٨، ص١٠٩ ، ص١١٤ ، المقرى: نفح الطيب جـ١ : ص٣٢٧ - ص٣٢٤ ، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) كتاب العبر وديوان =

وعندما سيطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البربر الاجتماعي واكتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فيها إلى جانب العناصر الأخرى، لكن البربر رأوا أن ذلك لايكفيهم فبدأوا يشاركون في الثورة خلال العصر الأموي، كما فعل شقيا بن عبد الواحد البربري[٤١] في شنتبريه[٤٢] والفتح بن موسى بن ذي النون ٣٠٠هـ/ ٩١٢م[٤٣] حين ثار

= المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: طبعة بيروت : سنة ١٩٦٥: جـ٤- ص١٩٠ ، عنان دولة الإسلام في الأندلس : القسم الأول : العصر الأول : ص١٩٢ .

Levi Provencal : Histoire , vol, I, p. 103-104 . Aquado Bleye: Manuel de la Historie de Espana: T., Madrid, 1947 , p. 14-420 .

٤١- زعيم هذه الثورة رجل من قبيلة كتامة البربرية يدعى شقيا بن عبد الواحد ، كان يعمل معلمًا للصبيان ، وكانت أمه تسمى بفاطمة فادعى أنه فاطمي من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الثورة راجع : النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم البكري) : نهاية الأرب في فنون الأدب : الجزء الثاني والعشرون : نشر جاسبار رامبرو ، غرناطة : ١٩١٦-١٩١٧ م : ص١٦٢- ص١٦٣ ، ابن الأثير : كتاب الكامل في التاريخ : طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ: جـ٥ : ص٦٠٥ ، عنان دولة الإسلام في الأندلس : ق١ : العصر الأول : ص١٦٤- ص١٦٥ .

٤٢- شنتبريه Santaven ، بلدة تقع شمال شرقي طليلة بالقرب من منابع نهر تاجة، يروي الحميري أن من أهم حصونها قلعة أقليش Ucles التي تقع الآن في مقاطعة كونكة "Cuenca" راجع الحميري: (أبوعبدالله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي): صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال : القاهرة (١٩٣٧) ، ص٢٨ ، ياقوت : (شهاب الدين أبو عبدالله الحموي): معجم البلدان : طبعة دار صادر بيروت ، المجلد الثالث : ص٣٦٦ .

٤٣- ينتسب بنو ذي النون إلى بني ذي النون بن سليمان بن طوربيل بن الهيثم بن اسماعيل بن السمح بن ورد بن حيقن وهم من قبيلة هوارة البربرية راجع : ابن حزم: جمهرة أنساب العرب : ص٤٦٤- ص٤٦٥ ، عن بني ذي النون وثوراتهم في عصر الدولة الأموية: راجع ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود علي مكي، ص٣٣٠- ص٣٤٢ ، تحقيق ملشور أنطونية : ص١٧ ، ١٨ ، ابن الأثير الكامل في التاريخ : جـ٥ : ص٣٧١، مجهول : مدونة من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله: نشرها وقام بدراستها وترجمتها إلى الأسبانية الأستاذان ليفي بروفنسال وغرسية غومي : ص٣٣ .

Una cronica ananima de Abd Al rahman . III. al- Nassir , Madrid, Granada1950 .

الحميري : الروض المعطار ص١٤ .

رياح(٤٤) وتحصن فيها مناديًا بنفسه أميراً عليها.

ويذكر حسين مؤنس أن حياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمشاركة فى الجهاد الذى غلب على عبد الرحمن الناصر وقد فضلت أقلية منهم السكن فى المدن وحين غلب الخليفة عبد الرحمن الناصر على أجزاء من بلاد المغرب ، فتح باب الاتصال بين المغرب والأندلس فهاجر كثير من البربر إلى الأندلس ، فاستقرت جماعات كثيرة من البربر فى أخصب نواحي الأندلس الجنوبية والشرقية والغربية ، بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون قاصرة عليهم(٤٥).

وفى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى ، بلغ البربر ذروة نفوذهم وأوج سلطانهم عندما رضى عنهم الحكم المستنصر(٤٦) وأمر باستدعائهم فأحسن قبولهم وأجزل عطاهم وغض الطرف

٤٤- قلعة رباح قلعة من أعمال جيان وهى توصف بأنها فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين وهى مسماة فى الأغلب على اسم التابعى على بن رباح اللخمى الذى اشترك فى فتح الأندلس . وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن هو الذى بنى حصنها وحصنها وحلت محل مدينة أورتو Oreto القديمة . راجع : الحميرى: نفس المصدر : ص١٦٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص١٧٧- ص١٧٨ : هامش رقم (٣) .

٤٥- راجع حسين مؤنس : ثورات البربر فى إفريقية والأندلس : ص١٩٤: حولية كلية الآداب، فجر الأندلس : ص٣٨١، عن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر تجاه البربر راجع : ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ١٩٥٦: ص٢١١-ص٢١٢ ، ابن خلدون : العبر : جـ٤ : ص٣٣ ، جـ٦ ، ص١٣٤- ص١٣٦ ، البكرى : (أبو عبدالله بن عبدالعزيز البكرى) المغربى فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب نشر دى سلان : ١٩١١: ص١٢٧-ص١٢٨ ، وما بعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ : ص٢١١ ، ص٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ - ص٢٢٣ .

٤٦- ولى الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل ابن ثمان وأربعين سنة وشهرين ويومين وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة خمسين وثلاثمائة وتوفى لليلته من صفر سنة ست وستين فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام : راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء: جـ١ : ص٢٠٠- ص٢٠٥ ، الحميرى (أبو عبدالله محمد) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس : ضمن المكتبة الأندلسية ، طبعة ١٩٦٦م. ص١٣ ، الضبى : بغية الملتمس : ص١٨ ، ابن سعيد : (المغربى) المغرب فى حلى المغرب : جـ :ص١٨٦ : تحقيق شوقى ضيف ، ابن عذارى: نفس المصدر : جـ٢ : ص١٩٢- ص١٩٣ .

عن مذاهبهم[٤٧] وبعد وفاة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٦٧م) اعتمد الحاجب المنصور ابن أبى عامر[٤٨] على البربر فى تكوين الجيش الأندلسى وتدعيمه واستجلب منهم أعداداً كبيرة حتى أصبحوا فى أواخر عصر الخلافة قوة هائلة[٤٩].

وحين عجز البربر عن تحقيق أهدافهم دعوا فى بداية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى. إلى فوضى اجتماعية فى الأندلس ، فقد عمدوا إلى المعالم الحضارية يخربونها ، وشاركوا فى تمزيق وحدة الأندلس وفرضوا سلطانهم[٥٠] على أهم المناطق الأندلسية فى الشمال

٤٧- ابن حيان : المقتبس : جـ٢ : تحقيق : الحجى : ص١٩٢- ١٩٣ ، ويذكر ابن حيان أنه اجتمع للخليفة الحكم المستنصر من فرسان البربر ما يقارب السبعمائة فارس حيث وفدت عليه قبائل زناتة ومغراوة من المغرب تعلن طاعتها وانطوائها تحت لوائه: راجع ابن حيان : المقتبس : جـ٢ ص١٧٤، ١٧٥ - ص١٩٢ ، ١٩٣ . ابن خلدون: العبر : جـ٤ : ص١٤٦ ، ابن القاضى(أحمد بن محمد) جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس : ١٣٠٩ م : ص٣١٢ .

٤٨- يرجع محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبى عامر إلى أصل من الأصول العربية وكان جده عبدالملك بن أبى عامر المعافرى أول من دخل الأندلس مع العرب الفاتحين ، ولد ابن أبى عامر فى حصن طرش الواقع على وادى يابرة حيث استقرت عائلته فى الجزيرة الخضراء وكان ابن أبى عامر طموحًا شجاعًا رفيع المواهب والخلال ، أنظر : ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام الشنترينى) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : قسم٤ مجلد١ : ص٤٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب: جـ٢ : ص٢٥٦ وما بعدها : ابن الخطيب : (لسان الدين ابن الخطيب السلمانى) الإحاطة فى أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عنان طبعة القاهرة ١٩٥٦م حـ: ص٤٧٤ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ : ص١٤٣ وما بعدها .

٤٩- ابن خلدون : العبر : جـ٦ : ص١٧٩- ١٨٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام: ص٦٣- ص٨٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب: ص٤٩٨- ص٥٠٢ ، ابن عذارى: المصدر السابق : جـ٢ : ص٢٧٩- ص٢٨٠ .

٥٠- عن دور البربر فى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس : راجع : ابن عذارى البيان المغرب : جـ٣ : ص١٠٠- ص١٢٥ وما بعدها ؛ الحميرى: (أبو عبدالله محمد بن أبى نصر فتوح ابن عبدالله الأزدى: جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس) ص١٨- ص١٩ الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦، ابن الخطيب أعمال الأعلام : ص١٢٦- ص١٣٢ ، عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : تحقيق محمد سعيد العريان ص٤٢ طبعة ١٩٦٥، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص٣٤٧- ص٣٥١ ، أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس: ص ، ابن بسام : ( ) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الأول : ص٢٥ وما بعدها .

Levi Provensal : L'Espagne Musulmane au xe . Siecle . p. 141 .

والجنوب والوسط «وعلى أيديهم كان سقوط الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة حتى أشرفت الأندلس على الهلكعة»[٥١]. ويذكر عبدالله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأموية وسقوطها أثر الفتنة البربرية التى عمت قرطبة تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس ،حيث كان لصنهاجة دور بارز فيها[٥٢].

هذا وقد بلغ دور البربر وخاصة صنهاجة ذروته مع الفتح المرابطى فأنزلوا قبائلهم فى الثغور[٥٤].

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم فأسكنوا الموحدين مدن الأندلس وثغوره، وبدأ عبد المؤمن[٥٥] بن على هذه السياسة[٥٦] وسار خلفاؤه عليها .

٥١- ابن حيان المقتبس : تحقيق الحجى : ص١٩٣ .

٥٢- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : عصر ملوك الطوائف : ص٤٤ وما بعدها .

٥٣- عنان : المرجع السابق : نفس الجزء ، ص٤٤ ، ص١١٨ ومابعدها ، إحسان عباس : الأدب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين : ص١٣- ص١٤ .

٥٤- مجهول : ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم ، تحقيق عبد القادر زمامة: مجلة البحث العلمى: الرباط : ص٥٢ عام ١٩٦٤، ١٩٦٥، الونشريشى : (أبو العباس يحيى) المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس: جـ٣ : مطبعة الشافعية بدون تاريخ : فاس : ص٣٠٦ .

٥٥- هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على الكومى (٥٢٤هـ- ٥٨٨هـ) والكومى نسبة إلى كومة أو كومية قبيلة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان ، وأمه حرة من كومية أيضًا، وكان والد عبد المؤمن بن على صانعًا فى عمل الطين يعمل منه الأوانى والجرار فيبيعها وذلك كل رزقه ، ثم كان من أمر ابنه عبد المؤمن ما كان، راجع النويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) نهاية الأرب فى فنون الأدب : جـ٢٤: تحقيق حسين نصار : المجلس الأعلى للثقافة- (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبدالله) الرباط: ١٩٧٢: ص١٨٧ ، البيذق : (أبو بكر الصنهاجى) : أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين نشر ليفى بروفنسال : ١٩٢٨ باريس : ص٢١ ، ٢٢ طبعة دار المنصور ١٩٧٢، المراكشى (عبد الواحد) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : تحقيق محمد سعيد العريان : القاهرة (١٣٣٨هـ - ١٩٦٣)

٥٦- البيذق : المصدر السابق : ص١٢٥- ١٢٧ .

أما عن علاقة البربر بالأندلسيين ، فقد بينها المقرى بقوله (عرف أهل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر فلاتجد أندلسيًا إلا مبغضًا بربريًا وبالعكس ولكن البربر[٥٧] كانوا أحرج إلى أهل الأندلس لوجود بعض الأشياء عندهم، وهم فى نظر الأندلسيين «نكد وشؤم والدماء عندهم هوان» وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا »[٥٩].

وكان دخول البربر فى الحياة المدنية فى الأندلس بصورة واسعة من الأشياء التى آلمت آلاف الأندلسيين الذين كانوا أسبق فى مجال الحياة المدنية[٦٠] ومما زاد فى هذه الفجوة بين الأندلسيين والبربر ما يسميه ابن الخطيب «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة»[٦١] كذلك يذكر المقرى (فى نفحه) نقلاً عن الحجارى[٦٢] و«أهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الأندلس» ويذكر الشقندى أنه لولا توسط ابن عباد لدى شعراء الأندلس فى مدح الأمير يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين » ما أجروا له ذكراً ولا رفعوا لملكه قدراً »[٦٣] وعرضوا بجهل الأمير يوسف بن تاشفين باللغة العربية[٦٤] ، هذا وقد أبرز الشعراء الأندلسيون تلك العداوة بين أهل الأندلس والبربر فجرت أشعارهم على لسان الأندلسيين[٦٥].

يقول السميسر فى هجاء البربر:

٥٧- المقرى : نفح الطيب : جـ١ .

٥٨- المراكشى : المعجب : ص٩٩ .

٥٩- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاثة رسائل أندلسية فى الحسبة) تحقيق ليفى بروفنسال : مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية : القاهرة ١٩٥٥ .

٦٠- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى : دار الشروق :١٩٨٣: ص٨٢ .

٦١- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٢٢٧ .

٦٢- المقرى : نفح الطيب : جـ٦ : ص١٢ .

٦٣- المقرى : المصدر السابق : جـ٣ ، ص١٩١ .

٦٤- المقرى : نفس المصدر : والجزء والصفحة .

٦٥- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف (ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية) ترجمة الطاهر أحمد مكى : ص٢٣٦- ص٢٣٧ .

رأيت آدم في نومي فقل له : أبا البرية إن اناس قد حكموا
إن البرابر نسلٌ منك ، قال إذن حواء طالقة إن كان مازعموا[٦٦]

وقال أيضًا في ذم ابن بلقين صاحب غرناطة عندما كان يبني قلعة يتحصن فيها، قال السميسر :

يبني على نفسه سفاهًا كأنه دودة الحرير[٦٧]

ومن شعر المعتمد بن عباد[٦٨] يعتذر لوالده عن هزيمته[٦٩] أمام مالقه[٧٠] يقول :

٦٦- المقري : النفح جـ٣ : ص٤١٢ .

٦٧- المقري : نفس المصدر : جـ٣ : نفس الصفحة .

٦٨- ابن عذاري : نفس المصدر : جـ٣ : ص١٧٥ ، المعتمد : الديوان ، جمع وتحقيق أحمد بدوي واحمد عبد المجيد القاهرة ١٩٥٥ ، ص٣٨ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : ج٢ : ص٥٦- ص٥٧ .

٦٩- وتفصيل ذلك الخبر يقول ابن الأبار نقلاً عن ابن بسام أن مالقة كانت تحت سلطان باديس بن حبوس صاحب غرناطة وكان أهلها يكرهون حكمه ويتمنون أن يصيروا إلى حكم المعتضد بن عباد لأنهم كانوا يكرهون أن يكونوا تحت حكم أمير البربر فانتهزوا فرصة إبعاد باديس عن غرناطة وأرسلوا للمعتضد ، فأرسل ابنيه جابر ومحمد (الذي سيخلفه ويلقب بالمعتمد) فأسرع من مالقة إلى رندة ، واستوليا على البلد إلا القصبة تحصن فيها جماعة من جند باديس السود ، وأرسلوا يستغيثون به فأرسل إليهم الإمداد ، فلما وصلت مزقت شمل قوات ابن عباد وفروا واعتصموا في رندة : راجع ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ ص٥٦ هامش رقم ١ .

٧٠- مالقة بالأسبانية "Malaga" وتقع على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس ، وكانت مالقة خلال الفترة الأولى من العصر الإسلامي في الأندلس من أعمال كورة رية وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (٣٠٠هـ- ٣٥٠هـ / ٩١٢م - ٩٦١م) زادت أهمية مالقة حيث جعلها إحدى القواعد البحرية الهامة . وفي عهد دويلات الطوائف (أوائل القرن الخامس الهجري) أصبحت مالقة من أهم مدن الأندلس المطلة على الساحل الجنوبي الشرقي، فقد اتخذها بنو حمود الأدارسة حاضرة لخلافتهم بقرطبة في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ويتدح الجغرافيون المسلمون موقع مالقة ويعددون خصائصها الجغرافية المختلفة ، فيصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة عامرة آهلة، تمتاز بالمنعة والحصانة ، ويعدد المقري مزايا مالقة بأنها جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الفواكه ، أما ابن الخطيب فيصفها بأنها «غامرة الفلاحة المخصوصة بالاعتدال »، كذلك يشير ابن غالب إلى أنها حاضرة من أعظم حواضر الأندلس ، أما الحميري فيحدثنا عن =

لم يأت عبدك ذنبًا يستحق به عتبًا وها هو وافاك يعتذر

ما الذنب إلا على قوم ذوى غل وفى لهم عهدك المعهود إذ غدروا(٧١)

هذا وقد جرت على ألسنة العامة من الأندلسيين بعض الأمثال الشعبية وهى فى مجموعها توضح كراهية العامة من الأندلسيين للبربر واحتقارهم لهم ومن هذه الأمثلة مثل يقول :

«بحال غازى لاينكرى ولايعطيك »(٧٢) ومعناه كما يذكر محمد بن شريفة أن الغازى ويقصد به (البربر) إذا استدان وطولب بأداء الدين لاينكر دينا عليه ولكنه فى الوقت نفسه لايؤديه ومن أمثالهم أيضًا :

= كثرة أسواقها الجامعة ويضيف العمرى أن مالقة تنتمى بعمل صنائع الجلد والمنسوجات والتحف الزجاجية ويذكر ابن بطوطة أن بمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب الذى يجلب منها إلى أقاصى البلاد، عن مالقة راجع ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسى) فرحة الأنفس : تحقيق لطفى عبد البديع ، معهد المخطوطات العربية جـ٢ : القاهرة ١٩٥٥ : ص٢٩٤ ، الإدريسى (محمد بن عبدالله بن إدريس بن الشريفة) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق : طبعة دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى : ١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ : ص٥٦٥ - ص٥٧٠ ، ابن الخطيب (لسان الدين ابن الخطيب) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق أحمد مختار العبادى : الاسكندرية عام ١٩٥٨ ص٦٠ ، الحميرى (محمد بن عبد المنعم الحميرى) الروض المعطار فى خبر الأقطار : تحقيق إحسان عباس : طبة بيروت ١٩٨٤: ص٥١٧ ، تحقيق ليفى بروفنسال ص١٧٨، ابن بطوطة ( ) رحلة ابن بطوطة المعروفة تحقيق على الكتانى : بيروت ١٩٨٢ ص٧٦٨ ، ابن سعيد المقرى : المغرب فى حلى المغرب : تحقيق شوقى ضيف : طبعة دار المعارف : جـ١ : ص٤٢٤ ، العمرى : (ابن فضل الله العمرى) وصف إفريقية والأندلس . من كتاب مسالك الأبصار ، نشر حسن عبد الوهاب : بدون تاريخ ، ص١٠٦- ٢٠٨ ، رجب محمد عبد الحليم : دولة بنى حمود فى مالقة بالأندلس : رسالة ماجستير غير منشورة : ١٩٧٦ ص٢٢٩- ص٢٤٧ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس : بيروت ، دون تاريخ : ص١٠٦- ٢٠٨ ، كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى) دراسة فى مظاهر العمران والحياة : مؤسسة شباب الجامعة : ١٩٩٣ : ص٥ - ص٩ .

Abd el- Aziz Salem, Centras de ceramica , Revista Awarq, madrid: 1984 , p. 228-229 .

٧١- المقرى : نفس المصدر : ج٣ : ص٤١٢ .

٧٢- عبد العزيز الأهوانى : أمثال العامة فى الأندلس (بحث مع أمثال ابن هشام اللخمى وأمثال ابن عاصم الغرناطى) - للدكتور طه حسين فى عيد ميلاده السبعين : دار المعارف : مصر ١٩٦٢ (أمثال ابن عاصم رقم ٢٦٩ ص٢٦٥- ص٢٦٦) .

«البربر والفار لاتعلم باب الدار»[٧٣] [٧٤] كذلك عبر الأندلسيين عن ضيقهم بكثرة مطالب البربر وطمعهم بهذا المثل .

«عطي للبربر شبر طلب ذراع»[٧٥].

وفي بعض الأمثال يوصف أهل دكالة[٧٦] بشهادة الزور وأهل سلا [٧٧]بالحمق فيقولون عن بربر دكالة :

«شاهد دكالة من قاع المطمورة » [٧٨].

أما أهل سلا فيقول عنهم :

٧٣- محمد بت شريفة : أمثال أبي يحيى الزجالي : ص١٧٨ .

٧٤- محمد بن شريفة : المرجع السابق : مثل الزجالي رقم ١٧٥ ص١٧٧ .

٧٥- الأهواني : أمثال العامة : ص٢٦٥ ، محمد بن شريفة : نفس المرجع زجل رقم ١٦٤٤: ص١٧٧ .

٧٦- «تبدأ مقاطعة دكالة من غرب نهر التانف وتنتهي شمالاً على المحيط جنوبي نهر العبيد غربي نهر أم الربيع ومثل هذه المنطقة مسافة أربعة أيام وطولاً يومين عرضًا تقريبًا وهي كثيرة السكان ولكن الأهالي أشرار وجهال ولانجد سوى القليل من المدن المسورة» راجع الحسن الوزان : (الحسن بن محمد الوزان الزياتي) (ليون الإفريقي) وصف إفريقية : منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٣٩٢هـ: ص١٥٧ .

٧٧- يقول الإدريسي عن سلا «وسلا الحديثة على ضفة البحر المالح منيعة من جانب البحر لايقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهة، وهي مدينة حسنة حصينة في أرض رمل لها أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج وتعرف لأهلها وسعة أموال ونمو أموال والطعام بها كثير رخيص وبها كروم وغلات وبساتين وحدائق ومزارع ومراكب أهل أشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقطعون عنها ويحطون بها بضروب البضائع وأهل أشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية » راجع : الإدريسي : نزهة المشتاق : جـ١ : ص٢٣٨- ص٢٤٦ ، ابن سعيد (محمد الصفاقسي): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار : تونس : ١٣٣١هـ : ص١٤ ، مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد : ص١٤٠- ١٤٢ ، ياقوت : (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت عبدالله الحموي الروصي البغدادي) معجم البلدان : طبع ونشر دار صادر : بيروت : جـ٣ : ص١٠٩ ، راجع الحسن الوزان : المصدر السابق : ص٢٠٩ .

٧٨- محمد بن شريفة : أمثال أبي يحيى الزجال : ص١٧٨ مثل رقم ١٢٠ .

«إذا ريت هلاوى ، إدر أنه سلاوى»[٧٩].

كذلك وصلت إلينا بعض الأمثلة إلى تناولها الأندلسيون أثناء حكم المرابطين كقولهم «طالع هابط بحل عمام فى رأس مرابط»[٨٠] والواضح أن الأندلسيين كانوا يقولونه للسخرية من البربر والمرابطين أصحاب العمائم، إذ كان لبس العمائم فى الأندلس زيًا خاصًا بالبربر[٨١]، هذا ولم يرد فى مدح البربر إلا مثل واحد وهو قولهم .

«لاحر إلا زناتى ولافرس إلا مكلاتى» [٨٢].

الصقالبة[٨٣] :

المقصود بالصقالبة فى الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التى امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتى[٨٤]، على أن كلمة صقلب "Esclave" فرنسية قديمة ومعناها عبد أو رقيق وهى التسمية التى أطلقها الجغرافيون العرب فى العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرمان والسكندناوين دأبوا على سبى تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب الأندلس ولذا أطلق عليهم اسم الصقالبة[٨٥] ثم توسع العرب فى استعمال هذا الإسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أى أمة

٧٩- محمد بن شريفة : نفس المصدر : ص١٨٠ : مثل رقم ١٠٦٢ .

٨٠- محمد بن شريفة : نفس المصدر : ص١٨٠ : مثل رقم ١٠٦٢ .

٨١- المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص.

٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨١ } : مثل رقم ١٩٨٥ .

٨٣- صقالبة جمع صقلب ويسمون كذلك بالفتيان راجع .

Levi Provencal : L'Espagane muslmane au xe Siecle. P. 54 .

٨٤- ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن على) صورة الأرض : نشر مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩: ص١٠٦ .

٨٥- كان يطلق على كل الصقالبة (الخصيان) وهذا لايزيد على كونه اصطلاح وإلا فنجد بدر بن أحمد الصقالبى وصيف الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) يوصف فى المصادر بأنه خصى مع أنه أنجب ولدين، راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء: جـ١ : ص٢٥٢ .

مسيحية واستخدموهم. وكان الصقالبة والأتراك أشهر أنواع الرقيق الأبيض فى المجتمع الإسلامى لكن الصقالبة كانوا موضع التفضيل ، فيستخدم التركى عند غيبة الصقلبى[٨٦] وكان الرقيق الأبيض من الصقالبة يتخذ طريقه الرئيسى إلى العالم الإسلامى من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونية حتى ثغر بجانة»[٨٧].

هذا وقد استخدم الأمويون فى الأندلس نوعًا من الرقيق الصقلبى هم الخصيان[٨٨] على أن احتراف تلك الصنعة (عملية الخصى) لم يكن قاصراً على اليهود وحدهم بل نرى أن المسلمين أنفسهم قد شاركوا فى هذا المضمار لاسيما فى مناطق الثغور المتصلة بفرنسا وقد تعلم (الخصى أو الخصاء) قوم من المسلمين هناك، فصاروا يخصون ويستحلون المثلة[٨٩] وقد استخدم الأمويون هؤلاء الصقالبة فى الخدمة داخل قصورهم بصفة عامة وخدمة الحريم بصفة خاصة [٩٠].

٨٦- العبادى : (أحمد مختار) الصقالبة فى أسبانيا ، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية : ص٧ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (عصر النهضة فى الإسلام) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة : الناشر دار الكتاب العربى : المجلد الأول : ص٣٠٠ .

٨٧- ثغر بجانة "Pechina" بفتح الباء بعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون ، مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيرة ، خربت وانتقل أهلها إلى المرية وبينها وبين المرية فرسخان «الفرسخ = ١٦ ك. م » ويقول الحميرى أن الميرة كانت تجلب إليها من بر العدوة بضروب المرافق والتجارات» وكانت بجانة مركزاً لتجارة العبيد الواردين من أوروبا ، حيث يستخدمون كبحارة ، كما تم تأهيلهم، أو إجراء عملية الخصاء لهم وكان يقوم بتلك المهمة جماعات من اليهود » عن بجانة راجع ياقوت : معجم البلدان : جـ١ : ص٣٣٩ ، الحميرى : الروض المعطار : ص٣٧ ، أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى : دمشق، ١٩٧٤ ، ص٢٣٥ .

٨٨- كانت عملية الخصاء عملية خطرة قد يذهب ضحيتها العديد من الأفراد مما جعل ثمن الخصيان مرتفع بلغ فى بيزنطة أربعة أضعاف ثمن الفحول : راجع أحمد بدر : المرجع السابق : ص٢٣٥ ، سعد عثمان: المجتمع الإسلامى فى الأندلس : ص٩٣ .

٨٩- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص١٤٠ : طبعة ١٩٤٩ : ، سعد عثمان : ص٩٤، راجع ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع : المجلد الأول ، القاهرة: ١٣٦٤- ١٩٤٥ : ص٣٤- ص٣٤ وما بعدها .

٩٠- راجع : ابن الأبار: الحلة السيراء : جـ١ ص٢٥٢- ص٢٥٣ ويطلق عليهم ابن عذارى اسم العلوج =

وكان الحكم بن هشام (الربضى)[٩١] - (١٨٠هـ- ٢٠٦هـ) قد أعلا قدرهم عندما اتخذ منهم حرسه الخاص[٩٢] .

وقد أخذ عدد الصقالبة يزداد فبلغوا فى القرن الرابع الهجرى فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٩٥٠ صقليبًا بمدينة الزهراء[٩٣] ثم ارتفع هذا العدد حتى بلغ ١٣٧٥٠ من الرجال و٦٣٥٠ من النساء[٩٤].

ولم يكن استخدام الصقالبة قاصراً على الخلفاء والأمراء فقط، فقد استكثر الأثرياء من الصقالبة وذلك بقدر زيادة ثرواتهم [٩٥]هذا وقد جاء أكثر الصقالبة أطفالاً من الجنسين إلى

= ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٣ : ص١٦٢ كما ترد تسميتهم بالخرس لعجميتهم وبالمماليك : المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص ، راجع أيضًا : العبادى : الصقالبة فى أسبانيا : ص٩ .

٩١- تولى الحكم بعد وفاة والده الأمير هشام بن عبد الرحمن وله اثنان وعشرون سنة يكنى أبا العاصى، وأمه أم ولد اسمها زخرف وهو أول من جند الأجناد وأخذ العدة وكان فحل بنى أمية بالأندلس وأشدهم إقداماً ونجدة وكان يشبه بأبى جعفر المنصور فى شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الأعداء : راجع الحميرى : جذوة المقتبس : ص١٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص٦٨- ص٧١ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٤- ص٧١ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : ج١ : ص٤٣- ص٤٤ وما بعدها ، المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٣٤٠ .

٩٢- يسميهم الخُرس لعجميتهم : راجع ، المقرى : المصدر السابق : جـ١ ص٣٤١- ص٣٤٢ ، يقول ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب : جـ١ ص٣٩ وهو أول من استكثر من الحشم والخدم، وارتبط الخيول على بابه ، فناوأ جبابرة الملوك فى أحواله ، وبلغ مماليكه خمسة آلاف. ثلاثة آلاف منهم فرسان وهم الخُرس سموا بذلك لعجميتهم .

٩٣- مدينة فى غربى قرطبة ، بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد بينها وبين قرطبة خمسة أميال : راجع ابن عذارى : المصدر السابق : جـ٢ : ص٣٢١- ٣٣٣ ، الحميرى : الروض المعطار : ص٩٥ ، المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٥٢٣ .

٩٤- المقرى : نفس المصدر : جـ٢ : ص١٠٢- ص١٠٣ ، العبادى : الصقالبة فى أسبانيا : ص١١ .

٩٥- صلاح خالص : أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى : ص٧٢ ، العبادى: الصقالبة فى أسبانيا : ص١١ .

الأندلس حيث ربوا تربية إسلامية ودربوا على أعمال القصر[٩٦] وعلى الرغم من أن الصقالبة لم يذوبوا فى المجتمع الأندلسى مثل العرب والبربر فقد استطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية فى المجتمع الأندلسى[٩٧] فكان منهم فى عهد الناصر قائد الجيش الأعلى نجدة[٩٨] الصقلبى أفلح[٩٩] صاحب الخيل ودرى[١٠٠] صاحب الشرطة وياسر وتمام صاحب النظر على الخاص [١٠١]. وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر زاد نفوذ الصقالبة [١٠٢]، فكان منهم قائد حروبه غالب[١٠٣] ابن عبد الرحمن والمسيطر على أموره

٩٦- محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : القسم الثانى : العصر الأول : ص٤٥٠ .

٩٧- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ : ص٢٥٨ ، وجودة الركابى : فى الأدب الأندلسى : ص٣٩ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول القسم الثانى .

٩٨- تولى نجدة قيادة الحملة التى وجهها الخليفة الناصر إلى ملك ليون ٣٢٧ هـ، كما تولى قند حكم طليطلة ٣٦٦هـ، عن قيادة نجدة للحملة الموجهة ضد ملك ليون وهزيمة جند الناصر وتخاذل العرب فى تلك المعركة راجع : مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما : تحقيق ونشر لافونتين : القنطرة مدريد : ص١٥٥ وما بعدها .

٩٩- رحل إلى المشرق سمع بمكة من ابن سعيد الأعرابى، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس : ترجمة رقم (٢٦٢) ، ص٨٣ ، ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى: ص٣٠- ص٤٧ .

١٠٠- درى الصقلبى مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر رحل إلى المشرق أيضًا وسمع بمكة من ابن سعيد الأعرابى وحدث وكتب عنه . ابن الفرضى، المصدر السابق: ترجمة ٤٣٣، ص١٤٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص١٩٤ ، ابن حيان : المقتبس تحقيق الحجى : ص٢٥ ، ص٢٦ ، ص١٠٣ ، ص١٢٨ .

١٠١- ابن حيان : المقتبس: تحقيق الحجى : ص٩٢ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس: ص٤٥٠ .

١٠٢- وصل نفوذ الصقالبة إلى منتهاه فى دولة الحكم المستنصر فقد أخفوا موته وحاولوا تعيين خليفة جديد يتفق مع رغباتهم وأهوائهم والتخلى عن صاحب الحق فى ذلك وهو هشام المؤيد ابن الحكم لكن لم يتم ذلك وكان سببًا فى إقصائهم : راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٦٠، ص٦١ ، العبادى : نفس المرجع : ص١٦-- ص١٧ .

١٠٣- هو غالب بن عبد الرحمن الناصرى : أحد أمراء البحر ومولى الخليفة عبد الرحمن الناصر، أضحى أيام الخليفة الحكم المستنصر من كبار رجال الدولة ثم صار حاكم الثغر الأعلى وصاحب مدينة سالم وأراد المنصور ابن أبى عامر أن يألفه ليستعين به فى حروبه . وكان غالب من فرسان الأندلس العظام فتزوج ابنة =

فائق [١٠٤] وجوذر[١٠٥] وقد أثار ذلك نقمة المنصور ابن أبى عامر[١٠٦] الذى بدأ نجمه يتألق بوفاة الخليفة الحكم المستنصر وإسناد الأمر إليه وذلك بالإشراف على رعاية الخليفة الطفل هشام بن الحكم[١٠٧] «المؤيد» وقد كانت الفرصة سانحة لابن أبى عامر الذى قضى على نفوذ الصقالبة[١٠٨] وأجبرهم على أن يلزموا منازلهم ، فشتت شملهم[١٠٩] وكانت بداية عهده بداية نكسة الصقالبة [١١٠].

= غالب وتدعى أسماء وسرعان مادب الخلاف بين المنصور وغالب وانتهى بمعركة حربية قتل فيها غالب ٣٧١هـ- ٩٧١م، راجع ابن حيان : المقتبس تحقيق الحجى : ص٢٤ هامش رقم ٣، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٦٢- ص٦٥ ، عنان : دولة الإسلام على الأندلس : قسم ٢ العصر الأول : ص٧٨٦ .

Levi Provencul : Historia de Espana Musulmana , p.416 Dozy : Spanish Islam p. 494 .

١٠٤- هو فائق الفتى الكبير الصقلبى : صاحب البرد والطراز فى خلافة الخليفة الحكم المستنصر ، راجع ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى، ص٦٣ : ٦٦ : ٧٧ ، ص٢١٩ ، ٢١٢ .

١٠٥- هو جوذر صاحب الصاغة والبياذرة فى دولة الخليفة الحكم المستنصر ، ابن عذارى : البيان المغرب: جـ٢ : ص٢٥٩ ، ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى: ص١١٩- ص٢١٢ .

١٠٦- يرجع محمد بن محمد بن عبد الله بن أبى عاو إلى أصل من الأصول العربية، وكان جده عبدالملك بن أبى عاو المعافرى أول من دخل الأندلس مع العرب الفاتحين ، ولابن أبى عاو فى حصن طرش الواقع على وادى يابرة حيث استقرت عائلته فى الجزيرة الخضراء وكان ابن أبى عامر طموحًا وشجاعًا رفيع المواهب : عن أخبار ابن أبى عامر : راجع ابن بسام : الذخيرة : مجلد ١ قسم ٤ ص٣٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : ص٤٧٤ طبعة القاهرة : سنة ١٩٥٦ ، راجع أيضًا أخبار المنصور بن أبى عامر فى بن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ : ص٢١٥ ، ص٢١٦ ، ص٢١٩ ، ص٢٢٠ ، ص٢٢٦ ، ص٢٢٧ ، ص٢٣٩ ، ص٢٥٨ ، ص٣٣ ، ص٥٠ ، ص١٣٥ ، ص١٨١ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص٢٥١ ، ص٢٨٤ .

١٠٧- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص٢٥١ ، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس : ص٩٧ .

١٠٨- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون) العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر : طبعة سنة ١٩٧١: جـ٤ : ص١٤٧ .

١٠٩- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : المجلد الأول القسم الرابع : ص٤٤ .

١١٠- ابن بسام : المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

لكنه في النهاية رأى حاجته ملحة إلى استخدام الصقالبة الذين عرفوا بالصقالبة العامريين[١١١]، فكان له منهم خلانًا وندماء[١١٢] وفي عهد ولده عبد الملك المظفر[١١٣] زادت أهمية الصقالبة وارتفعت مكانتهم ، فبلغ عدد فتيانه ستة وعشرون ، فضاعف مؤنتهم أضعافًا كثيرة[١١٤].

هذا وقد كان للصقالبة دور بارز وقديم في هدم صرح المجتمع الإسلامي الأندلسي في القرن الرابع الهجري[١١٥] حين بدأوا بمحاولة خلع هشام المؤيد وتحويل الخلافة إلى المغيرة بن عبد الرحمن الناصر[١١٦] ولم يتوان الصقالبة في محاولة السيطرة على الحكم حيث تصارع على الخلافة كل من المهدي[١١٧] والمستعين بالله[١١٨] ، فتعصب الصقالبة وعلى رأسهم الفتى

١١١- ابن بسام : نفس المصدر والصفحة : ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب : جـ١ : ص١٩٩- ص٢٠٠، العبادي : نفس المرجع : ص١٤ .

١١٢- كان من ندماء ابن أبي عامر فتى يسمى «فاتنا» «لانظير له في علم كلام العرب وكل ما يتعلق بالأدب ، واسع المعرفة فصيح اللسان حاضر الجواب إلى عفاف طعمه ونزاهة نفس وجمال صورة وكان ممن تتباهى الملوك بخدمه وتستريح إلى حلمه »، ابن بسام : نفس المصدر والجزء ، ص٣٤ .

١١٣- هو أبو مروان المظفر بالله بن المنصور بن أبي عامر المعافري ولي بعد وفاة أبيه يوم الاثنين لثلاث بقين من رمضان المعظم سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة ولقب بالمظفر وسيف الدولة ، عنه راجع : ابن عذاري : نفس المصدر : جـ٣ : ص٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٨٠- ص٨١ .

١١٤- ابن الخطيب : المصدر السابق : ص١٠٣- ١٠٤ .

١١٥- سعد عثمان : نفس المرجع : ص٩٩ .

١١٦- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٦٠- ص٦١ .

١١٧- وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لقبه المهدي كنيته أبو الوليد، أمه أم ولد ، ولقد لقب نفسه بالمهدي ولقبته العامة المنقش لطيشه وخفته، راجع ابن عذاري: البيان المغرب : جـ٣ : ص٥٠ .

١١٨- هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر كنيته أبو أيوب لقبه المستعين بالله أمه أم ولد رومية ولي الخلافة مرتين يوم الثلاثاء السابع عشر لربيع الأول المذكور من أربعمائة ثاني يوم فرار المهدي وانخلع يوم الأحد الثاني عشر لشوال من السنة فكانت دولته الأولى سبعة أشهر والثانية من يوم خلعه هشام بن الحكم إلى يوم قتله ثلاث وقتل مع أخيه عبد الرحمن وأبيهما بيد علي بن حمود العلوي : راجع ابن عذاري : المصدر السابق : جـ٣ : ص٩٢ .

واضح ، على أمل تقلد منصب الحجابة والاستبداد بأمور الدولة دون الخليفة ، بينما تعصب (البربر للمستعين بالله، ولكي يحقق واضح أمنيته، طلب المساعدة من كونت برشلونة وذلك لنصرة الخليفة المهدى ضد المستعين بالله، فوافق مقابل شروط مجحفة) [(١١٩)].

وهكذا نرى أن الصقالبة شأنهم شأن العرب والبربر حاولوا تحقيق أطماعهم على حساب أمن الخلافة واستقرارها .

ولما سقطت الدولة الأموية انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة عرفت باسم دويلات الطوائف[(١٢٠)] استأثر الصقالبة بشرق الأندلس وأنشأوا فيه الممالك فكان في بلنسية[(١٢١)]

١١٩- ابن عذارى : المصدر السابق : جـ٣ ص٩٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص١١٤ .

١٢٠- اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بعصر الفتنة أو عصر ملوك الطوائف، أو عصر الفرق ، كذلك أطلقوا على مؤسسي هذه الدويلات أمراء الفرقة الهمل ، أو زعماء الفتنة راجع ابن بلقين : التبيان المعروف بمذكرات الأمير عبدالله ، ص٥٦ ، ص٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٣ : ص١٩٤ ، ص٢١٥، ص٢٥٤ ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الثالث الجزء الأول : ص٢٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ١٨٣- ص٢٢٤ ، ص٢٢٦ .

١٢١- بلنسية "Valencia" مدينة كبيرة تقع في شرق الأندلس على بعد أربعة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط وبها ميناء يسمى "Eroo" وقد اشتهرت بلنسية بزراعة الأرض بصفة خاصة ويقول العذرى «ويزرع فيها الأرز وهو ينبت فيها ومنها يحمل إلى جميع بلاد الأندلس وقد فتحها العرب عام ٩٥هـ(٧١٤) م وقد استقل بها بعد سقوط الدولة الأموية مبارك ومظفر وهو من الفتيان الصقالبة العامرين وقد تعرضت بلنسية لغزو القائد القشتالي المعروف بالسيد القمبيطور أى المحارب El- cidcanpedoe الذى كتب حوله الأسبان القصص والملاحم ، بل قرنوا اسمه بمدينة بلنسية فقالوا بلنسية السيد "Valencia del cid"

على اعتبار أنها كانت مقراً لحكمه حتى وفاته (٤٧٨هـ-٤٩٢هـ / ١٠٨٥-١٠٩٩م) ولقد استمرت زوجته "Jimena" (خمينا) تحكم بلنسية بعد وفاته مدة ثلاث سنوات ثم استردها المسلمون بقيادة القائد المرابطى مزدلى (٤٩٥هـ / ١١٠٢م) فأعاد الأمير يوسف ابن تاشفين تجديدها وردها أحسن مما كانت ثم تأسست بها بعد ذلك إمارة بني مردنيش إلى أن سقطت نهائيًا في يد ملك أراجون خايمى الأول الملقب بالفاتح ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م راجع العذرى : (أحمد بن عمر بن أنس المعروف بالدلائى) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد : ١٩٦٥: ص٧١ ، الحميرى : الروض المعطار : ص٧٣ - ص٧٤ ، ابن غالب : (الحافظ محمد بن أيوب) قطعة من فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية : ص١٩١ ، الفاسى (محمد) تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية : مجلة البينة: السنة الأولى العدد الثالث : الرباط ١٣٨٢هـ يوليو ١٩١٢: ص٢٣ - ص٢٤ .

الصقلبيان مبارك والمظفر[١٢٢] ولبيب في طرطوشة[١٢٣] وفي دانية[١٢٤] مجاهد [١٢٥]

١٢٢- هما من فتيان الحاجب المنصور ابن عامر وقد توليا حكم بلنسية في شرق الأندلس يقول عنهما ابن عذاري نقلاً عن ابن بسام «كانا عبدي مهنة وأميري فتنة قتل الناس فكثروا ، وخلا لهم الجو فباضوا وصفروا، وغاظوا الجماعة بقرطبة مدة أيامهم ، وداسوا أحساب الأحرار بأقدامهم مستمتعين بدنياهم ، غافلين عن عادة الله فيمن جرى مجراهم ، سقطت الفتنة عليهم برغم الأيام» ويقول عنهم ابن سعيد في كتابه المغرب «ملكها في ملوك الطوائف خادمان من الموالي العامرية ، وهما مبارك ومظفر وكان من العجائب اشتراكهما في الملك، حتى أنهما لم يتمازا إلا في الحُرمَ خاصة ولاتنافس بينهما» . ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب : جـ : ص٢٩٩ ، تحقيق شوقي ضيف : الطبعة الثانية ٦ : دار المعارف ، أما لسان الدين ابن الخطيب فيقول في كتابه أعمال الأعلام «إنهما كانا من الساقة ببلنسية فصارا إلى ملك الحضرة وإقامة رسوم السلطان بهما لأنفسهما على أفخم الوجوه ، وظهر من سياستهما وتقاربهما صحة الألفة طول حياتهما ما فاتا به في معناهما أشقاء الأخوة وعشاق الأحبة إذ نزلا معًا بقصر الإمارة مختلطين تجمعهما مائدة واحدة من غير تميز في شئ إلا الحرم خاصة». ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٢٥٥ وقد مدح ابن دراج الشاعر مبارك ومظفر بقصيدة طويلة ، راجع ديوان ابن دراج : ص١٠١- ١٠٨ .

١٢٣- طرطوشة كما يصفها الحميري تقع في سفح الجبل ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضياع وقلعة وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لايوجد له نظير في الطول والغلظ ومنه تتخذ الصواري والقرى : .. ومن أهل طرطوشة الفقيه الإمام الزاهد ، أبو الوليد الطرطوشي الفهري نزل الاسكندرية ، صاحب التعلقة في الخلاف وكتاب الحوادث والبدع وغير ذلك راجع الحميري : الروض المعطار : ص١٢٤- ص١٢٥ ، الإدريسي : نزهة المشتاق : جـ٢ : ص٧٣٤ ، ابن سعيد المغربي : المصدر السابق : جـ٢ : ص٤٢٣ .

١٢٤- يقول الحميري : عن دانية أنها تقع في شرق الأندلس وهي على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين وهي كثيرة الشجر من التين والكروم والسفن واردة عليها صادرة عنها ، ومن دانية أبو عمر الداني المقرى المعروف بابن الصيرفي ، له تواليف في القراءات ، توفي بدانية ٤٤٤هـ ، الحميري : الروض المعطار : ص٧٦ ، يقول عنها الإدريسي أنها على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين ويكثر بها شجر التين والكروم وهي مدينة تسافر إليها السفن وبها تنشأ أكثرها لأنها دار إنشاء السفن ومنها يخرج الأسطول للغزو ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ، الإدريسي: نزهة المشتاق : جـ٢ : ص٥٥٧ .

١٢٥- يقول ابن عذاري : عن مجاهد العامري (أنتزى هذا الرجل مجاهد على مدينة دانية في أول هذه الفتنة وكان من فحول فتيان بني عامر قدمه المنصور بن أبي عامر عليها وكان عند وقوع هذه الفتنة مقدمًا على هذه الجزائر الثلاثة فلما صح عند وقوعها خرج إلى دانية وضبطها وجمع أعمالها المنضافة إليها وتسمى بالموفق بالله وكتب بهذا اللقب عن نفسه وكتب له به وكان ذا نباهة ورياسة زاد على نظرائه من ملوك طوائفه

وفي المرية[١٢٦] خيران[١٢٧] وزهير [١٢٨].

هذا وقد استطاع عدد كبير من الصقالبة أن يحتل مكانة عالية في مجال الأدب والشعر ، فصار منهم الأدباء والشعراء وأصحاب المكتبات الكبيرة يقول ابن بسام في ذخيرته ، كان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المجابيب ممن أخذ من الأدب بأوفر نصيب [١٢٩].

= الأندلس ... وكان مجاهد كما يقول ابن عذاري من أهل العلم والمعرفة بالأدب راجع ابن عذاري : المصدر السابق : ج٣ - ص١٥٥- ص١٥٨ أما ابن سعيد فيقول أنه كان محبًا للعلماء محسنًا لهم كثير التولع بالمقرئين للكتاب العزيز حتى عرف بذلك وأثر عليه ابن حيان في هذا الشأن ، راجع ابن سعيد المغربي : المغرب : جـ٢ : ص٤٠١ ، أما المراكشي فذكر في كتابه المعجب أن مجاهد كان مؤثرا للعلوم الشرعية مكرمًا لأهلها ، المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب : ص١٢٧ .

١٢٦- تقع المرية على الساحل الشرقي للأندلس بين إمارتي مالقة ومرسيه وترجع أهمية المدينة التجارية أنها اتخذت قاعدة للأسطول الأندلسي حيث أن بحرها مرفأ للسفن الكبار ويضيف ياقوت أن المرية كانت بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحمل مراكب التجار وفيها مرفأ للسفن والمراكب ويضرب ماء البحر أسوارها وكان مرسى مدينة المرية مقسمًا قسمين ، قسم للعدد والآلات الحربية والقسم الآخر للمراكب التجارية، هذا وقد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل بها : راجع الحميري : الروض المعطار : ص١٨٣- ص١٨٤ ، العمري (ابن فضل الله العمري) وصف إفريقية والأندلس فصلة من كتاب مسالك الأبصار : تحقيق حسني عبد الوهاب : ص٤٠ ، القلقشندي : (أبو العباس أحمد) صبح الأعشى في صناعة الإنشا : جـ٥ : القاهرة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م الإدريسي: نزهة المشتاق : جـ٢ : ص٥٢٢ - ص٥٦٣ ، ص٥٦٦ ، العذري : ترصيع الأخبار ص٨٦ ابن غالب : فرحة الأنفس : ص٢٨٤ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ٥ : ص١١٩ ، سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة الأسطول الأندلسي : بيروت : ١٩٦٩ ، العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس : الاسكندرية : ١٩٦٨ ، ٢٩٧ .

١٢٧- هو خيران الصقلبي العامري وكان من جلة فتيان ابن أبي عامر فلما تخربت الخلافة وانشقت عصا الأمة أنتزى خيران هذا على مدينة المرية وأعمالها وانضوى إليه جميع فتيان محمد بن أبي عامر فحولهم وخصيانهم فدبر أمر المرية إلى أن هلك سنة تسع عشرة وأربعمائة ، راجع ابن عذاري: البيان المغرب : جـ٣ : ص١٦٦ .

١٢٨- هو زهير الصقلبي من أكابر فتيان المنصور ابن أبي عامر وتولى أمر المرية بعد هلاك خيران واستمر بها عشر سنوات وقد امتدت مملكته من المرية إلى شاطبة راجع ابن عذاري : المصدر السابق : جـ٣ ، ص١٦٩ .

١٢٩- ابن بسام : الذخيرة : ق٤ ، جـ١ ، ص٢٢٠ .

ويذكر ابن الابار[١٣٠] أن أحد الصقالبة واسمه حبيب ويتصف بالفهم والتيقظ ألف زمن هشام الثانى كتابًا تعصب فيه لقومه وعنوانه «الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة » هذا وقد قدم لنا الشعراء معلومات عن الصقالبة ، ضئيلة دون شك ولكنها دقيقة فأعطانا ابن دراج القسطلى تفصيلات مميزة عن عادة أميرى بلنسية مبارك والمظفر فى تزينهم بالحلقان كالسيدات يقول :

فالصبح فيما بين قرطيك مطلع ‏ ‏ ‏ ‏ وقد سكن الليل البهيم خيماركا

هو الملك لابلقيس أدرك شأوها ‏ ‏ ‏ ‏ مداك ولاالزباء سقت غباركما

ويقول أيضًا :

وأظفرت أمالى بقصد مظفـر ‏ ‏ ‏ ‏ وبورك لى فى حسن رأى مبارك

وفى هذه الأشعار من المدح ما يطلعنا على الطريقة النسائية لهذين الخصيين [١٣٣]، وهذه صورة وحيدة فى الأدب العربى لانرى مثلها . هذا وقد عرف الصقالبة بالغلظة والفظاظة والجفاء والخشونة[١٣٤] . ولهذا فلا عجب أن يكون الصقالبة محل كراهية من عامة الناس وهدفا لنقدهم وسخريتهم . وقد وردت أمثال بعضها يذكرهم تصريحًا وبعضهم الآخر يشير إليهم تلميحًا[١٣٥] وكلها تتندر بهم وتسخر منهم فقالوا[١٣٦] جلوس القطم لباب جهنم

١٣٠- ابن الآلار : التكملة : (الجزء الخامس والعاشر من مجموعة المكتبة الأندلسية العربية) : جـ١ : ص٣٢ مادة رقم ٨٩ .

١٣١- ابن الخطيب : أعمال الأعمال : ص٢٢٣ .

١٣٢- ابن سعيد : المغرب : جـ٢ : ص٢٩٩ .

١٣٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر ملوك الطوائف ص٢٣٤ .

١٣٤- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجالى : ص١٨٥ .

١٣٥- محمد بن شريفة : المرجع السابق : ص١٨٥ .

١٣٦- القطم كلمة معناها المخنث وهو استعمال أندلسى والجمع قطماء وقطمة وقد وردت هذه الصيغ كلها فى الأمثال الأندلسية واستعملها الكتاب والشعراء : راجع ابن سعيد المغربى : المغرب : جـ١ : ص٢٥٥ ، ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة :القسم الأول - المجلد الثانى ١٩٤٢ م / ١٣٦١ هـ : ص٣٨٧ .

(مثل الزجال رقم ٧٨٧)[١٣٧] ويبدو أنه يصور شدة حراسهم وحجباتهم للسلطان وبابه ومنع الناس من رؤيته وقد أشار ابن حيان فى كتابة المقتبس إلى مدى فظاظة الخصيان فى هذه الناحية[١٣٨].

كذلك قيل لمن يقال للفتى فتى، حتى يقبل فالشتا مثل رقم ١١٦٦ ويشير هذا المثل إلى ترف الصقالبة وميلهم إلى الدعة والراحة[١٣٩] يؤكد هذا ابن الخطيب[١٤٠] فيذكر أن المنصور ابن أبى عامر هلك وهو «ينوء بثقل كلفتهم الباهظة» .

كما قيل فيم القرد بجمة ، يحكم ألامه (مثل رقم ٤٢٣)[١٤١] ولعله قيل فى بعض من تآمر منهم بشرق الأندلس[١٤٢] وقد عدها المؤرخون من غرائب الليال والأيام[١٤٣] ويبدو أن الصقالبة كان لهم مذهب خاص فى الغناء[١٤٤] فيذكر ابن حيان قوله «وكان يشدو شيئًا من الغناء على مذهب الفتيان»[١٤٥] فقيل : غنى الفتيان عشرة يقفز وواحد يستمع (مثل رقم١٧١٨) .

١٣٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٥ .

١٣٨- ابن حيان : المقتبس جـ٢ : ص٢٥٣ تحقيق محمود على مكى .

١٣٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٥ .

١٤٠- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص١٠٣ .

١٤١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : نفس الصفحة .

١٤٢- محمد بن شريفة نفس المرجع والصفحة .

١٤٣- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٣ : ص١٥٨- ص١٦٢ .

١٤٤- ابن حيان : المقتبس : جـ٢ تحقيق محمود على مكى : ص٣٠ .

١٤٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٥ .

الأندلسيون :

أولا : المسالمة والمولدون :

بعد فتح الأندلس أسلم كثير من الأسبان وعرفوا بالمسالمة فتعايشوا مع العناصر الإسلامية(١٤٦) الأخرى من عرب وبربر .

فقد كان لسياسة التسامح الدينى التى سار عليها الفاتحون العرب عقب الفتح أثرا كبيراً فى إسلام عدد كبير من الإسبان ، وبالتدريج ترك كثير منهم دينهم المسيحى واعتنقوا الإسلام جيلا جديدا ويحدد ، د. السيد عبد العزيز سالم عاملين لاعتناق هؤلاء الأسبان الدين الإسلامى، إما بحثًا وراء مصلحة شخصية أو إيمانًا صادقًا بهذا الدين الذى ساوى بينهم وبين العرب فى الحقوق والواجبات»(١٤٧). خاصة أن أغلبية الجماعات الأولى التى أسلمت من الأسبان ، كانت من العبيد ورقيق الأرض، فقد كانت حالة الرقيق من السوء بحيث بدا الإسلام فى نظرهم كمخرج من المتاعب التى كانوا يعيشون تحت ثقلها (١٤٨).

وقد أنجب هؤلاء المسالمة جيلا جديدا عرفوا بالمولدين "muldieas"(١٤٩) وهم الذين ولدوا من أباء مسلمين سواء من المسالمة أو العرب أو البربر ونشئوا على الإسلام متخذين لأنفسهم نمط الحياة الإسلامية فى الأندلس، ولقد جمع هؤلاء المولدون خصال الآباء وهى النجدة والكرم وخصال الأمهات الأسبانيات من رهافة الحس والتذوق الجمالى ورقة المشاعر .

١٤٦- أحمد لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، العدد الثانى سلسلة المكتبة التاريخية: القاهرة ١٩٥٨: ص٢٤ .

Simonet : (f.j) historia de los mozarabes de le mozorbes de espana, madrid 1997 . p. 16 .

١٤٧- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم : ص١٢٧ .

١٤٨- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص٤٣٠ .

١٤٩- سالم : المرجع السابق : ص١٢٨ ، محمد مبروك نافع : تاريخ العرب : جـ٤ ، القاهرة سنة ١٩٤٩م: ص٦٣٦ .

«لما كان الفاتحون العرب البربر قد تركوا نساءهم فى بلدهم فقد أقبلوا على مصاهرة الأسبان ، من أهل البلاد، ومضوا على هذا النحو يتزوجون من الأسبانيات ما شاءوا ، وعاشروا أهل البلاد ، وجاوروهم وعن طريق المجاورة والمصاهرة ، انتشر الإسلام فى الأندلس انتشاراً تجاوز كل تقدير فى الحسبان وهكذا امتزجت دماء الفاتحين من العرب والبربر بدماء أهل البلاد ونشأ من ذلك جيل جديد من آباء مسلمين عرفوا باسم المولدين .

هذا وقد تساوت المجموعات الأسبانية التى دخلت الإسلام وكانت من الأشراف وأهل المدن ورقيق الأرض والعبيد تساووا جميعًا فى ظل الإسلام [١٥٠]، وأصبح المولدون يؤلفون على عهد أمراء بنى أمية الكثرة الغالبة من السكان[١٥١] وتألفت منهم جماعات كبيرة شكلت النشاط الاقتصادى والثقافى الاجتماعى وإن كان البعض من المولدين تعصبوا لأصلهم الأسبانى، فاحتفظ كثير منهم بأسمائهم القديمة ، أمثال بنو أنجلين "Angelino"[١٥٢] وبنوا الجريج "Jorge"[١٥٣]، وبنو القبطرنة "Kabturno"[١٥٤] وبنو شبرقة "Sabarico"[١٥٥] وبنو مردنيش "martinez" وبنو غرسية "garcia" وبنو ردلف "rodalefo"[١٥٦] هذا وقد ساعد تشجيع الخلفاء للمولدين على أن يندرجوا أكثر فى الجماعة الإسلامية حين غدا العنصر الفاتح يكون أرستقراطية قليلة العدد ليحل محله عنصر المولدين وليظفر بالحياة والسلطان إلى آخر أيام الخلافة الأموية فشاركوا فى الحياة السياسة فى الأندلس ، فكان منهم ولاة الثغر الأعلى كبنى قسى الذين كانوا موالى للأمويين، وكانوا يقفون إلى جانب المضرية فى صراعها مع

١٥٠- سالم : نفس المرجع : ص١٢٨ .

١٥١- سامى مكى العانى : دراسات فى الأدب : ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره سنة ١٩٨٧: ص١١٩ .

١٥٢- ابن حيان : المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس : نشر ملشور أنطونية : باريس سنة ١٩٣٧ : ص٧٠، سالم نفس المرجع ص١٢٨ هذا وقد بلغ بنو أنجلين وبنو شبرقة شهرة واسعة خلال حكم الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) راجع :

Levi Provencal : l'espagne muslmane au xe sicele 1932 . p. 19 .

١٥٣- ابن حيان : المصدر السابق : ص٧٤ ، سالم : نفس المرجع ص١٢٨ .

Dozy : histoire, t. II, p. 40 .

١٥٤- سالم : نفس المرجع : ص١٢٩ .

Levi Provencal :, histoire de espaqne musulmane leiden , 1950 , p. 76 .

١٥٥- ابن حيان : نفس المصدر : ص٧٤ .

١٥٦- ابن حيان : نفس المصدر : ص١٦ .

اليمنية[١٥٧] ومنهم أيضًا أميرى طليطلة عمروس الوشقى[١٥٨] ولب بن طربيشة[١٥٩] ...

هذا وقد اشتهر كثير من المولدين بالقوه والنفوذ والثراء العظيم خصوصًا فى أشبيلية[١٦٠] فعملوا بتربية الماشية والزراعة فى الأرياف وصيد الأسماك ، أما فى المدن فقد زاولوا حرفًا مختلفة ، واشتغلوا بالتجارة ، فكانوا من أوفر العناصر نشاطًا وأكثرها تلاؤمًا مع ظروف الحياة فى البلاد الأندلسية[١٦١] ...

ولاشك أن المولدين قد شاركوا العناصر الأخرى فى إنهاء الحكم العربى فى الأندلس فى وقت مبكر[١٦٢] ، حين استعان المولدون أثناء ثورتهم فى طليطلة بالنصارى ضد حكومة قرطبة[١٦٣]، لكن هزيمتهم فى وادى سليط[١٦٤] ٢٤٠ (٨٥٤) م قد كالتهم الضربة القاسمة[١٦٥].

وكان أولئك المولدون وغيرهم ، يحاولون غاية واحدة هى القضاء على الوجود العربى عن طريق استنزاف قوته في هذه الثورات ، فكان أن شهدت الأندلس خلال القرن الثالث الهجرى

١٥٧- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : جـ٢ : ص٥٠٢ .

١٥٨- هو من أمراء المولدين فى وشقة طليطلة عنه راجع : ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٤-٦٥ .

١٥٩- ابن حيان : المقتبس : طبعة ملشور أنطونية : ص١٨ ، سالم نفس المرجع : ص١٢٩ .

١٦٠- جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى : القاهرة ١٩٧٥: ص٣٥ .

١٦١- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص٤٣٥ .

١٦٢- سعد عثمان : المجتمع الأندلسى : ص١٠٤ .

١٦٣- عن هذه الثورات راجع ابن حيان : المقتبس محمود مكى: ص٧ ، وتحقيق شالمتيا : ص٢٧٦-٢٧٧، ص٢٨٠-٢٨١ ، ابن خلدون : العبر : جـ٤ ص١٤٠، ابن عذارى : البيان المغرب: جـ٢ ص١٧٦ ، وما بعدها ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول : ص٢٩٣ ، محمد عبد المنعم : أضواء جديد حول ثورات طليطلة ص٦٣٠ .

١٦٤- وادى سليط هو نهر أحد فروع نهر تاجة ويخرق هذا النهر سهلاً يقع جنوب غرب طليلة، راجع عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ق(١) الفقرة الأولى ص٢٩٣، حمدى عبد المنعم: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة : ص٦٣ هامش ٨٧، سالم : تاريخ المسلمين ص١٢٩- ١٣٠ .

١٦٥- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ ص٩٤-٩٥ .

فتنًا عديدة قام بها المولدون ومن شايعهم من المسالمة ونصارى اللمة[١٦٦] . فثار فى ماردة[١٦٧] وبطليموس[١٦٨] الثائر المولد عبد الرحمن بن مروان الجليقى وفى شنت مرية[١٦٩] يحيى بن بكر بن ردلف ، أما أشهرهم ثورة وأكثرهم عناداً هو الثائر المولد عمر بن حفصون[١٧٠] الذى دامت فتنته أزيد من سبعين سنة[١٧١] ، وكان محور الحركة التى يسميها ابن حيان

١٦٦- ابن عذارى : المصدر السابق جـ٤ : ص٩٤ . Levi provencal, op. cit. p. 224 .

حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص٩٨ .

١٦٧- ماردة (merida) كورة واسعة من نواحى الأندلس متصلة بحوز فريش بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة ... وهى مدينة رائعة كثيرة الرخام وكانت ماردة من أعظم مدن أسبانيا فى العصر الرومانى إذ أسسها الإمبراطور أغسطس قيصر سنة ٢٥ ق.م وجعلها عاصمة لإقليم لشدانية Lusitania ولقد حملت ماردة مشعل الحضارة الرومانية فى أسبانيا حتى أصبحت تعرف بروما أسبانيا .

Jose romon melida catalogo manumental de Espana provincia de Badajoz, L. I, madrid , 1925 , pp. 99-102 .

١٦٨- كانت بطليوس قاعدة كبيرة وحصنًا منيعاً وهى تقع فى منحنى نهر وادى يانة على مقربة من الحدود البرتغالية الآن، عنان : الآثار الأندلسية الباقية القاهرة ١٩٦١ م : ص٣٧٢ ، عن ثورات بطليوس وثورة المولد عبد الرحمن بن مروان الجليقى، راجع : ابن حيان : المقتبس : تحقيق ملشور أنطونية : ص١٥ ، طبعة شالميتا ص٢٤٦- ص٢٤٨ ، ابن عذارى البيان المغرب : جـ٢ : ص١٣٥ ، ص٢٠٠ ، ص٢٠١ ، سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية .

١٦٩- شنترية Santa maria وهى من كورة أكشونبة وتعرف اليوم باسم faro راجع سالم : تاريخ المسلمين : ص٢٥٥ وهى جنوب البرتغال ، راجع دائرة المعارف الإسلامية Sant maria de Algarve راجع ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ :ص٦٢ هامش رقم (١) .

١٧٠- هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الأسلمى، كان أبوه من مسالمة أهل الذمة وينتمى إلى أسرة فقيرة اعتنقت الإسلام منذ أيام جده جعفر الأسلمى (أو إسلامى) فى عهد الأمير الحكم بن هشام ، وقد تزعم عمر بن حفصون ثورة المولدين بكورة رية ضد الدولة الأموية منذ عهد الأمير محمد وظلت ثورة ابن حفصون مشتعلة حتى العقد الثانى من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث تم اخضاعها والقضاء عليها ٣١٥هـ ٩٢٧م ، راجع ابن عذارى : نفس المصدر جـ٢ : ص١٠٤ ، ص١٠٦ ، ابن القوطية : نفس المصدر : ص١٠٣- ص١٠٤ ، سالم : نفس المرجع : ص٢٥٩- ص٢٦٥ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس نشر دار المستقبل : جـ١ : سنة ١٩٨٠، ص٣٠٣ .

١٧١- ابن عذارى : نفس المصدر، والجزء والصفحة .

«دعوة المولدين تارة وعصبية المولدين على العرب تارة أخرى (١٧٢)».

وقد أثارت هذه العصبية نقائض شعرية بين شعراء العرب وشعراء المولدين (١٧٣).

ففي غزوة وادى سليط التى يذكرها الشعراء بأنها من أمهات الوقائع، ولم يعرف بالأندلس قبلها يقول عباس بن فرناس(*) فى نصر الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى بعد انتصاره فى هذه المعركة على طليطلة :

مُخْتَلِفِ الأصْواتِ مؤتلف الزحفْ لَهومُ الفَلا عَبْلِ القَنَابلِ مُلْتَفِ
إذَا أَوْمَضتْ فيهِ الصَّوارِمُ خِلْتهَا بُروقا تَرَاءَى فى الجهام وتستْخفِى(١٧٤)

كذلك يقول العتبى(١٧٥)، يمدح الأمير محمداً فى قصيدة يقول :

سائِلْ عَنِ الثُغْرِ الصوارِم تَصْدُقِ واستنطق السُمْرَ العَوالى تَنْطِقِ
تَركَتْ وَقَائع فى الثُغورِ وَقَدْ غَدَتْ مَثَلاً بِكُلّ مُغَربِ ومُشَرِقِ
وأَذاخ أرْضَ المُشرِكين بِوقَعْةٍ تَركَتْهُمْ مِلّ الأشاء المحرق

١٧٢- ابن حيان : المقتبس : ص١٥ .

١٧٣- أحمد هيكل : الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة طبعة (٢) سنة ١٩٦٢: ص١٥١- ص١٥٤ ، إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى: عصر سيادة قرطبة : بيروت ١٩٦٠: ص٨٨- ص٩٠ ، عبد المجيد عابدين : نماذج من الشعر الأندلسى: دراسة تحليلية نقدية : دار الفكر : بيروت : الدار السودانية للكتب : الخرطوم :١٥ يناير سنة ١٩٧٢: ص٥٠ .

(*) هو من عامة الشعب ، كان مولى من موالى بنى أمية أصله من البربر ، واشتهر إلى جانب نظم الشعر بالعلم والفلسفة ، وقد أدرك عن الأمير محمد بن عبد الرحمن الذى حكم فى عصر بنى أمية بالأندلس من ٢٧٨هـ- ٢٧٣هـ وقد توفى عباس بن فرناس سنة ٢٧٤هـ راجع ترجمته : فى المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص١٦٢ هامش رقم (٢)، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ١ : ص٣٣٣، الحميرى: جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس : ص٣١٨ .

١٧٤- ابن عذارى: البيان المغرب : جـ٢ : ص١١١- ص١١٢ .

١٧٥- هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبى الأندلسى القرطبى الفقيه المالكى المشهور راجع المقرى: نفح الطيب جـ٢ : ص٢١٥ .

كذلك يقول الشاعر ابن عبد ربه(*) فى شأن الثائر المولد عمر بن حفصون :

رَامَ ابنُ حَفْصُونَ النجاةَ فَلَمْ يَسرْ   والسيْفُ طالبُـه فَلَـيْ بِنـاجِ
فى لَيْلَـةِ أسْرَتْ بِهِ فكأنما   خيلتْ نَقيضَةَ لَيْلَة المِعراجِ [١٧٦]

ويقول ابن عبد ربه كذلك فى غزو الخليفة الناصر لحصون ابن حفصون :

فى غزوة مائتا حصن ظفرت بها   فى كل حصن غـزاة للعناجيج
ما كان ملك سلمان ليدركه   والمتنى سد ياجوج ومأجوج [١٧٧]

هذا ويشير محمد بن شريفة إلى عدد من الأمثال التى دارت حول المولدين وصراعهم مع السلطة فمن ذلك المثل [١٧٨] :

«حصنى، ولا من يقسنى» (٨٤١) ويبدو أن هذا المثل كان شعاراً لعمر ابن حفصون وأضرابه من الثائرين المتنمين بحصونهم ومن الأمثال التاريخية التى وردت عند ابن حيان أيضًا قولهم «غررتنى يا اسحاق» يقول ابن عذارى وفيها أى سنة ٢٨٧ هـ «صلب إسحاق وصاحبه ، وكانا من رجال ابن حفصون ، وفيها جرى المثل فى الناس «غررتنى يا اسحاق» وذلك أن أحدهما قال هذه الكلمة لصاحبه ، وهو يرفع فى الخشبة [١٧٩].

---

* هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ٢٤٦هـ- ٣٢٨هـ كان سالم أحد أجداده مولى من موالى الأمويين وقد نشأ ابن عبد ربه - فى قرطبة وكان فى نشأته فقيراً فطلب العلم على شيوخ عصره فى جامع المدينة ومن أهم شيوخه بقى بن مخلد وابن وضاح والخشنى وقد تلقى على هؤلاء الأعلام الفقه والحديث واللغة والسير والأخبار ومصر فى هذه الثقافة كتابه المعروف باسم العقد الفريد عن ابن عبد ربه راجع : الفتح بن خاقان : مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس: ص٥١ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ٢ : ص٦٧ ، بن دحية المطرب فى أشعار أهل المغرب : ص١٤١ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص٤٩ ، وكتاب ابن عبد ربه : العقد الفريد .

١٧٦- ابن عذارى: نفس المصدر : جـ٢ : ص١٣٣ .

١٧٧- مجهول : مدونة من عصر الناصر : ص٣٨ .

E. Levi- Provensal : una cronica anonima de abd Rahaman III al - Nasair. p. 38 mdarid-granada 1950 .

١٧٨- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجالى: ص١٨١ .

١٧٩- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ١٣٩ .

ومن أقوالهم فى هذه الحقبة أيضًا ما ذكره ابن حيان عند الكلام عن «سعيد بن وليد بن مستنة»[١٨٠] الذى يتلو ابن حفصون فى التمرد وقوة الشكيمة .

هذا وقد تميز القرن الخامس الهجرى بصعوبة التمييز بين العناصر والأجناس البشرية الموجودة فى البلاد الأندلسية سواء من العرب أو البربر أو المسالمة أو المولدين ، فقد تم التماذج بين تلك العناصر فأطلق عليهم جميعًا اسم الأندلسيين ، ويذكر "Simonet" أن هذا اللفظ ظهر منذ القرن الثالث الهجرى ، أوائل العاشر الميلادي، عندما اختفت الألفاظ الأخرى مثل مسالمة ومولدين[١٨١].

ويبدو أن هذا كان مفهوم معظم الكتاب والمؤرخين أمثال ابن عبدون حين كان يفرق بين الأندلسيين والمرابطين [١٨٢].

وبهذا المفهوم أيضًا استعمل اللفظ فى التشكيلات العسكرية حيث يذكر ابن الخطيب[١٨٣] فى حديثه عن الأندلسيين من أهل غرناطة «وجندهم صنفان أندلسى وبربرى والأندلسى فهم يقودهم رئيس من القرابة أو حصى» [١٨٤].

هذا ويذكر المؤرخ والأديب ابن حزم أن كثيراً من خلفاء الأندلس كان يجرى فى عروقه الدم الأيبيرى من جهة الأمهات والجدات وظهر هذا واضحًا فى صفاتهم الجسمية ، فقد ذكر أن خلفاء بنى أمية ولاسيما ولد الناصر كانوا يفضلون البنت الشقراء لايختلف فى ذلك منهم مختلف وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا أشقر نزاعا إلى أمهاتهم حتى صار ذلك فيهم خلقه حاشا سليمان الظافر[١٨٥] فأنى رأيته أسود اللمة

١٨٠- ابن حيان : المقتبس : ص٢٧ ، ابن عذارى : نفس المصدر : جـ٢ : ص١٣٦ .

١٨١- Simonet : los Mozarabes. 15 .

١٨٢- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة) ص٩، ص١٦ .

١٨٣- ابن الخطيب فى أخبار غرناطة : جـ١ : ص١٣٦ .

١٨٤- الحصى هو الراجل الوافر العقل راجع ابن الخطيب المصدر السابق : جـ١ ، نفس الصفحة هامش رقم(١).

١٨٥- هو سليمان الظافر ويلقب بالمستعين تولى الخلافة فترة فتنة قرطبة عام ٤٠٠هـ- ١٠٠٩م وتسمى حينئذ بالظاهر بالله إلى جانب لقب المستعين بالله، ثم أخرج من قرطبة مهزوما ثم عاد إليها ثانية خليفة =

واللحية ، أما الناصر والحكم والمستنصر رضى الله عنهما فحدثنى الوزير أبى رحمة الله وغيره أنهما كانا أشقرين أشهلين وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدى[١٨٦] وعبدالرحمن المرتضى[١٨٧] رحمهم الله فأنى قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاند[١٨٨].

هذا قد تحدث المقرى فى كتابه نفح الطيب نقلاً عن ابن سعيد عن الأندلسيين فوصفهم بقوله «والأغلب عندهم إقامة الحدود وإنكار التهاون بتعطيلها[١٨٩]، كذلك يصفهم بكرههم للكدية[١٩٠] وأنهم إذا رأوا شخصا صحيحًا قادراً على الخدمة يطلب سبوه أهانوه ولذلك لاتجد

= وبقى فى الخلافة ١٠١٦م- ٤٠٧هـ وكان من أهل العلم والفهم أديبًا فصيحًا شاعراً له رسائل وأشعار بديعة أمدنا بها ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص٥ وما بعدها ، ابن عذارى: المصدر السابق : جـ٣ : ص٩١ ، المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٤٠٣ ، وما بعدها.

١٨٦- محمد المهدى (المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر أول من ثار من بنى أمية على الحاجب العامرى الثالث عبد الرحمن بن أبى عامر وكانت العامة تسميه شنجول ، وقد تزعم المهدى الثورة دفاعًا عن حقوق بنى أمية فى الخلافة وثار لأبيه وكان عبد الرحمن شنجول قتله وتبعه عامة قرطبة ودفع بهم إلى المدينة الزاهرة معبر العامرين فانتهبوها وقتل عبد الرحمن وأعلن نفسه خليفة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م لكن خلافته لم تطل فقد قتل ٤٠٢هـ/ ١٠١٠م عن محمد المهدى: راجع ابن عذارى : نفس المصدر : جـ٣ : ص٥٠ وما بعدها ، المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٤٠٢ ، ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط : تحقيق أحمد مختار العبادى: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ص١٩- ٦٢ وما بعدها .

١٨٧- عبد الرحمن بن محمد ولد عبد الرحمن الناصر، نصب نفسه خليفة بشرق الأندلس وتسمى بالمرتضى وقد حاول بن معه أن ينتزع الخلافة من القاسم بن حمود وهو فى طريقه إليها، اصطدم بزاوى بن زيرى بن مناد أمير غرناطة وكان ابن حزم مع الخليفة المرتضى فى حملته هذه وقد اقتتل الفريقان أيامًا ثم انهزم الأندلسيون بتعبير ابن بسام بقيادة المرتضى أمام بربر غرناطة بقيادة زاوى وتفرق جيش المرتضى وفر هو نفسه إلى وادى أشى وهناك اغتالته عصابة مستأجرة ٤١٨هـ - ١٠١٨م راجع ابن بسام الذخيرة المجلد الأول : القسم الأول : ص٩٧ وما بعدها : القاهرة ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م .

١٨٨- ابن حزم الأندلسى : طوق الحمامة فى الألفة والآلاف ضبط نصه وحقق هوامشه د. الطاهر أحمد مكى: الطبعة الخامسة منقحة ومصححة ، دار المعارف : رجب ١٤١٣هـ/ يناير ١٩٩٣م : ص٤٨- ص٤٩ .

١٨٩- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٢٢٠ .

١٩٠- المقرى : المصدر السابق : جـ١ : ص٢٢٠ .

بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر[١٩١] وقد نجد فى أمثالهم ما يؤكد هذا القول ، كقولهم ولا قول أن معروف[١٩٢] وكقولهم أيضًا بحال من سعا وأهترق ل.[١٩٣] ومن الأمثال أيضًا نجد ذكر الساعى أى السائل كقولهم سمعت بنت السلطان الساعى يسعى، قالت كنعمل شبات بشحم[١٩٤] أما ابن قزمان[*] فيقول متسولا أعطنى لحم وخبز مدهون ، وأرسل فحم وأرسل كانون . فالفندق متاع والوقف نسكن ، أوذانى على الضيافة جلس[١٩٥] ويذكر ابن خلدون[١٩٦] فى مقدمته أن السائلين يختلفون باختلاف الأمصار فى العمران ووصف ما شاهده فى زمنه إذ يقول «فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران ، ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحى أثمان ضحاياهم ، ورأيتهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغربال والآنية، ولو سأل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر».

١٩١- المقرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

١٩٢- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٢٩ مثل رقم (١٩٧٧) .

١٩٣- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل ابن عاصم رقم (٢٧٧) .

١٩٤- محمد ابن شريفة : نفس المرجع ص٢٢٩ رقم (١٨٤٥) .

(*) هو أبو بكر ابن قزمان القرطبى (ت٥٥٥) الذى يعد إمام الزجالين وقد اشتهرت أزجاله فى الآفاق وهو المتفرد بالإبداع فى طريقة الأزجال ويذكر ابن سعيد عن الحجارى ابن أبى قزمان ، كان فى أول شأنه مشتغلاً بالنظم المعرب فرأى نفسه يقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لايزاحمه فيها أحد منهم فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس : راجع ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب : جـ١: ص١٠٠ وما بعدها ، الأهوانى : الزجل فى الأندلس ص٦٧ وما بعدها ، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس :جـ٢ : ١٩٧٩: دار النهضة العربية ص١٩٠ .

١٩٥- عبد العزيز الأهوانى؛ الزجل فى الأندلس : محاضرات ألقيت على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية : معهد الدراسات العربية : جامعة الدول العربية ص٧٠ .

١٩٦- ابن خلدون : المقدمة : الطبعة الأيسرية: ص٣٤٣ .

الزى الأندلسى

أما زى أهل الأندلس فى السلم والحرب يقول المقرى[١٩٧] نقلاً عن ابن سعيد «وأما زى أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم ، لاسيما فى شرق الأندلس، فإن أهل غربها لاتكاد ترى فيهم قاضيًا ولافقيهًا مشاراً إليه إلا وهو بعمامة».

ويعطينا المقرى صورة للأندلسيين فيصفهم بالنظافة وحب المظهر[١٩٨] يقول «وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لايكون عنده إلا قوت يومه ، فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه» هذا وقد أكد المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب[١٩٩] فى كتابه الإحاطة نفس الصفات التى وصفها المقرى الأندلسيين يقول «أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك ابن أنس» كذلك ويستوقف نظرنا قول ابن الخطيب[٢٠٠] «وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة وألوانهم زهر مشربة بحمرة وألسنتهم فصيحة يتخللها غرب كثير وتغلب عليهم الإمالة وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية ، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء» ثم يستمر فى وصف الأندلسيين «فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»[٢٠١].

ويبدو لنا من وصف كل من ابن سعيد وابن الخطيب أن الأندلسيين لم يلبسوا العمامة ولا البرانس قبل مجئ المرابطين ويؤكد هذا ما رواه ابن الأبار فى الحلة السيراء «فقد كتب المعتمد بن عباد معرضًا بابن صمادح بأبيات منها:

ولقد ذكرتُ فـزاد عينى قُـرَّةً ... وهُونُ السبَّال وخزْى ربِّ البرُنس[٢٠٢]

١٩٧- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٢٢٢ .

١٩٨- المقرى : المصدر السابق : جـ١ : ص٢٢٣ .

١٩٩- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : جـ١ : ص١٣٤ .

٢٠٠- ابن الخطيب : المصدر السابق : جـ١ ص١٣٤ .

٢٠١- ابن الخطيب : نفس المصدر جـ١ : ص١٣٤- ص١٣٥ .

٢٠٢- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص٨٥- ص٨٧ .

ويذكر هنرى بيرس فى كتابه الشعر الأندلسى إن العمامة والبرنس لم يكونا مجهولين لدى الأندلسيين ، ولو أن العمامة ظل ارتداؤها وقفًا على القضاة والعلماء دون غيرهما[٢٠٣].

وكان الأندلسيون يعتبرون ارتداء الجند للعمامة مخالفًا للشرع، فيذكر النويرى فى كتابه نهاية الأرب أنه عندما فكر عبد الرحمن شنجول قبل أن يتحرك فى غزوته ضد ليون عام (٤٠٠هـ) - (١٠٠٩م) فى أن يحل العمامة محل الطيلسان[٢٠٤] وفكر فى أن يرتديها هو نفسه فعد من أنكى ما ارتكب حملة يقول النويرى : «وجال المملكة وذوى الهيئات من طبقات الخدمة» بطرح قلانسهم والانتقال عنها إلى العمائم ومن فرط فى ذلك عوقب فلبسوها على كره وكانوا بها أقبح منظراً ، وأهجن زى وملبس لمخالفته العادة» (٢٠٥) أما فيما يتصل بالبرنس نعرف أن الأمويين كانوا يستخدمونه وكان عبد الرحمن شنجول نفسه يرتدى البرنس عندما يكون وسط نسائه[٢٠٦] ومع مجئ المرابطين انتشر استخدام البرنس وشاع أيضًا لبس العمامة فكان الفرسان والجنود يلبسونها [٢٠٧].

كذلك استخدم الأندلسيون على نطاق واسع[٢٠٨] الجلود والفراء فى ملابسهم . وكثيراً ما

٢٠٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر ملوك الطوائف : ص٢٨٤- ص٢٨٥ .

٢٠٤- الطلبسان ثوب معين يوضع على الرأس وينسدل على الكتف وقد شاع ارتداء الطيلسان فى الأندلس بين فئات الناس فاستخدمه العامة والخاصة ،

Dozy : Dictioniare detaille des noms des vetements , chez les Arabes , p. 278 , 280 .

يقول المقرى فى ذلك نقلاً عن ابن سعيد لاتجد فى خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشون دون طيلسان : ج١ : ص٢٢٣ .

٢٠٥- النويرى : (شهاب الدين) نهاية الأرب فى فنون الأدب : نشر جسبار رامروا ، ابن عذارى: البيان المغرب : ج٣ : ص٤٨ .

٢٠٦- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٩٠ .

٢٠٧- راجع هنرى بيرس : المرجع السابق ص٢٨٥ ، سحر سالم : ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى .

٢٠٨- تقدمت صناعة الجلود فى الأندلس وخاصة فى مالقة حيث كان يصنع بها الأقمشة والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية، راجع العمرى (ابن فضل الله) شهاب الدين أحمد ابن يحيى الكاتب الدمشقى=

يتردد ذكر فرو الأرنب[٢٠٩] وفرو حيوان آخر يدعى الفنك فى أبيات الشعراء ، يقول أبو القاسم بن السقاط:

تُطاعننا فيه ثدى نواهد نهدن لحربى والسنور أفنـاك[٢١٠]

ويصف بن سارة فروته :

أودت بذات يدى فريـة أرنـب كفؤاد عروة فى الضنى والرقة

إن قلت باسم الله عند لباسهـا قرأت على إذا السماء انشقت

يتجشم الفـراء وترقيعهـا بعد المشقة فى قريب الشقة[٢١٠]

أما ما ذكره المقرى نقلاً عن ابن سعيد من حب الأندلسيين للنظافة واهتمامهم بنظافة ملبسهم وفرشهم فإن الأمثال الشعبية الأندلسية كانت فى جملتها تذم القذارة وتصورها بكيفية منفرة ، وبلغ من تقديرهم للنظافة أن دعوا إلى تطليق المرأة التى تتمخط فى قناعها أو تدخل إصبعها فى أنفها [٢١٢].

= العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (وصف إفريقية والمغرب والأندلس: تحقيق حسنى عبد الوهاب: تونس : ص٤٨ : القلقشندى: صبح الأعشى: جـ٥ : ص٢٠٩ ، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب : مجموعة من رسائله أحمد مختار العبادى: ص١٥٩ وقد خضعت هذه الصناعة لرقابة المحتسب: راجع السقطى فى الحسبة : ص٦٣ ، ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ص٤٨ .

٢٠٩- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٨٥ ، هذا وقد استعمل الأندلسيون نوعًا آخر من الفراء لحيوان يسميه المقرى فراء القنلية وهو حيوان أرق من الأرنب وأطيب فى اللحم وأحسن وبراً وكثيرا ما تلبس فراؤها ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، المقرى : نفح الطيب :جـ١ : ص١٩٨ .

٢١٠- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٨٥ قال ابن بسام فى كتابه الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة . تسمى أولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد : راجع ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص٣٩ وما بعدها .

٢١١- هنرى بيرس : نفس المرجع : نفس الصفحة .

٢١٢- محمد ابن شريفة : أمثال اللزجالى: ص٢٣٢ .

يقول المثل الأندلسى :

«إذا رأيت المرا فى قنعها ، وتخرج المقتول بإصبعها لاتبقى معها»[٢١٣]، وقولهم أيضًا: «كل شئ يهون إلا الغزل المعفون»[٢١٤].

وكان البصاق على الأرض من العادات المستهجنة[٢١٥].

يقول المثل : «إذا وقعت الخنونة وقعت النتونة»

ومن أمثالهم التى لها دلالة فى هذا المثل أيضًا قولهم : «كنس وجلس»[٢١٦] وقولهم أيضًا «ثلث الخبى دردى ، شئ أن ردى [٢١٧]» .. كذلك تمثل الأندلسيون بالمثل القائل «قدرة الزفت ما يطبخ فيها معسل »[٢١٨].

ولقد اهتم الأندلسيون بنظافة الفم والأسنان أبلغ اهتمام فاستعملوا السواك المصنوع من خشب عطرى يستخدم للعناية بالفم والأسنان يقول الأسعد بن بطليطة[٢١٩]:

أرى نكهة المسواك فى حمرة اللمى | وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبلته فإخاله | على الشفة اللمياء وقد جاء مختطًا

وقد استخدم الأندلسيون العطور بشكل واسع وكثيرا ما نرى فى قصائد الشعراء الأندلسيين يصفون العطور المصنوعة من الزهور المنتشرة فى بلادهم مثل السوسن وزهرة النسرين وبعض أنواع العطور مثل العنبر والمسك. فشاع التشبيه بالعطور فى الشعر الأندلسى يقول ابن عائشة يصف وطنه .

٢١٣- محمد ابن شريفة : المرجع السابق : مثل رقم ٣٨ ص٢٣٢ .

٢١٤- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم (١٠٩١) .

٢١٥- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم (٣٦) .

٢١٦- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١١٦٥) .

٢١٧- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٧٤٤) .

٢١٨- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٨٢٢) .

٢١٩- المقرى : نفح الطيب : ج٤ : ص٥٢ .

طربة مسك وجو عنبرة | وغيم ند وطش ماورد
كأنما جائل الحباب به | يلعب فى جانبيه بالبرد[٢٢٠]

يقول أبو أيوب بن أمية متسائلاً :

أمسك دارين حياك النسيم به | أم عنبر الشحر أم هذى البساتين
بشاطئ النهر حيث النور مؤتلق | والراح تعبق أم تلك الرياحين[٢٢١]

وكان أهل الأندلس يقولون : «يستدل على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين ، كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج [٢٢٢].

أما عادة الأندلسيين فى الاحتياط والتدبير ، حتى أنهم وصفوا بالبخل يقول المقرى نقلاً عن ابن سعيد أن الأندلسيين «أهل احتياط وتدبير فى المعاش وحفظ لما فى أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل»[٢٢٣] وكان البخل الذى كان يبدو فى نظر العرب أيام الجاهلية وفجر الإسلام أقبح العيوب يمثل فى الأندلس الإسلامية جانبًا من شخصية الأندلسى[٢٢٤].

ومع هذا فقد تناول الشعر صفة البخل يقول المعتضد(*) :

لعمرك ما الإسراف فى طبيعة | ولكن طبع البخل عندى كالتحف[٢٢٥]

ويقول فى مكان آخر :

فاهدم بناء البخل وارفض به | من هدم البخل بنى مجدة
لا عاش إلا جائعًا نائعًا | فليحكنى فى الندى والسيف العلم[٢٢٦]

٢٢٠- المقرى : المصدر السابق :ج٤ : ص١٥٨ .

٢٢١- المقرى : نفس المصدر :ج٣ : ص٥٥٠ .

٢٢- المقرى : نفس المصدر :ج٣ : ص٤٣٠ .

٢٢٣- المقرى نفس المصدر :ج١ : ص٢٢٣ .

٢٢٤- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى: ص٣٨٢ .

(*) تسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد : راجع ابن الأبار : الحلة السيراء :جـ٢ ص٣٩ وما بعدها .

٢٢٥- ابن الأبار: الحلة السيراء جـ٢ : ص٤٤ يقول أيضًا :

فما مربى بخل بخاطر مهجتى | ولا مر بخل الناس قط ببالیا

٢٢٦- ابن الأبار : المصدر السابق جـ٢ ، ص١١١ .

وقد ترددت فى الأمثال الشعبية ما يؤكد هذا الاحتياط والتدبير لدى الأندلسيين أو ما يسمى بالبخل فجاءت أمثالهم تحض على الإدخار يقول المثل :

«أرفع ما شيت يقل لك الزمن هيت»[٢٢٧] ويقولون أيضًا من رفع من غداة لعشاة لن ينتقم عليه أعداء.[٢٢٨] والأندلسيون يفضلون خزن الزرع على بيعه حتى ولو دخله السوس يقول المثل «سوس خير من فلوس»[٢٢٩] وهم أيضًا يخزنون الشوب حتى يبلى ولاينتفع به يقول المثل أيضًا.

حزنى على القبطى ، بلت وهى مطوى[٢٣٠]. ويقولون فى معنى الاحتياط أيضًا : لاتهرق ما حتى تجد ماء .

أخلط القمح تصلح [٢٣١]، كل خبزتك باللمك يكون أوفر لدرهمك[٢٣٢] ويقولون أشرى بقطاعك ما يدخل فى أصابعك[٢٣٣] ، كذلك يرى الأندلسيون أن شراء الأشياء الغالية سبب الفقر فيقولون الشيكل تفقر[٢٣٤] وفى معنى الإنفاق بدون حساب يقولون من أى تأخذ ولاتجعل للقاع تصل[٢٣٥] ومن أمثالهم فى حسن التدبير قولهم على قيس كيسك تمتد رجليك[٢٣٦]، وقولهم الدقيق من السحر والعشا من الظهر[٢٣٧]، ويقولون أيضًا من احترق زيت فى دقيق يعمل الكعك[٢٣٨] ....

٢٢٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٣٠ مثل رقم (٤٢٧) .

٢٢٨- محمد ابن شريفة المرجع والصفحة مثل رقم (١٣٧٧) .

٢٢٩- نفس المرجع ص٢٣١ : مثل رقم (١٨٤٦) .

٢٣٠- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٧٣٩) .

٢٣١- نفس المرجع مثل رقم (٤١٨) .

٢٣٢- نفس المرجع والصفحة مثل رقم (١١٤٠) .

٢٣٣- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٤٦٤) .

٢٣٤- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٣٤٨) .

٢٣٥- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٤٥٥) .

٢٣٦- نفس المرجع والصفحة: مثل رقم (١٦٣٠) وهو يوافق المثل الشعبى المصرى على قد لحافك مد رجليك .

٢٣٧- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٢٨٢) .

٢٣٨- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٣٩٣) .

أما علاقة الأندلسيين بالفنون والعلم يقول المقرى[٢٣٩] «فتحقيق الإنصاف فى شأنهم فى هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذى بم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغًا على الناس لأن هذا عندهم فى نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ، ... ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرمون جميع العلوم فى المساجد بأجرة ، فهم يقرمون لأن يعلموا لأن يأخذوا جاريًا ، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه ... وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ... وللفقه رونق ووجاهة ... والشعر عندهم له حظ عظيم ... وإذا كان الشخص بالأندلس نحويًا أو شاعراً فإنه يعظم فى نفسه لامحالة». ويذكر ابن عذارى أن الدولة الأموية اهتمت بتعليم الفقراء فحبسوا كثير من الأقاف لصالح التعليم [٢٤٠].

وفى مجال جمع الكتب وإنشاء المكتبات نشطت الحركة العلمية فى الأندلس ، حيث أظهر الناس ولعًا شديداً بجمع الكتب والتنقيب عن نفائسها ونوادرها حتى قيل أنهم أشد الناس اعتناء بذلك وصار ذلك من سمات النبل والفضل والرياسة لديهم ولو كان جامعها وشاريها لايقرأ ولايكتب[٢٤١].

٢٣٩- المقرى : نفح الطيب :جـ١ : ص٢٢٠-٢٢١ .

٢٤٠- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٣ : ص٢٥٨ ، محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م - نشر دار الفكر ص١١٢ .

٢٤١- سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف بالأندلس : نشر مؤسسة الملك فيصل بالرياض ١٤١٤هـ «أصبحت قرطبة فى عصر الخلافة الأموية منارة للعلم يؤمها آلاف العلماء والطلاب، راجع نفس المرجع ص١١٠- ص١١٢ وقد وصفها ابن بسام بقوله «كانت منتهى الغاية ومركز الراية ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصور وفرسان النثر والنظم بها وأنشأت التأليف الرائعة وصنفت التصانيف الفائقة «ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة جـ١ : ق(١) : تحقيق إحسان عباس دار الثقافة : بيروت الطبعة الثانية : ١٣٩٩ هـ: ص٣٣ - ص٣٤ ، أما المقرى فيقول « ولأهلها رياسة ووقار ، لاتزال سمة العلم متوارثة فيهم ... وهم أشد الناس اعتناء بالكتب ، صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة» المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٤٦٢- ص٤٦٣ .

ولقد كان من أهم المكتبات التى أنشئت فى ذلك الوقت مكتبة الحكم المستنصر والتى قيل عنها أنها كانت تحفة لم يسبق لملك على وجه البسيطة أن ملكها[٢٤٢] وبالإضافة إلى هذه المكتبة فقد كان هناك العديد من المكتبات الخاصة التى عنى بها عدد من الوزراء والعلماء الذين اشتهروا بمكتباتهم[٢٤٣] ولم يكن التعليم فى الأندلس قاصراً على الأولاد دون البنات وإنما كان يشمل البنات أيضًا، وتشير كتب التراجم إلى أسماء بعض المعلمات الأندلسيات[٢٤٤]، كما ذكر ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة أنه تعلم فى صغره على النساء «وهن علمني القرآن ورويتنى كثيرا من الأشعار ودربنى فى الخط »[٢٤٥] ...

وتشير بعض الأشعار إلى استخدام الشدة فى تعليم الصبية يقول ابن خفاجة :

نبه وليدك عن صباه بزجرة ... فلربما أغنى هناك ذكاؤه

وانهره حتى تستهل دموعه ... فى صفحتيه وتلتظى أحشاؤه

فالسيف لايذكر بكفك حدة ... حتى يسيل بصفحتيه ماؤه[٢٤٦]

أما الأمثال الشعبية فقد تناولت موضوع التعليم والمعلمين بعدد كبير من الأمثال التى تنطوى على مدى اهتمام الأندلسيين بالعلم والتعليم فهم يرون أن التعليم وسيلة إلى السعادة والفلاح ومن هذه الأمثال المثل القائل :

٢٤٢- المقرى : المصدر السابق جـ١ : نفس الصفحات ، خوليان رابيرا : التربية الإسلامية فى الأندلس أصولها الشرقية وتأثيرها الغربية : ترجمة د. الطاهر مكى ص١٧٨ ، ص١٩٧ - ص١٩٨ ، ص٢٢٠ ، سعد البشرى : نفس المرجع : ص١١٢ ، عبد الرحمن الحجي: الكتب والمكتبات في الأندلس : بحث نشر فى مجلة الدراسات الإسلامية فى بغداد ١٢٩٢هـ، محمد عبد الحميد عيسى تاريخ التعليم بالأندلس ص١٣٦- ص١٣٨ .

٢٤٣- خوليان رابيرا : نفس المرجع : ص١٩٨- ص٢٢٠ ، سعد البشرى : نفس المرجع : ص١١٢ .

٢٤٤- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس : ص٣٥٣ ترجمة رقم ١٠٤٤ (وهى فخر المعلمة) .

٢٤٥- ابن حزم الأندلسى : طوق الحمامة فى الإلفة والألاف حققه وحرر هوامشه د. الطاهر أحمد مكى الطبعة الخامسة : دار المعارف : سنة ١٩٩٣ : ص٧٩ .

٢٤٦- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٢ ، ٢٠٣ .

من قرأ لن يشقى[٢٤٧] وقد أشارت بعض الأمثال إلى اهتمام الآباء لتعليم أبنائهم وحرصهم الشديد على التعليم واستعمال القسوة فى بعض الأحيان ومن هذه الأمثال القائل لاصبى يحفظ ولا المؤدب يعذر[٢٤٨] وواضح من المثل أن الأندلسيين كانوا لايقبلون عذر المؤدب أو المعلم إذا أهمل أو قصر ... ، ويقولون أيضًا ضرب المعلم للصبى كالماء للزرع[٢٤٩] ومن ربا صغيراً لايندم[٢٥٠] كذلك المثل القائل ولد بلا لقم بحال خبز بلا وشم [٢٥١].

هذا وتشير بعض الأمثال إلى ضرورة التفرغ للتعليم والانقطاع إليه: «من فكر فى شرا بصلة لن يحفظ مسألة»[٢٥٢].

وقد أشارت الأمثال الأندلسية إلى أجرة المعلم[٢٥٣] وتشير الوثائق الأندلسية إلى نماذج لعقود المعلمين أو المؤدبين[٢٥٤] .. وتشير الأمثال إلى الفتوح التى كانت تقدم إلى المعلمين فى المناسبات يقول المثل «ما كان فاللوح، أطرا من فتوح»[٢٥٥] وإلى جانب الفتوح هناك «الحذقة» وهى ما يدفع إلى المؤدب عند حذف القرآن وحفظه[٢٥٦] .. وعلى الرغم من أجور المعلمين فقد ضربت الأمثال فى فقر بعضهم وخاصة فى القرى والبوادى، فضربوا المثل فى الفقر بمؤدب برجة[٢٥٧] .. على أن صناعة العلم كانت مجزية فى الغالب[٢٥٨] فقد اشتهر عدد من

٢٤٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠١ مثل ابن عاصم رقم (٦٩٩) .

٢٤٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٢ : ابن عاصم مثل رقم (٨١٤) .

٢٤٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : رى الأوام جـ٢ : مثل رقم ١٥٤ ص٢٠٢ .

٢٥٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٢ مثل ابن عاصم رقم (٣٨) ، راجع أيضًا : عبد العزيز الأهوانى : أمثال العامة فى الأندلس : ص٢٦٧ .

٢٥٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٣ : مثل رقم (١٣٦٧) .

٢٥٣- راجع محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠١ .

٢٥٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠١ .

٢٥٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠١ مثل رقم (١٣٠٧) .

٢٥٦- النبهدى : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم : ط. الخانجى : سنة ١٩٥٤ ص٢٧٨ .

٢٥٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠١ وهى إحدى قرى الأندلس .

٢٥٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠١ .

المعلمين بالغنى فذكرت كتب التراجم أن مستفاد الشلبوينى النحوى المعروف من الطلبة كان يبلغ أربعة آلاف درهم فى الشهر الواحد[٢٥٩] يقول ابن عاصم «يفرق مال على متعلمين»[٢٦٠] كما صورت الأمثال الشعبية هيبة المعلم وخوف التلاميذ بقولهم «كثير ما يقول الصبيان إذا غاب المعلم[٢٦١] هذا ولم تخل الأمثال من تندر بالمعلمين ، فمنها ما يتهمهم بالمحاباة ومنها يتهمهم ببعض ما لا يليق[٢٦٢] وقد وردت فى ذلك أيضاً بعض الأخبار والقصص [٢٦٣].

وكان الطعام من الاهتمامات اليومية التى يهتم بها الأندلسى ومن أجله كان يصرف جزءاً كبيراً من وقته من أجل تحسين مستوى معيشته وقد عرف الطعام الأندلسى بأنه من أجود الأطعمة وأكثرها أصنافًا وتعدداً . ويرجع ذلك إلى أن الأندلس كانت بلداً زراعيًا وتكثر بها المناطق الرعوية فتوفرت المنتجات الزراعية من غلات الغذاء واللحوم والفواكه[٢٦٤] فكانت مالقة كثيرة اللوز والعنب والتين[٢٦٥] ، كما اشتهرت جليانة من أعمال وادى أشى بالتفاح الجليانى الذى يضرب به المثل فى الأندلس [٢٦٦]، كذلك اشتهر إقليم غرناطة بإنتاج كميات وفيرة من التين والأعناب والخوخ والكمثرى[٢٦٧] ..

٢٥٩- عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة السفر الخامس : تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة- بيروت : ص٤٦٣ ، محمد ابن شريفة نفس المرجع : ص٢٠٢ .

٢٦٠- وهذا المثل يشير إلى كرم بعض الأساتذة والمعلمين تجاه تلاميذهم ، محمد ابن شريفة : نفس المرجع: ص٢٠٢ ، أمثال ابن عاصم رقم (٨٢٨) .

٢٦١- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٣ : مثل رقم (١١١٩) .

٢٦٢- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٣ .

٢٦٣- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٢٦٤- العذرى : أحمد ابن عمر) نصوص عن الأندلس : ص١٢٤ ، ١٢٧ ، فاشتهر التين المالقى والزبيب المنكبى، نسبة إلى مدينة المنكب .

٢٦٥- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب : ص٧٨ حاشية رقم (١)، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب :جـ١ : ص٤٤٢ .

٢٦٦- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب :جـ٢ : ص١٤٨ .

٢٦٧- العمرى : وصف أفريقيا : ص٣٥ ، ابن الخطيب الإحاطة :جـ١ : ص١٠٩ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ص٩١، المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٧٩ ، القلقشندى: صبح الأعشى :جـ٥ : ص٢١٥ .

أما القمح والشعير فقد زرع فى كافة أنحاء الأندلس فذكر ابن الخطيب أن غرناطة كانت بحرا من بحور الحنطة[٢٦٨] أما قرطبة فكان يوجد بها ثلاثة بيوت أرجاء وبكل بيت أربعة مطاحن لخدمة الناس[٢٦٩] كذلك توفرت اللحوم فى البلاد الأندلسية فقد كان يدخل إلى قرطبة سبعون ألف رأس ماعدا البقر فى الأيام التى تجلب فيها الجلاتب إلى قرطبة[٢٧٠] وكانت الأسرة الأندلسية تأكل الخبز المصنوع من القمح يقول ابن الخطيب[٢٧١] «وأما طعامهم فالغالب عليهم القمح والفقراء يقتاتون الذرة العربية».

وقد شاع الترف[٢٧٢] بين طبقة الخاصة فى المأكل فقد تفنن الأغنياء فى طهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة فمثلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها ، فقد كانت تحمر بالجزر والزعفران ، أو تحمر باللوز المدقوق أو تطهى بماء الكزبر الأخضر أو تحمر بالصنوبر والفستق ، كما يسوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول ويضعون بداخلها الطيور المشوية[٢٧٣].

ولكن هذا الإسراف لم يكن موجوداً فى مطابخ العامة من الناس، وخاصة الطبقات الفقيرة التى لم تكن تستطيع عمل ذلك ووصل الحد ببعضهم أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الخلفاء والحكام والأغنياء ويتخذ منه طعامًا لهم[٢٧٤] يسد به رمقه.

٢٦٨- ابن الخطيب : الإحاطة : جـ١ : ص٩٦ ، اللمحة البدرية : ص٢٢ .

٢٦٩- نعمة العزاوى: أبو بكر الزبيدى النحوى : ص٣٠ ، سعد عثمان: المجتمع فى الأندلس: ص٢٦٢ .

٢٧٠- ابن غالب : فرحة الأنفس : ص٢٧ .

٢٧١- ابن الخطيب : الإحاطة : جـ١ : ص١٣٧ .

٢٧٢- راجع أويثى ميراندا: المطبخ الأسبانى المغربى خلال عصر الموحدين ص١٣٧، ١٥٥ هامش ٣ مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٧ ، مجهول : الطبيخ فى المغرب والأندلس : ص٢٠٠ صحيفة معهد الدراسات الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ تحقيق أويش ميرندا المجلد الخامس ص١٣٧ ، ١٥ ، ٢٠٠ .

٢٧٣- مجهول : الطبيخ فى المغرب والأندلس : ص١٣٢ ، ١٥١ ، ١٥٢ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدرية : تقويم حسين مؤنس .

٢٧٤- نفس المصدر : ص٨١ .

وبالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة من العجول والخراف والطيور بأنواعها كان الأندلسيون يتناولون طعامهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل اللمرية والمنكب ومالقه[٢٧٥] ...

وكانت التوابل تستعمل بكثرة فى مختلف أنواع الأطعمة وخاصة فى أنواح اللحوم سواء المطهية أو المشوية أو المقلية ، ومن أشهى التوابل التى استعملها الأندلسيون الفلفل والزعفران[٢٧٦] والقرفة والكزبرة والسنبل والزنجبيل واللوز والدارصينى[٢٧٧] والكمون والكراوية ، كما كانوا يضيفون الخل أيضًا إلى معظم الأطعمة سواء المشوية منها أو المطهية لكى تكسبها رائحة مقبولة[٢٧٨] وكان الأندلسيون لايستعملون السمن فى طعامهم إلا نادراً كما كانوا يفضلون عليه الزيت ، وكان الزيت يدخل فى معظم الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهية وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفًا لحدته[٢٧٩] ...

أما الأجبان فقد استعملها الأندلسيون كثيراً فكانوا يصنعونها من لبن البقر والغنم والماعز والجاموس ولاتؤكل جبن الماجوس لأن ذبائحهم لا تحل للمسلمين [٢٨٠]، وقد اشتملت الأمثال والأشعار الأندلسية على بعض أنواع الفطائر المحشوة بالجبن وقد أطلق عليها اسم المجبنات ومفردها مجبنة وهى عبارة عن طعام يعمل من عجينة خاصة يحشى بالجبنة ويقلى فى الزيت وقارنها المقرى بالقطائف الشرقية . وكانت مدينة شريش مشهورة بتجويد المجبنات[٢٨١] فقد قالوا فى أمثالهم:

٢٧٥- مجهول نفس المصدر : ص١٧٢ ، ١٧٧ .

٢٧٦- اختصت بسطة إحدى مدن إقليم غرناطة بالزعفران ، راجع : الإدريسى نزهة المشتاق ص٢٠٢ ، ابن الخطيب : مشاهدات : ص٣١ هامش رقم (٩) .

٢٧٧- الدارصينى : شجر له قشر يستعمل مسحوقه فى أخلاط التوابل والبهار ، راجع ابن ماجه المحتسب: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : ص٤٣ .

٢٧٨- مجهول : الطبيخ : ص٤٠ ، ٧٩ ، ٨٠، ٨٢ .

٢٧٩- مجهول الطبيخ : ص٤٢ .

٢٨٠- ابن عبدون : ثلاث رسائل فى الحسبة ص٤٢ .

٢٨١- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٣ ، المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص١٨٤ .

من دخل شريش ولم يأكل المجبنات فهو محروم[٢٨٢] وكانوا يشترطون فيها أن تكون ساخنة كما جرت عادتهم أن تؤكل في الصباح مع طعام الإفطار ولهذا شبهوا في أمثالهم الشئ الذي يزهد فيه ويرغب عنه ويقل طلبه والإقبال عليه بمجبنة الظهر[٢٨٣] . إذ يقولون :

«مجبنة الظهر خرج نارها وقل طلابها»[٢٨٤] وقد تناول الشاعر أبو الحسن الدباج الأشبيلي.

إذ يقول[٢٨٥] :

أحْلىَ مواقعها إذا قَربتها ... وبخارها فوق الموائد سامي

إن أحرقت لسا فإن أوارها ... في داخل الأحشاء برد سلام

وجاء في أمثالهم أيضًا :

«انتظار المجبنة أخر من أكلها»[٢٨٦].

وتذكر المصادر أنهم كانوا يستعملون المجبنات في المناسبات كحفلات الأعراس والختان[٢٨٧] كما كانوا يتهادون بها[٢٨٨] خاصة في أوقات النزهة والتي كان يخرج إليها الأساتذة مع طلابهم [٢٨٩]، وقد أولع بعض الشعراء بالمجبنات فوصفوا استادرتها وشبهوها في

٢٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٢٨٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٢٨٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٤٩١) .

٢٨٥- ابن سعيد : المغرب : جـ١ ص٢٦١ .

«هو الأديب الأستاذ أبو الحسن على ابن جابر الدباج كان إمامًا في فنون العربية وكان زاهدا وفيه لوزعية وظرف .

راجع أيضًا المقرى: نفح الطيب : جـ٣ : ص٤٦١ .

٢٨٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٤ : مثل رقم (١١٦) .

٢٨٧- ألفردى دى برمار : مذكرات ابن الحاج النميرى : رسالة ماجستير : جامعة القاهرة غير منشورة: ص١١ ، ص١٢ .

٢٨٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٤ .

٢٨٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

ذلك بالقمر ، يقول ابن مطرف(*) الغرناطي .

وكم مجبنة هام الفؤاد بها   قدم وصورتها من أحسن الصور

كأنها البدر في تدويرها فإذا   شقت على النصف كانت شقة(٢٩٠) القمر

ومن الأطعمة التي ورد ذكرها في أشعار الأندلسيين أيضًا الأسفنج وهو طعام ما يزال معروفًا إلى الآن في المغرب وهو شبه الزلابية في المشرق يقول أبو حفص عمر بن الشهين(*).

أخذي كذا بركاب النيف أنزله   الذي عندي من الأسفنج بالعسل

كذلك وصف الأصم المرواني سفاجًا وشبه صنعته بالكيمياء فقال يتغزل:

لله سفاج بدا لي مسحراً   فأفاد علم الكيميا بيمينه

ذهبت فضة خده بلواحظي   وكذلك تفعل ناره بعجينه(٢٩٢)

ويقول ابن الأزرق من قصيدة قالها بمصر في الشوق إلى أطعمة الأندلس :

ولي إلى الأسفنج شوق   دائم يطربني (٢٩٣)

(*) وهو من شعراء غرناطة المطبوعين وقد قتل في معركة العقاب ٦٠٩هـ، وترجم له الضبي في كتابه البغية فقال عنه شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء ، كما ذكره الفتح في كتاب المطمح ، كما ترجم له ابن دحيه في كتابه المطرب ، راجع : ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب : جـ٢ : ص١٢٠ .

٢٩٠- ابن الأبار : المقتضب من تحفة القادم : تحقيق ابراهيم الأبياري: المطبعة الأميرية القاهرة : سنة ١٩٥٧ : ص٩٨ .

٢٩١- ابن بسام : الذخيرة : ١-٢ : ص١٨٧ .

(*) هو أبو حفص عمر ابن شهيد الوزير الكاتب ، كان فارس النظم والنثر راجع ابن بسام: الذخيرة ١-٢: ص١٨٠ .

٢٩٢- المقري : نفس المصدر : جـ٥ : ص١٣١ .

٢٩٣- المقري : نفح الطيب : جـ٤ : ص٢٧٩ .

هذا وتعبر بعض الأمثلة الأندلسية عن الأطعمة المختلفة يقول المثل الأندلسي: «قنبيط لن يفبيط » وهو يشير إلى عجز الفقراء عن شراء اللحم[٢٩٤] ويقولون أيضاً «افتح كرنب مقتلكم أن اللحم غال»[٢٩٥] كما تمثلوا بنفس المعنى أيضاً : بالأسباخ تستغنوا عن الفراخ[٢٩٦] كذلك تشير بعض الأمثال عن عجز الفقراء عن شراء حتى الخضر يقول المثل «الأجر درهمين والبقل من أين»[٢٩٧].

الاحتفالات الدينية

احتفل المسلمون في الأندلس بالعديد من الأعياد والمناسبات الدينية المختلفة ومن هذه الاحتفالات التي احتفل بها الأندلسيون ، حلول شهر رمضان المبارك حيث كانوا يحتفلون بحلوله بأن يخرج القضاة والفقهاء وأئمة المساجد لاستطلاع هلال رمضان ويذخر هذا الشهر بمجالس الذكر والعلم وذلك بإقامة الحلقات الدينية[٢٩٨] والإكثار من قراءة القرآن والصلاة في المساجد وفي هذا الشهر الكريم تزداد العناية بإنارة المساجد بالمصابيح ذات الألوان [٢٩٩].

وكان الأندلسيون يعتبرون شهر رمضان موسماً لتفريق الصدقات وكان الخليفة هو قدوتهم وسابقهم إليها [٣٠٠].

ويصف بروفنسال مشهد الشوارع بعد الإفطار خلال شهر رمضان فيقول أنها كانت تضج بالحيوية وتظل المتاجر مفتوحة لوقت متأخر من الليل والباعة الجائلون والحلوانية وباعة المشروبات يجتهدون في إرضاء عملائهم [٣٠١].

٢٩٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٦ مثل رقم ١٧٨٤ .

٢٩٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٦ مثل رقم (٣٩٣) .

٢٩٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٦ مثل رقم (٥٨٤) .

٢٩٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : مثل رقم (١٨٤) .

٢٩٨- التادلي : (أحمد ابن القاسم) : كتاب المعزى في أخبار مناقب الشيخ سيدى أبي يعزى : رقم (١٢٤٩) دار الكتب المصرية : مخطوط : ورقة رقم (٧) .

٢٩٩- غوستاف لوبون : حضارة العرب : ترجمة عادل زعيتر بيروت سنة ١٩٧٩ ، ص٥١٠ .

٣٠٠- ابن حيان المقتبس: تحقيق الحجي : ص٢٣ .

٣٠١- Levi Provencal. Hist, Esp. Musul., vol . III , p. 436 .

كذلك احتفلوا فى ليلة السابع والعشرين من رمضان بليلة القدر وفيها كانت توقد الشموع فى المساجد (٣٠٢) ويحتفل المسلمون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها (٣٠٣) .

وفى نهاية شهر رمضان يحتفل الأندلسيون بختم القرآن ويسميها المقرى الختمة وفى هذه الليلة تكثر إضاءة المساجد والجوامع بالشموع والقناديل ويطلق البخور احتفالاً بهذه المناسبة(٣٠٤) ومن الليالى المباركة أيضًا لدى المسلمين عامة ليلة النصف من شعبان (٣٠٥) ويصفها ابن عبدون الأشبيلى بأنها من الأيام العظيمة وفيها كان يصدر عفو عن المسجونين فى الأندلس (٣٠٦) أما عيد الفطر المبارك فكان يأتى كما هو معروف فى غرة شهر شوال عقب نهاية شهر رمضان ويذكر ابن حيان أن تحديده كان من اختصاص قضاة كور الأندلس وأهل الشورى (٣٠٧) ، فكان يخرج القضاة والفقهاء لاستطلاع هلال شوال وإعلان انتهاء شهر الصوم، غير أنه كان يحدث أحيانًا اختلاف بين قضاة الكور والأقاليم حول رؤية الهلال (٣٠٨).

هذا وقد قدم الشعر الأندلسى صورة صادقة لاحتفالات الأندلسيين بأعيادهم الدينية والاجتماعية فكان القمر ملهمًا للشعراء خاصة حين يعنى ظهوره نهاية شهر رمضان .

٣٠٢- العمرى : مسالك الأبصار : تحقيق أحمد زكى باشا : القاهرة : سنة ١٩٢٤م : ص٢١٤ .

٣٠٣- الطرطوشى : (أبو بكر محمد الوليد ابن محمد ابن خلف الفهرى) : الحوادث والبدع : تحقيق الطالبى : تونس سنة ١٩٥٩: ص.١٤٠ .

٣٠٤- المقرى : نفح الطيب : جـ٢ : ص٨٨ ، تحقيق يوسف البقاعى: بيروت سنة ١٩٨٦م .

٣٠٥- وهى من الليالى المباركة وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صومها «عن على رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من مسترزق فأرزقه ؟ ألا من مبتلى فأعافيه ؟ ألا كذا ألا كذا ؟ حتى يطلع الفجر »رواه ابن ماجه انظر الإمام المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريفة : جـ٢ ص٣٢ .

٣٠٦- ابن عبدون : رسالة القضاء والحسبة : ص.١٨٠ .

٣٠٧- ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى : ص٢٨ .

٣٠٨- ابن حيان : المقتبس : نفس المصدر والصفحة ، سحر سالم : مظاهر الحضارة فى بطليوس : رسالة دكتوراه غير منشورة ، جـ١ : ص٢٥٥ .

وفى الاحتفالات بعيد الفطر الذى يعقب شهر الصوم[٣٠٩] يقول أبو الحسن بن الزقاق[٣١٠].

وشهر أدرنا لإرتقاب هلاله ... جفونا إلى نحو السماء مواثلاً

إلى أن بدأ أحوى المدامع أحور ... يجر لأزيال الشباب ذلاذلا[٣١١]

أما أبا الحسن بن هارون من إمارة شنتمرية الغرب فيقول :

يالبلة العيد عُدت ثانية ... وعاد إحسانك الذى أذكرْ

إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى ... هلالك النضو ناحلاً أصفر[٣١٣]

وفى يوم عيد الفطر يستيقظ الناس- عادة- فى الصباح الباكر فيتجهون إلى المصلى خارج المدينة من كل باب من أبوابها لأداء صلاة العيد[٣١٤]، ويذكر الطرطوشى أنهم كانوا يصحبون

٣٠٩- هنرى بيرس (الشعر الأندلسى) : ص٢٠٢ .

٣١٠- أبو الحسن على ابن عطية ابن مطرف ابن سلمة المعروف بابن الزقاق المتوفى سنة ٥٢٨هـ ١١٣٣م أو ٥٣٠هـ- ١١٣٥م وسنه تقارب الأربعين ولد فى بلنسية فى فترة عصيبة من تاريخها الإسلامى، إذ كانت إذ ذاك تحت سلطان السيد القمبيطور ولهذا سمى البلنسى ، وقد أدرك ابن الزقاق تحرير بلنسية وعودتها إلى الإسلام على أيدى المرابطين ويسمى ابن الزقاق باللخمى لأنه عربى النسب من ناحية الأب بربرى الأم التى تنسب إلى قبيلة هوارة البربرية وقد درس ابن الزقاق دراسة طيبة على أيدى شيوخ أجلاء ، راجع ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص١٩ ، ٢٠ هامش رقم (١) .

٣١١- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص٢٠ .

٣١٢- وهو أبا الحسن ابن هارون وجده لأمه أبو الحسن ابن الاستجى وقد أنخدع لهم الزمان وأسكت عن ذكرهم على يدى المعتضد عباد ابن محمد».

راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص١٨ .

٣١٣- ابن الأبار : نفس المصدر : جـ٢ : ص١٩ .

٣١٤- كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى- الحادى عشر الميلادى) . دراسة فى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية مؤسسة شباب الجامعة : ص٧٩ .

تمعهم نساءهم وأطفالهم، حيث ينصبون الخيام على مقربة من المصلى، لمشاهدة مظاهر فرحة العيد[٣١٥].

وفى العيد كان الناس يهنئون بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى ولذلك يرى الطرطوشى أنه من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس فى هذا اليوم على ابتياع الحلوى[٣١٦] كذلك يرى الطرطوشى أنه من البدع أيضًا خروج الرجال جميعًا أو أشتاتًا مع النساء مختلطين للتفرج فى أيام العيد، ويخرجون للمصلى ويقمن فيه الخيم للتفرج لا للصلاة[٣١٧].

أما الاحتفال الرسمى من قبل الخلفاء بالأعياد فقد أطنب فى وصفها ابن حيان[٣١٨].

فكان الخطباء والشعراء الأندلسيون يشاركون فى الاحتفال بالعيد فيقومون أمام الخليفة فى مجلسه مرتجلين منشدين فيكثرون ويطيلون فى أشعارهم ، يقول الشاعر محمد بن حسن الطبنى[٣١٩]..

ما أنت إلا نعمة الله التى هى للغنى وللفقير المرتجى
ولك البقاء فإن عيشك رحمة للمسلمين وظل عيشى سجسج
فابهج بفطرك فى السرور ولاتزال تطوى وتنشر ألف فطر مبهج[٣٢٠]

٣١٥- الطرطوشى: الحوادث والبدع : ص١٤١ ، أحمد الطوخى مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة : رسالة دكتوراه غير منشورة : آداب الاسكندرية ١٩٧٨م. ص٨٩ ، أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس : مجلة عالم الفكر، مجلد ١٠ عدد ٢ الكويت سنة ١٩٧٩ ص٣٩٠، ٣٩١ .

٣١٦- الطرطوشى : نفس المصدر : ص١٤٠ .

٣١٧- الطرطوشى : نفس المصدر : ص١٤١ .

٣١٨- ابن حيان المقتبس : تحقيق الحجى : ص٦٠ ، ٦١ ، ص٩٤ ، ص١٨٤ .

٣١٩- هو من طبنة بلد من أرض الزاب فى عدوة الأندلسيين وينقل ابن سعيد قول ابن حيان فيه «كان شاعراً عالمًا بأخبار العرب وأنسابهم كان فى أيام الخليفة الحكم وله أولاد مشهورون فى الأدب والفضل وعاش حتى سنة ٣٩٤هـ واتصل بالعمرين، عنه راجع : ابن حيان المقتبس تحقيق الحجى: ص٨٢ هامش رقم(٧).

٣٢٠- ابن حيان : نفس المصدر : تحقيق الحجى : ص٨٣ .

وكان الأندلسيون يحرصون على ارتداء الثياب الجديدة وتستخدم النساء العطور المختلفة كما كن يحرصن على تكحيل العيون والتخضب بالحناء .

يقول أبو بكر محمد بن عياض القرطبى الشاعر عن امرأة يحبها:

وعلقتها فتانة أعطافها ... تزرى بغصن البانة المياد

من للغزالة والغزال يحسنها ... فى الخد أو فى العين أو فى الهادى

خضبت أناملها السواد وقلما ... أبصرت أقلاما بغير مداد(٣٢١)

وتقوم المرأة بارتداء أفضل الثياب وأغلاها والتحلى بالذهب والحلى، وعقب الصلاة يتجهون إلى المقابر لزيارة موتاهم والترحم عليهم(٣٢٢).

ويقول الونشريشى إلى أنه من البدع المستحسنة فى بلاد الأندلس والمغرب قول الرجل للآخر فى العيد يتقبل الله منا ومنك وغفر لى ولك(٣٢٣) أما عيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتأنق سواء فى الطعام أو الشراب أو الملبس أيضًا ، فيذكر ابن عبد الرؤوف أن كل أسرة فقيرة أو غنية كانت تحرص على تقديم الأضحية ، خروفًا على الأقل وقد جرى التقليد على شراء الأضحية قبل النحر بيوم أو يومين(٣٢٤) وكان النحر مادة للتفاخر بين الأسر الأندلسية حيث يذكر الطرطوشى «أن الناس يتنافسون فى الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا(٣٢٥).

٣٢١- المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص٩١ .

٣٢٢- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : جـ٢ ص٥٠١ ، ليفى بروفنسال: الشعر الشعبى العربى فى أسبانيا ضمن سلسلة محاضرات عامة : ص٣٣ ترجمة عبد الهادى شعيرة مطبوعات جامعة الإسكندرية ١٩٥١ .

٣٢٣- الونشريشى : أبو العباس أحمد يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس : مطبعة الشافعة بدون تاريخ فاس : جـ٢ : ص٤٦١ .

٣٢٤- ابن عبد الرؤوف : ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ص١١٠ .

٣٢٥- الطرطوشى : (أبو بكر محمد) الحوادث والبدع : ص١٤٢ .

هذا ويشير ابن قزمان فى أحد أزجاله إلى أن مجئ العيد يقترن بالغلاء وارتفاع الأسعار نتيجة لشدة الإقبال على شراء احتياجات الأسر فى مثل تلك المناسبات الهامة(٣٢٦).

كما يصور لنا ابن قزمان فى أزجاله كبش العيد وفرحة الناس وفرحته هو بكبش العيد وطرق طهيه كما يصور لنا منظراً من مناظر المدن الأندلسية فى القرن السادس لايزال قائمًا حتى اليوم فى كثير من المدن الإسلامية ، فقبل عيد الأضحى ببضعة أيام تساق الخراف من كل مكان إلى ميادين تسور بأخشاب ثم يذهب الناس يوم منى إلى هذه الأسواق مزدحمين، يقلبون الخراف ويساومون البائعين ، ويدفعون ثمن ما اعتزموا شراءه وينادون الحمالين ، فيرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضى به إلى بيت المشترى ، أما من فاتهم الشراء لفقرهم فينتظرون يومًا تقام فيه (فى الحارات) حفر تشوط فيها رؤوس الخراف ويقبل الفقراء على شرائها ، صورة لاتزال موجودة إلى اليوم فى بلاد المغرب (٣٢٧).

ويقول ابن قزمان :

حبيبى كبش العيد أنا حريفك(*)	ليس تصطحى تنفر ! إرحم ضعيفك
أش حال جبينك أش حال صديفك(*)	أش حال شوياتك أش حال قديدك!

وفى زجل آخر يقول(٣٢٨) :

كبش باسم الضحية يشتريه كل مرتاد	فهو ظاهر لله والقصد فرح الأولاد
أش يقاس الإنسان من مرارة الأعياد	بالخروج للمحصى تنطفى زى الأحرار(٣٢٩)

٣٢٦- عبد العزيز الأهوانى : على هامش ديوان ابن قزمان مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ٧٦- ١٩٧٨م ص٥٩ .

٣٢٧- عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس : ص٧٩- ص٨٠ وانظر أزجال ابن قزمان ، زجل رقم ٨، ٤٨ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١، ١١٨ .

(*) حريفك أى معاملك كما ورد فى المعاجم العربية .

(*) صديف نطق عامى لكلمة سديف العربية ، وهى اللحم وإن خص بسنام الجمل ، نفس المرجع : ص٧٨ ص٧٩ .

٣٢٨- عبد العزيز الأهوانى : نفس المرجع ص٧٩ .

٣٢٩- عبد العزيز الأهوانى : المرجع السابق ص٧٨ .

على أن عامة الأسر الأندلسية مهما كان مستواها المعيشى تهتم بشراء كبش الضحية ، كمظهر من مظاهر اتباع السنة وإدخال الفرح والسرور على أهل البيت [٣٣٠].

أما يوم عاشوراء ، فقد كان الأندلسيون يحتفلون به فى العاشر من المحرم (ذكرى مقتل الحسين بن على سنة ٦١هـ) وكانوا يتوسعون فى النفقة والعطاء فى هذا اليوم ليكايدوا الشيعة، يقول الونشريشى أنهم يعدون طعامًا معلومًا لابد من فعله فى تلك المناسبة[٣٣١].

وقد قال أحد فقهاء الأندلس للأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (الأوسط) ٢٠٦هـ-٢٣٨هـ فى ليلة عاشوراء .

لاتنس ، لينسك الرحمن عاشوراء ... واذكره لازلت فى الأخبار مذكوراً

من بات ليل عاشوراء ذا سعة ... يكن بعشيته فى الحول مجبوراً

فأرغب فديك فيما فيه رغبنا ... خير الورى كلهم حيًا ومقبوراً[٣٣٢]

وكانت صلاة الاستسقاء تقام فى الهواء الطلق ويتهيأون فى قرطبة لهذه المناسبة[٣٣٣].

خرجوا ليستقوا فقلت لهم ... دمعى ينوب لكم عن الأنواء

قالوا : حقيق فى دموعك ... لكنها ممزوجة بدماء

وعلاوة على هذه الاحتفالات ، كان أهل الأندلس يحتفلون بالمولد النبوى الشريفة (فى الثانى عشر من ربيع الأول) والذى لم يبدأ الاحتفال به إلا فى عصر متأخر (حوالى أواخر القرن السابع هـ/ ١٣م)[٣٣٤] ويشير الونشريشى إلى أن هذا الاحتفال لم يسلم من البدع

٣٣٠- كمال السيد مصطفى : مالقة الإسلامية : ص٨١ .

٣٣١- الونشريشى : المعيار : ج١١ : ص٢٨٠ ، محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، مجلة المعهد المصرى بمدريد، عدد ٢ سنة ١٩٥٤ ، ص١٧٧- ص١٧٨ .

٣٣٢- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص١١١ .

٣٣٣- توجد روايات نثرية حول صلاة الاستسقاء هنرى بيرس الشعر الأندلسى : ص٢٧٣، راجع المقرى: نفح الطيب جـ١ : ص٥٧٢ .

٣٣٤- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص٨١ .

ومنها إعداد أطعمة فى المولد النبوى ، واختلاط الرجال بالنساء واستعمال آلات اللهو والطرب عند الاجتماع فى تلك الليلة ، وإن كان يكثر فى هذا اليوم تفريق الصدقات على الفقراء والتوسعة على الأبناء فى الطعام[٣٣٥] . كما أن بعض الناس كانوا يوصون بجزء من أملاكهم لإقامة ليلة المولد النبوى[٣٣٦]. وبالإضافة إلى الأعياد والمناسبات الدينية السابقة ، اهتم الأندلسيون بالاحتفال ببعض المناسبات الاجتماعية ومن هذه الاحتفالات عيد العصير[٣٣٧] وهو احتفال شعبى يقام عند جمع محصول العنب وعصره ، فكان الأهالى يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول يقول ابن الخطيب[٣٣٨] «وعادة أهل هذه المدينة- يقصد أهل غرناطة - الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معولين فى ذلك على شهامتهم وأسلحتهم» ويحصد العنب ويعصر وسط احتفال شعبى يسوده المرح والغناء والرقص ، كما كانت أيام العصير فرصة يعقد فيها الشعراء والأدباء مجالس الأنس يقومون خلالها بإلقاء القصائد الشعرية التى تصف ابتهاج الأهالى بعيد العصير [٣٣٩].

ولابن قزمان تصوير جميل لنزهات خلوية أيام العصر فكان ابن قزمان يشارك فى تلك

٣٣٥- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع والصفحة ، سحر سالم : مظاهر الحضارة فى بطليوس الإسلامية ، ص٢٥٧ ، ص٢٥٨ ، العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس : ص٣٩١ ، الونشريشى نفس المصدر: جـ١١ ، ص٢٧٨- ، ٢٧٩.

٣٣٦- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص٨٢، الأحباس فى الأندلس : ص٥٤ ، يذكر الونشريشى أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى الغرب الإسلامى هو أبو القاسم العزفى، صاحب سبتة فى أواخر القرن السابع الهجرى: الونشريشى: المعيار : جـ١١ : ص٢٧٩ .

٣٣٧- يلاحظ أن كلمة عصير لم تطلق على عصير العنب فقط بل على التين الرطب أيضًا راجع : ابن الخطيب : لسان الدين ابن الخطيب فى المغرب والأندلس : ص٩٣ ، حاشية ٢ ، والعصير هو الذى يسمى بالأسبانية Vendimia ، راجع الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص٩٩ .

٣٣٨- ابن الخطيب : الإحاطة : جـ١ ص١٣٨ : اللمحة البدرية ص٤٠ .

٣٣٩- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : تحقيق إحسان عباس : قسم١ مجلد ٢ ص٨٨٢، ابن الخطيب : الإحاطة : جـ٢ : ص٥٠٦ يذكر ابن الخطيب فى ترجمته للفقيه أبو الحسين شاكر بن الفخار المالقى أنه كان له موضع يخرج إليه فى فصل العصير ، أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس : ص٣٩١، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة : جـ٢ : ص١١٧ .

النزهات فيعطينا صورة عن هذا العيد حيث يخرج النساء والرجال ومعهم آلاتهم الموسيقية ، يغنون ويرقصون ، ويعبثون ويستحمون فى النهر وقد ارتدى كل واحد فيهم أجمل ما عنده يقول(٣٤٠) ابن قزمان وهو يحمل لهذه الأعياد أجمل الذكريات .

عَهْدِ بالقرىّ إذ كنا خلاف | لافقى ولاجاج لمن كنا نخاف
ونروح ونغدوا فجوها نظاف | كل يوم نسراه وفرح جديد
أى دويل كانت لو أن تدوم | من مليح تجلس وأخرى تقوم
ورشيد تغطى ومهتيج تعوم | قبل كيحبين هرون الرشيد

أما أبو بكر بن القوطية فقد أورد لنا أبياتًا من الشعر توجه بها إلى الوزير أبى عامر بن مسلمة ذكر لنا فيه الأعياد الثلاثة الكبرى فى أسبانيا الإسلامية فقال:

دمت للمهرجان والعيد والنيروز | ألفا من الحوادث سالم(٣٤١)

الأعياد المسيحية :

ومن الملاحظ أن المسلمين فى الأندلس شاركوا النصارى المستعربين فى أعيادهم واحتفالاتهم، وهذا من دلائل سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون نحو أهل الذمة(٣٤٢) ومن أهم الأعياد المسيحية : عيد النيروز أو النوروز «عيد الربيع» ويعتبر الأندلسيون الليلة التى تسبق عيد(٣٤٣) النيروز أنسب وقت للدخلة بالعروس(٣٤٤) ويعدون فيها خبزاً على شكل مدن تحيط بها أسوار، وقد وصفها أبو عمران موسى الطريانى بقوله(٣٤٥) :

٣٤٠- الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص٩٩ .

٣٤١- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٧١ .

٣٤٢- العبادى نفس المرجع : ص٣٩١ . سحر سالم: مظاهر الحضارة فى بطليموس: ص٢٦٢- ص٢٦٣ .

٣٤٣- عيد النيروز من المؤثرات الفارسية الواضحة فى العصر العباسى الأول ويطلق عليه فى الفارسية نوروز وهو عيد قديم من أعياد الفرس ورأس الشمس عندهم كما أنه عيد الربيع لأنه موافق أوله ويحدده هنرى بيرس بأول يناير : راجع :

Levi Provencal ; Histoire ; III . p. 438 .

Henri Peres , la poesie An dalouse , paris, 1953 . p. 303 .

٣٤٤- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٧١ .

٣٤٥- هنرى بيرس : المرجع السابق : ص٢٧١ .

مدينة مسورة ... حار فيها السَّحَرة

لم تَبْنِها إلا يد ... عذراء أو مخدَّرة

بدتْ عروسًا تجتلى ... من درمك(*) مزعفرة

كما كان الناس يتهادون فى عيد النيروز ويتبادلون التهنئة به- أحيانًا- عن طريق بعض الأبيات الشعرية التى يبعثون بها إلى الأصدقاء يقول الشاعر عبد المعطى بن محمد وهو من شعراء عصر الطوائف يهنئ أحد أصدقائه بالنيروز :

هو النيروز أمك للتهانى ... وليبشرى بمقتبل الزمان

فهناك المهيمن ما حباه ... وتحبوه على ناء ودان[٣٤٦]

ومن أعياد النصارى أيضًا فى الأندلس عيد العنصرة وكانوا يحتفلون به فى المدن وفى الريف فيجرون النيل وتقوم النساء برش بيوتهن ويخرجن ثيابهن إلى الندى بالليل ويغتسلن فى ذلك اليوم ويتركن العمل وحتى أصحاب المكاتب يأخذون الهدايا من الصبيان ويصرفونهم أيام هذا العيد ويفيد الجرسفى بأن السفلة والصبيان فى الأندلس اعتادوا فى هذا اليوم رش الماء فى الأسواق والشوارع وتزليق الطرق واللعب بالمقارع والعصى فى الشوارع[٣٤٧].

كذلك شارك المسلمون فى الأندلس النصارى المستعربين فى الاحتفال بيوم ميلاد المسيح عليه السلام (عيد الميلاد) وعيد يناير أو رأس السنة الميلادية وخميس أبريل (خميس العهد) وليلة العجوز[٣٤٨].

هذا وقد أشارت الأمثال الشعبية إلى هذه الأعياد وما يتصل بها من احتفالات فتكون فرصة مناسبة لتبادل الزيارات وسماع الأخبار والروايات وقد عبرت هذه الأمثال عن ضيق

(*) الدرمك : هو الدقيق الفاخر ، راجع السقطى : رسالة من الحسبة ص٢٨ .

٣٤٦- ابن خاقان : مطمع الأنفس : ص٩٨ .

٣٤٧- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ص٣٤٩ ، أحمد بدر تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى: ص٢٢٩ .

٣٤٨- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص٨٧ .

الأندلسيين بهذه العادات بالإضافة إلى زيادة نفقات الأسرة التي كانت ترهق كاهل رب الأسرة ومن هذا قولهم :

«جئ العيد بخبز البارد وسلام المسوس» [٣٤٩].

وكان عيد الأضحى وما يزال مقرونًا بكبش العيد، وهو كلفه كان ينوء بحملها كثير من الناس يقول المثل :

«سليخة دم، وزيل الهم»[٣٥٠] وتمثلوا أيضًا بالمثل القائل «كباش الضحايا ، ما لهم بقايا»[٣٥١].

أما يوم عاشورا فكان الأندلسيون يعتبرونه عيداً للفاكهة يقول المثل «أخبار التين باللوز والشريح بالجوز»[٣٥٢].

وقد تمثل الأندلسيون بمثل بمناسبة الاحتفال بشهر شعبان وفيه إشارات إلى مآدب ذلك الشهر الفضيل يقول المثل :

«من يعطيك العيد تفرح به» [٣٥٣].

ويقولون أيضًا «أقل للمحروم أتقصص ، قال بعد الضحية أرخص»[٣٥٤] وهذه الأمثال تشير إلى بؤس الفقراء وحالهم .

وكانت هذه الأعياد سببًا في بعض الأحيان للشقاق والخلاف بين الزوجين فيذكر ابن مسعود القرطبي[*] في قصيدة ما طلبته زوجته من شراء لوازم العيد وتوعدته بالعقاب إن لم يجئ بما طلبته يقول الشاعر[٣٥٥] :

٣٤٩- محمد بن شريفة : مثل رقم (٧٨٤) ص٢٠٦ .

٣٥٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٧ أمثال ابن عاصم رقم (٤٣٩) .

٣٥١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٧ مثل رقم (١١٥٥) .

٣٥٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٧ مثل رقم (٣٦٤) .

٣٥٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٩ مثل رقم (١٥٢٩) .

٣٥٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : نفس الصفحة مثل ابن عاصم رقم (٢٣٧) .

(*) كان رحمه الله ظريفًا في أمره ، كثير الهزل في نظمه ونثره . راجع ابن بسام: الذخيرة : ق١ - جـ٢ : ص٦٦ .

٣٣٥- ابن بسام : نفس المصدر : ق١ - جـ٢ : ص٧٨-ص٧٩ .

وجُزْ بالفتى الجزّارُ وأخترهْ هابـلاً بقدّ ابن فَتْوِي أي بكـــرِ المُضْنَــىَ
ولابد من أترجه صعتريـــــه وأياك أن تنس التوابـــل والحنـــى
فقلت وأين النفذّ يا ابنة عـــزة لقد جئتها بلقاء منتنــة فنتّـــا
فقالت أديـــب شاعـــر متفـــان حوى من حظوظ الظرف في زعمه الأنس

أما العيد الموسمي وهو عيد العنصرة كما يسميه العامة فقيل فيه المثلان التاليان :

«الكبش المصوف ما يكفز العنصرة »[٣٥٦] و«كفزها بحل عنصر »[٣٥٧] وجاء في أمثالهم ما يشير إلى ابتهاجهم لهذا العيد يقول المثل :

«خروجك من ينيراً خير من خروجك من العنصر » [٣٥٨]. ويقول ابن قزمان مؤكداً نفس معنى المثل هذا عنصر قد جاكما رأيت وهذا موسم[٣٥٩] .

وسائل اللهو والطرب

لم يكن الاحتفال بالأعياد يتم وفق نظام معين[٣٦٠] فكانت الأعياد الدينية يحتفل بها في المساجد كما سبق أن ذكرنا حيث كانت تتلى آيات من القرآن الكريم وينشد الشعراء القصائد إلى جانب الموشحات الدينية وحلقات الذكر ثم تفرق الحلوى. فقد جرت العادة أن يحتفل الأندلسيون بأعيادهم بوسائل مختلفة أهمها الاحتفالات الدينية والاجتماعية المختلفة وألعاب الفروسية ومصارعة الوحوش وحفلات الصيد والغناء والرقص .

أما ألعاب الفروسية ومصارعة الوحوش ، فكانت منتشرة في المدن الأندلسية فكانت توجد في غرناطة عدة ساحات للمصارعة مثل ساحة باب الرملة[٣٦١] وساحة باب الطوابين[٣٦٢]

٣٥٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٨ مثل رقم (٣٧٣) .

٣٥٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٩١٤) .

٣٥٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٩١٤) .

٣٥٩- الأهواني : الزجل (زجل رقم ٦٧) .

٣٦٠- D. A. M. El Abdady : El Reino de Granada en le Epoco de Mohammed ., V. p. 157-158 .

٣٦١- العمري : مسالك الأبصار : (وصف أفريقية والأندلس) ص٤٠ .

٣٦٢- العمري : نفس المصدر والصفحة ، القلقشندي : صبح الأعشى: جـ٥ : ص٢١٤ .

حيث كانت تقام فى هذه الأماكن دائرة خشبية فى الهواء تسمى الطبلة ويأخذ الفرسان فى قذفها برماحهم أثناء ركضهم بخيولهم [٣٦٣]. أما مصارعة الوحوش فكانت تجرى على طريقتين ، الطريقة الأولى كانت حربًا بين الثور والأسد[٣٦٤] والطريقة الثانية بين الثور والإنسان[٣٦٥] وكانت منتشرة بين الخاصة من الناس وهذه اللعبة تقوم على أن يطلق الثور أو بقر الوحش كما يسميه ابن الخطيب ، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة فتأخذ فى نهش جسمه وأذنيه وتتعلق بهما فى صورة القرط من آذانهما[٣٦٧].

وهذا العمل التمهيدى كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور وتهذيب حركته وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيداً للقاء المصارع الذى كان فارسًا مغواراً يصارع الثور وهو على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه[٣٦٨].

أما الصيد :

يعتبر الصيد والقنص من وسائل التسلية الهامة فى المدن الأندلسية، فلاشك أن طبيعة الأندلس كانت مجالاً مناسبًا لصيد العديد من الحيوانات والطيور ومن أهمها الغزلان والأيائل

٣٦٣- أحمد مختار العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة ص١٤١ . مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد: المجلد الخامس عشر : ١٩٧٠م وكانت هذه اللعبة تشبه لعبة القبق فى مصر على عهد المماليك : المقريزى : الخطط : جـ٢ ص١١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٨ : ص١٦ .

٣٦٤- العبادى : الأعياد فى غرناطة : ص١٤١ .

٣٦٥- العبادى : نفس المرجع والصفحة .

٣٦٦- كلاب اللان هى الكلاب المعروفة فى اللغة الإنجليزية وواضح من اسمها أنها كلاب الثيران Bull-doges .

٣٦٧- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب : نشر أحمد مختار العبادى : ص٦ حاشية (١)، العبادى الأعياد فى مملكة غرناطة : ص١٤٢ .

٣٦٨- العبادى : المرجع السابق : نفس الصفحة : ما زالت هذه اللعبة موجودة فى أسبانيا إلى اليوم وهو ما تشتهر به أسبانيا ضمن أماكنها السياحية فيأتيها السياح من كافة أنحاء العالم لمشاهدة آثارها ومناظر جنوب أسبانيا الخلابة كان ذلك من رؤيتى الشخصية أثناء زيارة إلى أسبانيا ١٩٨٢ .

والأرانب البرية والشواهين والبزاة والخنزير الجبلى وغير ذلك من الحيوانات والطيور التى اشتهرت بها الأندلس[٣٦٩] .

هذا وقد لاقى الصيد سواء بالكلاب أو الصقور تقديراً كبيراً من الأندلسيين ، وكان الخلفاء الأمويون ومن بعدهم ملوك الطوائف شغوفين بهذا اللون من الصيد [٣٧٠].

«وكان صاحب البيزرة فى العصر الأموى يهتم بصيد الخليفة فى الفترة التى تكثر فيها الغرانيق فى سهل الوادى الكبير»[٣٧١].

وقد كان الخاصة من الأندلسيين يجدون فى الصيد متعة لهم أيضًا ووسيلة من وسائل اللهو، فكانوا يخرجون فى نزهات لصيد طير الباز وهو نوع من الصقور فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته وخاصة حول لشبونة وفى جبال الشرق والجزائر الشرقية ، ويقدم كتاب تقويم قرطبة لعريب بن سعد معلومات جيدة عن تربية الصقور[٣٧٢] .

كذلك تشهد الصور التى تضمنها النقوش والرسوم التى على علب العاج ، وتعود إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، بأن الشغف بالصيد فى تلك الأيام ما يزال بالغ القوة وهو ما تؤكده الوثائق المكتوبة، سواء حررها المؤرخون أم قصائد أنشدها الشعراء .

يقول المعتمد طالبًا من والده أن يأذن له بالقيام برحلة صيد يصطاد فيها أرانب[٣٧٣] برية وحجلاً :

٣٦٩- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص١٨٨ : تحقيق يوسف البقاعى١٩٨٦، تحقيق إحسان عباس : جـ١ ص١٩٨-١٩٩ ، راجع : سالم : صور من المجتمع الأندلسى ، ص٧٠-٧٢ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ص٣٠٦-ص٣٠٧ .

٣٧٠- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٠٧ .

٣٧١- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٣٧٢- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٠٧- ص٣٠٨ راجع عن تربية الصقور غريب بن سعد القرطبى: تقويم قرطبة : نشر مع ترجمة فرنسية. دوزى ليدن: أبريل الطبعة الجديدة ١٩٦١ ص٢٥ شهر يناير ، ص٤١ شهر مارس ، ص٥٨ شهر مايو ، ص٩٢ شهر سبتمبر .

٣٧٣- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٠٧ ، راجع ديوان المعتمد بن عباد ص٣٢ : ص٤٢ .

وساعة للزمان مسعفه		قنصت فيها أرانبًا وحجلْ

فلا أرانى الإله منك رضًا		إن لم أصد من عداك كل بطل[٣٧٤]

ويقول ابن وهبون[٣٧٥] فى وصف البزاة .

للصيد قبلك سنّة مأثورة		لكنها بك أبدعُ الأشياء

تمضى البزاة وكلما أمضيتها		عاطيتها بخواطر الشعراء

أما لعبة الشطرنج ، فتشير بعض المصادر إلى انتشار لعبة الشطرنج بين أهل الأندلس سواء من المسيحيين أو الأندلسيين وكان المعتمد بن عباد يملك شطرنجًا ذا قاعدة بديعة الصنع وأحجاره من العاج وخشب الصندل المطعم بالذهب[٣٧٦] كما يذكر ابن بسام أن أحمد بن عباس (وزير زهير العامرى صاحب المرية فى عصر ملوك الطوائف) كان شغوفًا بلعب الشطرنج مع أصدقائه ويواصل اللعب نهاره كله وبعض ليله لايرفع رأسه[٣٧٧] وقد نهى ابن عبدون المحتسب عن لعب الشطرنج لأنه من المحرمات ويشغل عن الفرائض[٣٧٨] ويقول شاعر مجهول يشبه مناورات ألفونسو السادس التى مكنته من احتلال طليطلة بمباراة شطرنج :

يا أهل أندلس ردوا المعارف ما		فى العرف عارية إلا مردّاتُ

ألم تروا بيدق الكفار فرزته		شاهنا آخر الأبيات شهمات[٣٧٩]

ويقول الشاعر ابن اللبانة فى رثاء المعتمد حين توفى فى منفاه :

والدهر فى صبغة الحرباء منغمس		ألوان حالاته فيها استحالات

ونحن فى لعب الشطرنج فى يده		وربما قمرتْ بالبيدق الشاة[٣٨٠]

٣٧٤- ديوان المعتمد بن عباد : ص٤٤ .

٣٧٥- المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص٢٦٠ .

٣٧٦- هنرى بيرس : ص٣٠٥ .

٣٧٧- ابن بسام : الذخيرة : ق١ مجلد٢ ص٦٧٧ .

٣٧٨- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة : ص٥٣ .

٣٧٩- المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص٣٥٢ .

٣٨٠- عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى: ص١٤٧، المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٦٢١ .

وعلى الرغم من حب الأندلسيين لهذه اللعبة وشغف الأمراء والملوك بها فقد كرهها بعض الأندلسيين واعتبروها تساعد على الكسل وتصرف عن العمل يقول يحيى الغزال يخاطب ابن أخته بقصيدة يذم فيها لعبة الشطرنج.

يقول :[٣٨١]

عسمل فى غير بر   واختلاف ولزوم
إنما أسمها ويحك   شيطان رجيم
هبك فيها ألعب الناس   فما زاد يا حكيم
لعبة الشطرنج شؤم   فاجتنبها يا شؤوم
إنما هى لأناس   شأنهم شأن عظيم
ملك يجبى إليه   أو وزير أو نديم
أو رجال ورثوا الأموال   للدهر سلوم

هذا وقد ألف الفقيه الورع ابن الفخار المالقى كتابًا اسماه أستواء النهج فى تحريم لعب الشطرنج[٣٨٢] وقد قيلت عدة أمثال فى ذم الشطرنج وقطعه ومن هذه الأمثال مثل يقول :

أقل للنحس : أين تمشى ؟ قال لشطرنجى إن مورك[٣٨٣] هذا وقد ألمحت المصادر إلى بعض الألعاب الأخرى التى تسلى بها أهل الأندلس ونستدل من أزجال لابن قزمان على وجود لعبة خيال الظل فى الأندلس وكان يطلق عليها اسم «القليانى» ويشير ابن قزمان إلى ثيابه المهلهلة بما يدل على أن تلك اللعبة كانت تعتمد فى الأندلس على الهزل وإضحاك المشاهدين[٣٨٤].

٣٨١- ابن حيان : المقتبس : جـ٢ : ص١٨١ : تحقيق محمود على مكى : طبعة بيروت .

٣٨٢- ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب : القاهرة ١٣٥١هـ: ص٣٠٤ .

٣٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٢٢ مثل رقم (٧٦) .

٣٨٤- ابن بسام : الذخيرة : ق (١) مجلد٢ : ص٦٧٧ ، الأهوانى على هامش ديوان ابن قزمان: ص٥٥؛ سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية : مجلد عالم الفكر، الكويت ، ١٩٨٠، ص٩٩ ، كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية : ص٩٤ .

Levi Provencal . Op. Cit. IH . p. 439 .

الموسيقى والغناء :

أما الموسيقى والغناء فكانت تمثل عنصراً هامًا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس ومنذ طليعة القرن الثالث الهجرى اعتبر فن الغناء والموسيقى والرقص من أكثر وسائل اللهو شيوعًا وتفشيًا فى المجتمع الأندلسى ، ولم تكد مجالس الأنس التى يعقدها الكبراء والأعيان بقرطبة مجالس حقيقية مالم يصحبها غناء على نغم عود أو مزمار وما يتبع ذلك من حركات إيقاعية راقصة بطبيعة الحال[٣٨٥] ويعتبر عصر دولة بنى أمية فى الأندلس العصر الذهبى لفنون الغناء والموسيقى وما يتبعها من فنون اللهو كالرقص وغيره من الفنون[٣٨٦] ولقدجرى الأمويون منذ قيام دولتهم فى الأندلس على تجديد ما طمس من رسومهم فى المشرق ، فاهتموا بفن الغناء والموسيقى، فبعثوا إلى الحجاز تجاراً يشترون لهم من الجوارى ممن ذاعت شهرتهن فى فن الغناء الموسيقى[٣٨٧] يقول المقرى : ومنهن فضل المدينة وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لإحدى بنات هارون الرشيد ، نشأت ببغداد ، ودرجت من هناك إلى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فأتقنت فن الغناء واشتريت هنالك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبتها علم المدينة ... وتضاف إليهن جارية يقال لها قلم وهى ثالثة فضل فى الحظوة عند الأمير المذكور وكانت أندلسية الأصل رومية من سبى البشنكنسى وحملت صبية إلى المشرق فوقعت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعلمت هناك الغناء فحذقته [٣٨٨].

ويرجع الفضل الأعظم فى ازدهار فن الغناء والموسيقى فى الأندلس إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم فلقد شغف بفن الألحان والأنغام ، فرفع منزلة المغنين والموسيقيين وأحسن إليهم وأكرم وفادتهم ، وأغدق عليهم العطايا والخلع والأموال، وفتح قرطبة لكل فنان وافد وشجع هذا الوافدين على قصد بلاد الأمير عبد الرحمن ، فأصبحت قرطبة فى عصره محط الرحلة ومقصد أهل الفن [٣٨٩] وأشهر من قدم قرطبة من هؤلاء المغنين المغنى المصرى عبد الواحد

٣٨٥- سالم : قرطبة حاضرة الخلافة الأموية : جـ٢ : سنة ١٩٧٢: دار النهضة العربية : ص٧٨ .

Levi Provencal : Histoire de L'Espagane Musulmane .

٣٨٦- سالم : المرجع السابق : جـ٢ : ص٨٣ .

٣٨٧- سالم : نفس المرجع : جـ٢ : ص٨٥ .

٣٨٨- المقرى : نفح الطيب : جـ٣ : ص١٤٠ .

٣٨٩- سالم : نفس المرجع : ص٨٧ .

الأسكندرى[٣٩٠] والمغنى البغدادى المشهور على بن نافع المعروف بزرياب[٣٩١] وقد أحدث دخول زرياب الأندلس فى عهد عبد الرحمن الأوسط ثورة شاملة على المجتمع القرطبى عامة وعلى فنون الموسيقى خاصة[٣٩٢] وقد صنف أسلم بن أحمد بن عبد سعيد بن القاضى ابن عبد العزيز كتابًا فى أغانى زرياب وفى طريقة غنائه وأخباره[٣٩٣] وقد ابتكر زرياب وتراً خامسًا متوسطًا للعود، كما اتخذ مضرب للعود من قوادم النسر [٣٩٤]، كذلك قام زرياب بترجمة كتاب الموسيقى لبطليوس، وحفظ عشرة آلاف لحنًا، كما قام بتأسيس مدرسة لتعليم الغناء ومعالجة الأصوات واكتشاف الموهوبين[٣٩٥] هذا وقد نبغ من تلاميذ زرياب أبناؤه الثمانية[٣٩٦] ستة ذكور وبنتان هما حمدونة وعليا وكانت حمدونة تفوق أختها فى إجادة الغناء وكانت زوجة للوزير هاشم بن عبد العزيز[٣٩٧] هذا وقد ظل المشرق الإسلامى يزود الأندلس بدفعات من المشتغلين بصنعة الغناء[٣٩٨] فهذا ابراهيم بن حجاج اللخمى الذى انتزى بأشبيلية فى عهد

٣٩٠- سالم : نفس المرجع : ٨٧ ، ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى : ص١٦٩ .

٣٩١- سالم : نفس المرجع : ص٨٧ ، ٨٨ .

٣٩٢- عن زرياب راجع : المقرى : نفح الطيب : جـ٣ ١٢٢ ، ١٢٣ .

٣٩٣- سالم : نفس المرجع : ص٨٧ ، ٨٨ وأسلم بن عبد العزيز اسمه كاملاً : أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز ، وينتهى نسبه إلى أبان ابن عمر مولى عثمان ابن عفان رضى الله عنه وكان أسلم من كبار فقهاء الأندلس جلس إلى بقى بن مخلد ، رحل إلى المشرق علم ٢٦٠هـ، ٨٧٣م حاجًا وتوقف فى مصر فدرس على أعلام المالكية وتولى فيها قضاء الجماعة مرتين وله كتاب فى أغانى زرياب كان مشهوراً على أيامه ولم يصلنا توفى فى رجب عام ٣١٩هـ يولية ٩٣١م وهو أخ لهاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن .

راجع : ابن حزم : طوق الحمامة : ص١٥٢ .

٣٩٤- المقرى : نفح الطيب : جـ٢ : ص١٢٦ .

٣٩٥- راجع : المقرى : نفح الطيب : جـ٣ : ص١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

٣٩٦- عنهم راجع المقرى : نفس المصدر، جـ٣ : ص١٢٩ سالم : نفس المرجع : ص٩١ .

٣٩٧- المقرى : النفح : جـ٣ : ص١٣١ .

٣٩٨- سالم : نفس المرجع : ص٩٤ .

الأمير عبد الله يبعث الأموال لشراء جارية من بغداد كان قد بلغه ما حظيت به من شهرة فى الغناء ومعرفة بصوغ الألحان اسمها قمر وقد استقرت فى بلاطه بأشبيلية وقد وصفها ابن عذارى بالبدر المنير[٣٩٩].

أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد بعث ٣٤٤هـ سفينة إلى المشرق لشراء عدد من المغنيات من الاسكندرية، وعادت السفينة مشحونة بعدد من الجوارى والمغنيات[٤٠٠] كذلك ذاعت فى عهد الحاجب المنصور شهرة المغنية أنس القلوب حيث غنت له [٤٠١].

قدِم اللَّيْلُ سير النهار وبدا البدر مثل نصف سوار

وممن برع فى فن الغناء من أبناء وبنات الأمراء والخلفاء الأمير أبو القاسم المطرف ابن عبدالرحمن الأوسط[٤٠٢] والأميرة ولادة بنت الخليفة المستكفى وكان لها صنعة فى الغناء[٤٠٣] والأمير أبو الأصبغ ابن عبد الرحمن الناصر [٤٠٤].

كذلك حفظ لنا التاريخ أسماء بعض الفنانين الذين برعوا فى بلاطات ملوك الطوائف ، ولكنهم أبعد من أن يقتربوا من الشهرة التى نالها زرياب فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى[٤٠٥] فكان الصقلبى فى بلاط المعتمد بن عباد[٤٠٦] وأبا يوسف فى بطليوس [٤٠٧]

٣٩٩- ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ : ص١٢٨ ، ١٢٩ .

٤٠٠- سالم : نفس المرجع والصفحة .

٤٠١- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٦١٧ .

٤٠٢- المقرى : نفس المصدر :جـ٢ : ص٥٧٨ ، يقول ابن الأبار عنه برع فى الشعر وهو ابن عشرين سنة فى حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ... كان شاعرا عالمًا بالغناء ، ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ ص١٢٨ .

٤٠٣- راجع عنها المقرى : نفس المصدر : جـ : ص٤٣٧ ، ٦٣٠ ، جـ٣ : ص٢٠٨ ، ٢٧٥ ، جـ٤ ، ص٢٠٥، ٢١١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣ .

٤٠٤- سالم : نفس المرجع : ص٩٥ .

٤٠٥- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٣٣٥ .

٤٠٦- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص٥٤ ويسميه المقرى بالمغنى السوسى، المقرى نفح الطيب ٤ : ص٩٦ .

٤٠٧- ابن الأبار : المصدر السابق جـ٢ : ص١٠٦ ، المقرى نفح الطيب : جـ١ : ص٦٦٣ ، الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان : ص٤٣ .

أما بلاط العلى بالله أمير مالقة فيذكر ابن بسام أن مجلس الخليفة أدريس العالى بالله يضم العديد من الشعراء والأدباء وأصحاب المواهب الفنية ومنهم المغنى محمد بن الحمامى الذى كان يغنى فى المجلس بأشعار فى مدح الخليفة العالى بالله[٤٠٨].

يقول إذا ضاقت بك الدنيا   فاخرج نحو أدريسًا

إذا لاقيته تلقى   رئيسًا غير مرؤوسًا

كذلك يذكر ابن الأبار أن راقصة بمالقة (القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) تدعى نزهة وتعرف بتخط الشوق ، كانت تقوم بالرقص فى مجالس اللهو والطرب وتستحوذ على إعجاب الحضور[٤٠٩].

ومن أشهر الموسيقيين فى غرناطة أبو الحسين على بن الحمارة[٤١٠] وهو ممن برعوا فى علم الألحان واشتهر عنه أنه كان يعمد الشعر[٤١١]، فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عوداً للغناء وينظم[٤١٢] الشعر ويلحنه ويغنى به وهذا وقد ظل المعتمد بن عباد يتذكر أيامه فى مجالس اللهو والطرب وهو أسير فى أغمات يقول :

من بعد كل عزيزة رومية   تخزى الحمائم فى ذرى الأغصان[٤١٣]

وكان المذهب المالكى من أشد المذاهب الفقهية تشدداً فى منع وتحريم الآلات الموسيقية[٤١٤]

٤٠٨- ابن بسام الذخيرة : ق١ مجلد ٢ ص٨٦٣ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٣٥ ، كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية : ص٨٩ ، ٩٠ .

٤٠٩- ابن الأبار المقتضب : تحقيق إبراهيم الإبيارى دار الكتاب المصرى: سنة ١٩٨٢: ص١٤٤ .

٤١٠- ترجم له الضبى فى البغية : ص٥١٧ ، المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص١٤٠، ابن دحية : المطرب فى أشعار أهل المغرب : ص١٠٩ .

٤١١- ابن سعيد : المغرب : جـ١ : ص١٢٠ : هامش(١) الشعراء : الروضة ذات الشجر والأرض كثيرة الشجر .

٤١٢- ابن سعيد : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٤١٣- ابن بسام : الذخيرة جـ٢ : ص٧٤ .

٤١٤- يحيى بن عمر : (أحكام السوق) تحقيق محمود على مكى: معهد الدراسات الإسلامية : مدريد العدد ٢-١ : مجلد ٤ ص١١٩ هامش ٢ .

فيرى ابن عبد الرؤوف «أنه يجب أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس كالعود وغيره ، إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة وإن اختلف فى الكبر[٤١٥].

هذا وقد أريد زامر أندلسى على شهادة زور فأبى ، وقال :

لاجـمـعـت الـنـار والـعـار فـدعـنـى يـا عـيـاض[٤١٦]

وقد تعدد ذكر الزامر فى الأمثال الأندلسية وهو يمثل رأى الأندلسيين فى أهل الغناء والزمر والرقص . يقول المثل : الزامر من أهل النار[٤١٧] ويقول أيضًا ما بين قاضى وزامر[٤١٨] . وهذان المثلان يعبران أيضًا عن رأى أهل الورع والفقه فى الزامر[٤١٩]، أما المثل القائل «دلت زامر فى مكتبة عروس»[٤٢٠] فهو يدل على مدى احتياج الناس لهؤلاء المطربين فى الأعراس والحفلات ، كذلك كانوا يعبرون عن شدة الاحتياج إلى الشئ بقولهم «من يعير بوق فى يوم عرس»[٤٢١] ويذكر محمد بن شريفة أنه ورد مثل واحد فى المغنى وآخر فى الراقص[٤٢٢].

كذلك يروى الخشنى فى كتابه قضاة قرطبة يصف أحد الناس فشبهه فيما يبدو بلبس الزامرين والراقصين حيث كان متكحل وأثر الحناء فى يديه كما كان يرتدى رداء معصفراً ويبدو ومن هذه الأوصاف أنها كانت خاصة بهؤلاء وكان ممن يحاكيهم يقابل بالزجر[٤٢٤] وعلى الإجمال كان الأندلسيون يعشقون الموسيقى ويميلون إليها[٤٢٥] يقول ابن الخطيب والغناء بمدينتهم فاش، حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيراً من الأحداث كالخفافين وصلهم [٤٢٦].

٤١٥- ابن عبد الرؤوف ثلاث رسائل فى الحسبة ص٨٣ .

٤١٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢١٨ .

«يقصد» به القاضى عياض : صاحب كتاب ترتيب المدارك .

٤١٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ٣٨٦ .

٤١٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ١٥١٦ .

٤١٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٤٢٠- محمد بن شريفة نفس المرجع مثل رقم ٩٣٨ ص٢١٩ .

٤٢١- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص٢١٩ : مثل رقم ١٢٧٥ .

٤٢٢- محمد بن شريفة نفس المرجع : ص٢٢٠ .

٤٢٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٤٣ .

٤٢٤- الخشنى : قضاة قرطبة : ص٥٢ .

٤٢٥- ابن الخطيب الإحاطة : جـ١ ١٣٧ ، اللمحة البدرية : ص٣٨ ، ٣٩ .

٤٢٦- ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

الحياة الخاصة للأسر الأندلسية

الزواج :

كان الزواج من المناسبات الهامة والسعيدة التي يحتفل بها الأندلسيون احتفاء شديداً ، ويذكر ابن عبد الرؤوف أن من شروط الخطبة اختيار الفتى لعروسه ، فالاختيار عادة يتم بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها ، وأحيانًا تتدخل الأمهات تدخلاً صريحًا في اختيار العروس لأبنائهن وكان يقابل هذا التدخل أحيانًا بعدم الرضى من جانب الشاب(٤٢٧) وقد أشارت كتب الفتاوى والنوازل الفقهية إلى وجود الخاطبة في بلاد الأندلس والمغرب، فكانت تقوم بالتمهيد للاتفاق بين المتقدم للزواج وأهل العروس، وعقب ذلك يرسل الخاطب والده وأخوته إلى دار العروس للاتفاق النهائي على كا ما يتصل بعقد النكاح خاصة من ناحية العروس ومطالب والدها من صداق وهبة وهدية ، ويذكر الونشريشي أن الخطبة كانت تتم- عادة- بالتواعد على الإيجاب والانعقاد بتوقيت زمان يحضره الشهود وينبرم فيه الأمر(٤٢٨) وبعد انتهاء فترة الخطبة يتم عقد القران بكتابة وثيقة نكاح- غالبًا- لدى صاحب خطبة المناكح(٤٢٩).

ويفضل الكثيرون أن يكون عقد الزواج في أحد المساجد جلبًا للبركة(٤٣٠) يقول التادلي(٤٣١) «وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمسجد» وكان الزواج يمر بكثير من الإجراءات حتى يتم، من موجبات صحة النكاح وفي كيفية العقد وشروطه وفي الأولياء وفيمن تؤل إليه الولاية في غياب الولي الشرعي وفي حكم غيبة الأب عن ابنته البكر ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله وما إلى ذلك (٤٣٢).

٤٢٧- ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل ص٧٩ .

٤٢٨- الونشريشي : المعيار المغرب : جـ٣ : ص١٢١ ، ١٩٠، ٢٤٨ .

٤٢٩- يذكر ابن عبدون أن خطة المناكح لاتعطى إلا لرجل فقيه ورع ولايكون شابًا راجع ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة : ص١٣ .

٤٣٠- ابن عبدون : نفس المصدر : ص١٣ ، سعيد عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ص١٠٢ ، كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص٦٠ ، ٦١ .

٤٣١- التادلي : (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن) .التشوف إلى رجال التصوف، نشره وصححه أدولف فور ١٩٥٨ الرباط ص٧٥ .

٤٣٢- ابن رشد القرطبي الأندلسي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد : جـ٢، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم: ص٣- ص٢٥ : طبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م : دار الكتب الإسلامية .

وكانت معظم عقود الزواج مشروطة بشروط خاصة على الزوج إذا أخل بأحدها كان الطلاق حقًا للمرأة تمارسه في أي وقت شاءت دون الرجوع إلى الإجراءات الكثيرة للإثبات ، كأن يشترط الرجل على نفسه إن غاب عن زوجته مدة يتفقان عليها فلها أن تطلق نفسها [٤٣٣].

كما كان ينص العقد أحيانًا على ألا يرحل الزوج زوجته عن دارها إلا بإذنها ورضاها وإن رحلها مكرهه فأمرها بيدها وألا يمنعها عن زيارة جميع أهلها من النساء وذوى محارمها من الرجال وألا يمنعهم من زيارتها وأن يعاملها بالمعروف كما أمره الله تعالى[٤٣٤].

وكان أهل الزوجة في استطاعتهم فسخ عقد نكاح الفتاة إذا تزوجت من ليس بكفء لها .

كذلك كانت الزوجة- خصوصًا إذا كانت تنتمي إلى أسرة ثرية ذات نفوذ- كانت تشترط أحيانًا على زوجها في عقد النكاح ألا يتزوج عليها ولا يتسرى معها ولايتخذ أم ولد ، فإن فعل شيئًا من ذلك فأمرها بيدها وقد كان هناك هدية يهديها الأزواج إلى الزوجات قبل البناء بهن[٤٣٧] وذلك جلبًا لسرورها .

ويذكر ليفي بروفنسال أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصروفات كثيرة فكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعًا كاملاً في منزل العروس تتلقى فيه تهاني نساء الأسرة والصديقات والأقرباء[٤٣٨].

وكان مقدار صداق الزوجة الثيب عادة أقل من صداق البكر وكان الزوج - أحيانًا- يدفع الصداق لزوجته عينًا بمعنى أن يوفر لها الكسوة اللازمة ويشتري لها بعض الحلي، كما اعتاد

٤٣٣- ابن سهل (أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي) مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام : السفر الأول والثاني : تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري: رسالة ماجستير : جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠١ هـ ص٤٨ والمخطوط رقم ٣١٦ .

٤٣٤- الونشريشي : المعيار المغرب : جـ٣ : ص١٠٨ ، ص١٠٩ ابن العطار القرطبي: الوثائق والسجلات: نشر بدرو شالميتا وكورينطي . مدريد ١٩٨٣م . ص٨ .

٤٣٥- ابن سهل : نفس المصدر : ص٤٥ «مخطوط» ورقة ٣٦٠ .

٤٣٦- الونشريشي : نفس المصدر : جـ٣ ص١٧ ، ابن العطار نفس المصدر : ص٧ ، ٨ .

٤٣٧- ابن سهل : نفس المصدر : ص٤٨ المخطوط ص٣١٦ .

٤٣٨- Levi Provencal : L.Esp. Musul. V. III . p. 403 .

معظمهم من ذوى الثراء أن يهب زوجه قبل الزفاف بستانًا أو داراً أو أحد العقارات كل واحد قدر استطاعته[٤٣٩] وإزاء وفرة الجوارى المسيحيات ورخصهن كان على المسلمين لكى يزوجوا بناتهم أن يتنافسوا فى الترف عند إعداد الجهاز[٤٤٠].

وكان الزوج كما هو واضح من كتب الحسبة والنوازل - يتكفل بنفقات حفل الزفاف وإعداد وليمة لأهل العروسين لقول النبى صلى الله عليه وسلم أولم ولو بشاة .

ويمدنا الونشريشى أيضًا بإشارات قيمة عما يحدث فى حفل الزفاف حيث يحضر المغنيون والراقصات وضاربو الدفوف[٤٤١] وفى أثناء هذه الحفلات ، كان العامة من المدعوين يضربون البوق والكبر والمزهر والطنبور والعود هذا إلى جانب غناء المغنيين والمغنيات الذين كانوا يطلقون حناجرهم بالغناء ابتهاجًا بتلك المناسبة وكان يختلط الرجال بالنساء فى هذه الحفلات مما دعا الجرسفى إلى منع ذلك[٤٤٢].

وقد أوضحت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان لدى إقبالهم فى العرس قبل أن يشربوا[٤٤٣] وذلك منعًا لحدوث أى مشاجرات أو حوادث ، وكان الحواة يتقدمون موكب الزفاف ويرى ابن عبدون أن يمنع ذلك[٤٤٤].

هذا ويورد الحميدى[٤٤٥] فى جذوته نصًا طريفًا يصف فيه عرسًا بأحد شوارع قرطبة فيذكر أن «النكورى الزامر قاعد فى وسط الحفل وفى رأسه قلنسوة وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه وهو يزمر فى البوق وفى أثناء الحفل ينشد الشعر ويغنى المغنى».

٤٣٩- الونشريشى : نفس المصدر : جـ٣ : ص١١٦ ، ص١١٧ ، ١٢٥ ، ١٦٦ .

٤٤٠- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٦٥ هامش رقم ١٧ .

٤٤١- الونشريشى : المعيار المغرب : جـ٣ : ص٢٥ .

٤٤٢- الجرسفى : ثلاث رسائل فى الحسبة : ص١٢١ .

٤٤٣- ابن عبدون : نفس المصدر : ص٥٤ .

٤٤٤- ابن عبدون : نفس المصدر ص٥١ .

٤٤٥- الحميدى : جذوة المقتبس : ص١٤٣ ، ١٤٤ ترجمة رقم ٢٤٤ .

Levi Provencal : Histoire , t. III . p. 404 .

هذا ولم يكن الرجل من الطبقة الوسطى أو العامة يستطيع الزواج بأكثر من واحدة، لأن الزواج بأخرى كان يتطلب نفقات باهظة لايستطيع أن يقوم بها إلا ذوو الثراء.[٤٤٦] ويذكر ابن عبد الرؤوف أيضًا أنه على الرجل الذى تزوج بأكثر من واحدة أن يسوى بينهن فى الملبس والطعام والمبيت ولايفضل واحدة منهما على صاحبتها إلا ما لايستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة وليتق الله فى ذلك[٤٤٧] ونستنتج من خلال النوازل وكتب الفقه الأندلسية أن السلطة كلها داخل البيت كانت بيد الأب وكانت الزوجة وأطفالها يعاملونه بكل الاحترام والتبجيل[٤٤٨] فكانت المرأة تشارك زوجها الحياة فى الوسط الاجتماعى الذى يعيشه فالمرأة العامية كانت العلاقة بينها وبين الزوج قائمة على نوع من التعاون والتضامن الذى فرضته ظروف الحياة [٤٤٩].

هذا ولقد صور لنا الشعر الأندلسى حفلات الزواج فوصفوا زفاف العروس وخروجها من بيت أهلها إلى بيت زوجها وإلى ثوبها الذى ترتديه ومشهد الحفل حيث تكون محل إعجاب الحاضرين من المدعووين[٤٥٠].

يقول أبو بكر محمد بن رحيم فى قصيدة طويلة:

وإليكها مثل العروس زفتها	سكرى تجرُّ ذيولها بتبختر
عذراء إلا أننى حملتها	عذر التأخر ليت لم أتأخر

ويقول ابن خفاجة فى وصف مشهد الحفل :

زف الزجاج بها عروس مدامه	تجلى ونوار الغصون نثار[٤٥٢]

٤٤٦- كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية : ص٦٤ .

٤٤٧- ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل : ص٨٠ .

٤٤٨- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص٦٥ .

٤٤٩- الخشنى : قضاة قرطبة : ١٣٩ .

٤٥٠- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٦٤ .

٤٥١- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٦٤ .

٤٥٢- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، نشر إحسان عباس فى ٨ مجلدات : ١٩٧٩ : جـ٣ـ

كذلك يروى لنا الشاعر والوزير ابن زيدون شعراً بمناسبة زواج المعتضد من ابنة مجاهد العامرى أمير دانية ، أن الحفلات استمرت أسبوعًا كاملاً وأن الزوج لم يظهر أمام المدعوين طوال هذه الأيام .

يقول ابن زيدون[٤٥٣] :

أسبوغُ أنس محدث لى وحشة   علما بأنى فيه لستُ أراكا

وأخيراً فإن الشعر لم يصمت حتى عند الشجار الذى يقع بين الزوجين ، ويقول أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام عن عادة تعدد الزوجات :

كأن بلادهم كانت نساء   تطالبها الضرائر بالطلاق[٤٥٤]

أما ابن قزمان فقد صور لنا فى عدد من أزجاله بأسلوب ساخر، متاعب الزواج ومطالب النساء فى الأندلس[٤٥٥] وقد قص علينا أنه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسئولية البيت وقد عبر عن هذا أحسن تعبير فى أسلوب يكاد يكون حديثًا صالحًا لكل عصر. يقول ابن قزمان[٤٥٦]:

صرت عاذب وكان لعمرى صواب   ليس تزوج حتى يشيب الغراب

أنا تايب يا له تقول بزواج   ولاجلو ولاعروس بتاج

لارياسة غير اللعب بالزجاج   والمبيت برا والطعام والشراب

وفى الزجل رقم ١٨ يصرح بأنه تزوج ثم طلق لأن الملالة أصابته من الزواج يقول[٤٥٧] :

= ص٥٩٦ ، ابن خفاجة : الديوان تحقيق سيد غازى ، منشأة المعارف الإسكندرية : الطبعة الثانية ١٩٧٩م، هنرى بيرس : نفس المرجع ص١٤٨ .

٤٥٣- ابن زيدون : الديوان : تحقيق وشرح على عبد العظيم القاهرة ١٩٥٧م : ٤٤٣، هنرى بيرس : نفس المرجع ص٢٦٥ .

٤٥٤- هنرى بيرس : نفس المرجع ص٩٧ .

٤٥٥- الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص٧٦-٧٧ .

٤٥٦- الأهوانى: الزجل فى الأندلس : ص٧٦ .

٤٥٧- الأهوانى: نفس المرجع : ص٧٦ .

أنفقت في زواجي وأرفهت وجاتن الملالة وخليت

وقد فسر هذه الملالة في قوله يقبل الزوج ولايدر طيب القبل

لا لن يريح القبل والتعنيق غير العشيق

هذا وقد سخر يحيى الغزال مراراً من الشيوخ الذين يتزوجون الصغيرات (٤٥٨).

وصور مشكلة الفتاة التي تخير بين الشيخ الغني أو الشاب الفقير.

فقال(٤٥٩):

وخيرها أبوها بين شيخ كثير المال أو حدث فقير

فقالت خطتنا خسف وما إن أرى من خطوة للمستخير

ولكن إن عزمت فكل شئ أحب إليّ من وجه الكبير

لأن المرءَ بعد الفقر يثرى وهذا لايعودُ إلى صغير

أما الأمثال الشعبية الأندلسية فقد تناولت الزواج ومشكلاته وما يترتب عليه من زيادة النفقات .

ومن الأمثال التي تناولت ترغيب الفقراء في الزواج وأنه باب الرزق يقول المثل :

«تزوجوا يغنكم الله» وقالوا «أزوج يفتح الله عليك»(٤٦٠).

وهذه الأمثلة تعبر عن فكر واقعي يرى أن الزواج لايكون قبل الاستعداد له والقدرة عليه وأن الزواج طيب ولكن نفقته كبيرة ويؤكد هذا المثل القائل :

«ما أطيب العرس لولا النفاقة»(٤٦١).

٤٥٨- ابن عبد البر : بهجة المجالس : تحقيق محمد مرسى الخولي- ط . دار الكاتب العربي : جـ٢ ص٤٢ ، محمد بن شريفة : أمثال أبي يحيى: ص٢١٢ .

٤٥٩- الحميدي: جذوة المقتبس : ص٣٧٥ .

٤٦٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص٢١٠ مثل رقم ٨٢ .

٤٦١- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل ابن عاصم رقم ٧٢٣ .

«وزوجوه حوجوه»[٤٦٢].

«من زوج حوج»[٤٦٣].

وهى أمثال تشير إلى أن الزواج له مطالب كثيرة وأن من يتزوج دون الاستعداد المادى يعيش فى حاجة دائمًا ولأن مطالب الزواج عديدة والزوجات لايرحمن يقول المثل :

«حلينى وإلا خلينى»[٤٦٤].

ولأن الزواج فى جملته قسمة ونصيب يقول المثل الأندلسى. «زوجنى واضمن لى البخت»[٤٦٥].

وكانت المرأة الأندلسية لاتقبل أن تكون ضرة لزوجة أخرى وتؤثر الموت على ذلك يقول المثل:

«مشية للحفر ولامشية لبيت أخرى»[٤٦٦].

كذلك نظر المجتمع الأندلسى إلى الأبناء أو الأخوة غير الأشقاء نظرة يشوبها التحفظ وهو يرى أن الأخوة غير الأشقاء تكثر بينهم الخلافات والشقاق يقول المثل الأندلسى:

«أخو من شتى زيادة فى الأعدى»[٤٦٧].

وكما سخر الشعر الأندلسى من زواج الرجل العجوز بالفتاة الصغيرة سخرت الأمثال الشعبية أيضًا من هذا الزواج غير المتكافئ : يقول المثل «إذا أزوج الشيخ لصبى يفرح صبيان

٤٦٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص٢١١ : مثل رقم ١٠٣٥ .

٤٦٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص٢١١ : مثل رقم ١٤٧٢ .

٤٦٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ٨١٦ .

٤٦٥- محمد بن شريفة : نفس المصدر ص٢١٢ مثل رقم ١٠٤٠ وهو يوافق المثل المصرى «الزواج قسمة ونصيب» .

٤٦٦- محمد بن شريفة : نفس المصدر ص٢١٢ مثل رقم ١٥٤١ وهو يوافق المثل الشعبى المصرى «جنازته ولاجوازته».

٤٦٧- محمد بن شريفة نفس المرجع : مثل رقم (٣) .

لقوى[٤٦٨]، كذلك وصفت الأمثال الشعبية الزوجة الصغيرة بقولهم «زوجة الشيخ» مدلل[٤٦٩]، كذلك سخرت الأمثال الشعبية من زواج المرأة العجوز برجل يصغرها بأعوام كثيرة فقالت «وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر»[٤٧٠].

ومن كان قادراً على الزواج وتكاليفه ولم يتزوج نظر له المجتمع بعين الارتياب يقول المثل :

«عازب ومتفنق ثلثى قطيم يفتى فيه»[٤٧١].

وكانت البنات مصدر هم للآباء فى الحياة وبعد الممات وخاصة إذا كثر عددهن ويتضح من الوثائق الأندلسية أن بعض الآباء كانوا يقومون بحبس الجنان أو البساتين والعقارات على بناتهم لتوفير حياة كريمة لهن بعد وفاتهم ويستعن بعائدها على المعيشة أو تجهيز أنفسهن بها عند الزواج أو فى حالة وفاة الآباء[٤٧٢].

وقد تعرضت الأمثال الأندلسية لهم البنات وحرص الآباء على تزويجهن فى حياتهم والاطمئنان عليهن يقول المثل الأندلسى:

«هم البنات للممات»[٤٧٣].

ويقول أيضاً : وى على من مات وخلى سبع بنات [٤٧٤]. ولهذا نراهم يفكرون فى تزويج

٤٦٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : مثل رقم (٢) .

٤٦٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : مثل رقم ١٠٤٦٠) .

٤٧٠- ابن هشام اللخمى : المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان : المعروف بأمثال ابن هشام اللخمى الإشبيلى: المجلد الثانى : تحقيق ودراسة خوسيه بيريث لأثارو: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية: معهد التعاون مع العالم العربى: مدريد : ١٩٩٠ : ص٤٠٦ .

٤٧١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢١١ ، (مثل رقم ١٦٦٤) .

٤٧٢- الونشريشى: المعيار المغرب : جـ١٠ : ص٣٦٩- ص٣٧٠ ، كمال السيد أبو مصطفى: الأحباس فى الأندلس : ص٥٢ ، مالقة الإسلامية ص٦٧ .

٤٧٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢١١ ، (مثل ابن عاصم) رقم ٧٧٩) وهو يوافق المثل الشعبى المصرى «يا مخلفة البنات يا شايلة الهم للممات».

٤٧٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : نفس الصفحة (مثل رقم ١٩٦٥) .

البنت منذ صغرها ويفضلون تزويجها لأول خاطب ، فيقول المثل «إذا قالت البنت دد ، فكر لها فى مخد »، «وإن رفعت القدح لفمها ، تحتاج ما تحتاج أمها »[٤٧٥].

وكذلك يقولون زوج سو خير من فقد[٤٧٦].

وقولهم أيضًا زوج من عود خير من قعود »[٤٧٧].

وبعد إتمام الزواج وبناء الأسرة الجديدة تأتى الأحداث السعيدة للأسرة الأندلسية شأنها شأن الأسر الإسلامية والمسيحية على حد سواء بمجئ المولود الأول وتزداد الفرحة من قبل الأسرة إذا كان المولود ذكراً[٤٧٨] وكانت الولادة عادة تتم على أيدى إحدى القوابل[٤٧٩].

وكان المعتاد فى الأندلس فى تلك المناسبة السعيدة إرسال الأصدقاء ببعض القطع النثرية والشعرية لتهنئة الأسرة بالمولود الجديد[٤٨٠].

يقول محمد بن أحمد الأنصارى الإشبيلى[٤٨١] مهنئًا أحد أصدقائه بمولود طفل له .

أصاحت الخيل أذانًا لصرخته   واهتز كل هزبر عندما عطا

تعشق الدرع مذ شدت لفائفه   وأبغض المهد لما أبصر الفرسا

وفى اليوم السابع لميلاد الطفل كان يسمى ويكنى، ويقوم والده بإعداد وليمة فخمة تسمى العقيقة تدعو فيها الأسرة الأهل والأصدقاء ليشاركوهم فرحتهم بمقدم المولود الجديد[٤٨٢].

٤٧٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : والصفحة مثل رقم (٢٧) .

٤٧٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : والصفحة مثل رقم (١٠٠٧) .

٤٧٧- أمثال ابن هشام اللخمى : ص٤١٤ .

٤٧٨- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية : ص١٠٣ .

Levi Provemcal , Histoire , T / II, p. 404 .

كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية : ص٦٩ .

٤٧٩- الجرسفى : رسالة فى الحسبة : ص٢٣ .

٤٨٠- كمال السيد أبو مصطفى: نفس المرجع : ص٦٩ .

٤٨١- المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص٢٧١ ، ص٤٠٨ .

٤٨٢- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص٧٠ .

وقد سجلت لنا النصوص الشعرية معلومات مفصلة عن الاحتياطات التى تتخذ لحماية الطفل الرضيع والصبى الصغير والغلام البالغ من التأثيرات الضارة، فقد اعتقد الأندلسيون فى الحسد فوضعوا للأطفال التمائم لحمايتهم من العين والضرر الذى يمكن أن يصيبهم[٤٨٣].

يقول ابن رزين :

ذلك الوفى الذى نيطت تمائمــه عند الفطام على حلم ابن سرين[٤٧٤]

وكانت التمائم والتعاويذ تستمر حتى بعد مرحلة الطفولة ، كما تشهد بذلك قصائد الشعراء، فقد كتب المعتصم[٤٨٥] عند وفاة إحدى حظياته :

لما غدا القلب مفجوعًا بأسودة وقلت للسيف كن لى من تمائمه[٤٨٦]

هذا وكان الطفل يتم ختانه فى العام السابع من عمره وكان الختان يستهدف الحفاظ على حياة المسلم بطريقة ملموسة وربما تأثر الأندلسيون فى مظاهر الاحتفال به بطقوس التعميد المسيحية وذلك بإقامة احتفال كبير تشترك فيه كل طبقات المجتمع ، وكانت هذه الحفلات تحمل اسم «إعذار» أو صنيع[٤٨٧].

ومن أشهر حفلات الإعذار التى احتفل بها الأمراء تلك التى أقامها المأمون بن ذى النون أمير طليطلة بمناسبة ختان حفيده يحيى[٤٨٨] واعتاد الناس فى الغرب الإسلامى أن يشبهوا

٤٨٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٦٣ .

٤٨٤- وابن سيرين كان مشهوراً بتقواه وزهده ومهارته فى تفسير الأحلام ، راجع هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٦٣ .

٤٨٥- «هو محمد بن معن صُمادح التجيبى المعتصم بالله الواثق بفضل الله، أبو يحيى وأهل بيته التجيبين ولاة سرقطة وأمرائها قبل الفتنة وبعد » عنهم راجع ابن الأبار الحلة السيراء: جـ٢ : ص٧٨-٨٨ .

٤٨٦- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص٨٤ ، راجع هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٦٤ .

٤٨٧- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٥٣٠- ص٥٣١ .

٤٨٨- عن تفاصيل حفل إعذار الأمير يحيى حفيد المأمون بن ذى النون راجع : ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع المجلد الأول ص٩٩ - ١٠٢ ، راجع أيضًا سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس : جـ٢ : ص١٢١- ص١٢٤ .

الحفلات الكبيرة التي تصحبها ولائم فخمة بإعذار ذي النون[٤٨٩].

يقول أبو بكر الجزار السرقطي[٤٩٠] مهنئًا والد طفل تم إعذاره:

طهرته وهو المطهر إذ نشا ... لله فعل منك راق كماله

فازداد بالتطهير حسنا مثل ما ... يزداد ضوء الشمع عند زباله

وقد تناولت الأمثال الشعبية تربية الأولاد وتعليمهم[٤٩١] وتؤكد الأمثال الشعبية الأندلسية على أن تربية الأولاد تكون من الأساس ومن البداية يقول المثل «من أساسه يكون بنيانه»[٤٩٢].

الوفاة :

أما مناسبات الوفاة فكان يغلب عليها البساطة[٤٩٣] ويذكر ابن سهل أنه عند وقوع وفاة في منزل ما كان أحد أفراد أسرته يخرج مرتديًا الحداد البيضاء - على عادة الأندلسيين - منذرا لجنازته والاستعداد للصلاة عليه[٤٩٤].

وقد صور لنا الشعر الأندلسي عادة ارتداء الملابس البيضاء بمناسبة الحزن والحداد بقول الشاعر أبو عمر أحمد بن فرج من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي في رثاء أخيه[٤٩٥]:

٤٨٩- المقرى نفح الطيب : جـ١ : ص٤٤٠، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٦٤ ، يقول المقرى «ومن أعظم ملوك الطوائف بنى ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي، وكانت لهم دولة كبيرة ، وبلغوا في البذخ والطرف إلى الغاية ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له «الإعذار الذنونى» وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق» : راجع المقرى: نفس المصدر ، والجزء والصفحة .

٤٩٠- هنرى بيرس : الشعر الأندلسي: ص٢٦٤ .

٤٩١- راجع ص٥٠-٥١ من هذا البحث .

٤٩٢- عبدالله بن بلقين (مذكرات الأمير عبدالله المسماة بكتاب «التبيان» نشر وتحقيق أ. ليفي بروفنسال - دار المعارف بمصر ص١٣٠ .

٤٩٣- كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية : ص٧٠ .

٤٩٤- ابن سهل : وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق عبد الوهاب خلاف : ص٩٣ .

٤٩٥- ابن بسام الذخيرة : جـ١ : ص٥٠٦ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسي ص٢٦٧ .

ونرجس تظـــــرف أجفانـــــــه　　　كـمقلة قد دب فيها الوسن

كـأنه من صـفره عـاشق　　　يلبس للبين ثيـــاب الحـــزن

ويصف ابن حيان المؤرخ حفل تولية الحكم الثانى (المستنصر) بعد وفاة أبيه الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) ٣ رمضان ٣٥٠ هـ ١٥ أكتوبر ٩٦١م فى مدينة الزهراء حيث اصطف الفتيان على جانبى المجلس حيث يجلس الحكم «عليهم الظهائر البيض شعار الحزن»[٤٩٦].

وتكثر الشواهد فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، على ارتداء البياض شعار الحزن ويروى ابن بسام أن الشاعر ابن برد الأصغر رأى غلامًا يلبس أبيض[٤٩٧] «على عادة أهل أفقنا فى لباس البياض عند الحزن » فقال[٤٩٨] :

أجلْ جفونكَ فى ذا المنظر الحســـن　　　ولمْ على على النأيِ منه حادثَ الزمن

وأعجبْ لضدّيْن فى مرأة قد جُمعا　　　شَخْصُ السرور عليه لبسَةَ الحـــزَنِ

ويكرر أبو عثمان سعيد بن فرج الجيانى نفس الفكرة :

لبس البياض لصفرة فى وجه　　　صفة كما وصف الحزين الفاقد

يقول أبو الحسن الحصرى (وفى رواية ابن بسام أن الحلوانى، تلميذ أبى على بن رشيق) والذى لم يكن قد وطئ أرض أسبانيا فيما يبدو:

لئن كان البياضُ لباس حُزنْ　　　بأندلس فـــذاك من الصـــواب

الم ترنـــى لبستُ بياض شيبـــى　　　لأنى قد حزنت على الشباب[٥٠٠].

ويشير ابن بشكوال إلى أنه بعد تغسيل جثمان الميت كان يتم تكفينه ببعض الأردية ويوضع فوقها قطن يبخر ببعض البخور ويضيف أن بعض الزهاد والصالحين كانوا أحيانًا يوصون

٤٩٦- المقرى : نفح الطيب : جـ٣ : ص٣٨٧ .

٤٩٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٥٠٦ .

٤٩٨- ابن بسام : الذخيرة : جـ١ : ص٥٠٦ .

٤٩٩- هنرى بيرس: نفس المرجع : ص٢٦٧ .

٥٠٠- المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص١٠٩ .

ذريتهم بأن يكفنوهم دون قطن ، وهذا كان يعتبر على غير عادة الأندلسيين[٥٠١].

وكان يتم دفن المتوفى- غالبًا- فى أقرب المقابر إلى داره وفى بعض الأحيان كان المتوفى يوصى قبل وفاته بنحت شاهد من الحجر ينصب فوق قبره وينقش عليه اسمه وبعض الآيات القرآنية أو الأشعار للموعظة والاعتبار ودعوة المارة بالترحم على صاحب القبر، ويتضح مما أورده ابن الخطيب انتشار عادة كتابة بعض الأبيات على القبور بمالقة فى عصر بنى نصر[٥٠٢] من ذلك أن أحمد بن أيوب اللحانى المالقى(كاتب بنى حمود) أمر بأن يكتب على قبره بعض الأبيات وفيها[٥٠٣]:

بَنَيْتُ ولم أسكنُ وحصنت جاهداً فلما أتى المقدور صيره قبرى

ولم يكن حظى غير ما أنت مبصر بعينيك ما بين الزراع إلى الشبر

فيا زائراً قبرى أوصيك جاهداً عليك بتقوى الله فى السر والجهر

فلاتحسبن بالدهر ظنًا فإنما من الحزم ألا يستلم إلى الدهر

وهناك أبيات توجه بها ابن شهيد[٥٠٤] قبل موته إلى صديقه ابن حزم يمكن أن نستنتج منها أن أصدقاء المتوفى كانوا يجتمعون حول قبره بعد دفنه ويقومون بتأبينه[٥٠٥]:

فلاتنسى تأبينى إذا ما فقدتنى وتذكار أيامى وفضل خلائقى

٥٠١- يقول ابن بشكوال نقلاً عن ابن حيان فى ترجمته للفقيه عمر بن حسين بن محمد ابن نابل الأموى وأنه قد عهد إلى ابن ابنه أن يدرجه فى كفن دون قطن للأثر الصالح فى ذلك وراجع : ابن بشكوال : كتاب الصلة : القسم الأول: الدار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة : سنة ١٩٦٦ : ص٣٩٦ : ترجمة رقم (٨٤٩).

٥٠٢- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : مجلد١، ص٢٣٥ ، مجلد ٤ ص٤٢٦ ، كمال السيد أبو مصطفى: نفس المرجع : ص٧١ .

٥٠٣- ابن الخطيب : نفس المصدر : والجزء والصفحة .

٥٠٤- هو الوزير أبو عامر بن شهيد الأشجعى عالم بأقسام البلاغة ومعانيها ، لايشبهه أحد من أهل زمانه راجع : المقرى: نفح الطيب جـ١ : ص٦٢١ .

٥٠٥- هنرى بيرس : ص٢٦٦ .

ويذكر المقرى شعراً كتب على قبر المنصور بن أبى عامر ينضج زهواً وتعاليًا وكبراً يقول(٥٠٦):

آثـــاره تـنبـيـك عـن أخـبــاره   حـتـى كـأنـك بـالـعـيــان تـراه

تـاللـه لايـأتـــى الزمـان بمثلــــه   أبداً ولايحـمـى الثـغـور سـواه

ويصور لنا الشاعر عادة حمل النعش على الأكتاف يقول أبو عامر بن شهيد عند وفاة القاضى ابن زكوان:

ولما أبى إلا التـحـمـل رائحًـا   منحنـاه أعنـاق الـكـرام راكـائبًـا

يسير به النعش الأعز وحولـــه   أباعد كانوا للمصاب أقاربًا(٥٠٧)

ويذكر الونشريشى أن من بدع أهل الأندلس والمغرب البكاء على الميت بالصراخ ولطم الخدود ، واجتمع النساء لذلك ومعهن النوادب والنوائح(٥٠٨) وهى عادة يحرمها الإسلام، ومع ذلك فهى شائعة على نحو واسع بين شتى طبقات المجتمع الإسلامى وأشار إليها المعتمد فى قصيدته التى يبكى فيها ولديه العزيزين المأمون والراضى حين ذهبا ضحية هجوم المرابطين:

يقولون صبراً لاسبيل إلى الصبر   سأبكى وأبكى ما تطاول بى عمـــرى

هوى الكوكبان الفتحُ ثم شقيقه   يزيدُ فهل عند الكواكب من خبـــر

ترى زهرها فى مأتـم كل ليلـــة   تخمش لهفًا وسطه صفحة البـــدر

ينحـن على نجمين اثكلـت ذا وذا   وأصبرُ ما للقلب فى الصبر من عذر(٥٠٩)

٥٠٦- المقرى نفح الطيب : جـ١ : ص٣٩٨ ، جـ٣ : ص١٨٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة : جـ٢ : ص١٠٨ .

٥٠٧- المقرى: نفح الطيب: جـ٣ : ص٣٦٠ .

٥٠٨- الونشريشى: المعيار المغرب:جـ٦ : ص٤١٩ ، ابن عبد الرؤوف : رسالة فى الحسبة : ص١٢١ . السقطى: أدب فى الحسبة : ص٦٨ هامش سنة ٦٨ .

٥٠٩- ابن بسام : الذخيرة : جـ٢ : هنرى بيرس : نفس المرجع ص٢٦٦ .

ويشير ابن عبد الصمد في قصيدة له يرثي فيها المعتمد إلى عادة أخرى جاهلية يقول[٥١٠]:

شقوا الثياب وجددوا أحزانكم   وصلوا التلهف يا بني عباد

ولم تترك الأمثال الشعبية الأندلسية هذا الحدث الأخير في حياة الإنسان دون أن تتناوله ومن أمثالهم في ذلك الموت يغدو ويروح[٥١١].

٥١٠- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص١٦٩ .

٥١١- عبدالله بن بلقين : مذكرات الأمير عبدالله (التبيان) ص٢٨ .

أهل الذمة

عاشت ضمن عناصر المجتمع الإسلامى الأندلسى أقليات غير مسلمة كان أهمها (النصارى واليهود) فاعتبرهم المسلمون أهل ذمة ، ورعوا حقوقهم كاملة، وكان لكل أقلية حياتها الخاصة ضمن إطار المجتمع الإسلامى الأندلسى[٥١٢].

أولاً : النصارى :

هم نصارى الأسبان الذين كانوا يعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية مع احتفاظهم بدينهم ولذلك عرفوا بالمستعربين وكان العرب يسمونهم بعجم الذمة أما من كان لهم عهد منهم فقد سموا بالمعاهدين[٥١٣] وكانوا يكونون أقليات كبيرة فى القواعد الأندلسية مثل قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وماردة[٥١٤] ويتمتعون فى ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلى وكان للنصارى رئيس فى كل مدينة يدعى القومس[٥١٥] (Coms) وكانوا ينتخبونه بأنفسهم وقومس الأندلس هو القومس الأعلى وقد أوجد هذا المنصب الأمير عبد الرحمن الداخل[٥١٦] وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ ، وكان له فى معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذا كان مستشاره فى كل ما يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم[٥١٧]. وقد كفلت الدولة الإسلامية فى الأندلس لعجم الذمة حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم وكان لنصارى قرطبة أكثر من كنيسة يؤدون فيها شعائرهم الدينية، كما كان لهم فى ظاهرها

٥١٢- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى: ص١٠٥ .

٥١٣- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم : ص١٣٠ .

٥١٤- أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس : ص١١٠ .

٥١٥- أنشأت الحكومة الأندلسية منصب القومس اعترافًا منها بأهمية الأقلية النصرانية ليكون مرجعها الرئيسى فى شئونها الدينية كان القومس من الشخصيات ذات النفوذ وله فى معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذ كان مستشاره فى كل ما يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم. راجع ابن الخطيب. الإحاطة: جـ١ . ص١٠٦ .

٥١٦- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص٥٨ ، تحقيق ابراهيم الإبيارى. الطبعة الأولى ١٩٨٢ / ١٤٠٢هـ

٥١٧- ابن الخطيب : المصدر السابق : جـ١ : ص١٠٦ : هامش رقم (١) .

أديرة كثيرة [٥١٨] بل أن المسلمين سمحوا للنصارى ببناء كنائس جديدة، وكانوا يقرعون نواقيسهم رغم ما كان يسببه هذا من إزعاج للمسلمين يقول ابن حزم فى إحدى قصائده .

أتيتنى وهلال الجو مطلــــع   قبيل قرع النصارى للنواقيس[٥١٩].

ونتيجة لهذا التسامح اتخذ المسيحيون العربية لغة لهم وأتقنوها أكثر من لغتهم اللاتينية[٥٢٠]، كما اتخذوا العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم فى ملابسهم وطعامهم وشرابهم، وحتى فى أسمائهم ، كما أن بعضهم امتنع عن أكل لحم الخنزير ومارس الختان[٥٢١]. وقد برز من المستعربين شخصيات لعبت دوراً هامًا فى تاريخ الإسلام بالأندلس مثل الأسقف ربيع بن زيد المعروف فى المدونات الأسبانية بريسيموندو Recmundo، ومطران طليطلة عبيدالله بن قاسم ، وأسقف قرطبة أصبغ بن عبدالله بن نبيل[٥٢٢] وقد عرف تاريخ العلم فى الأندلس عدداً كبيراً من هؤلاء المستعربين نذكر منهم ابن فرتون الطبيب[٥٢٣] وخالد بن يزيد بن رومان النصرانى ، وكان بارعًا فى الطب فى زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى ، فكان يصنع بيده الأدوية الشجارية [٥٢٤]، ومحمد بن أبا وكان حازمًا مجربًا، نبغ فى أيام الأمير محمد ، وإليه تنسب بعض السفوفات[٥٢٥] وابن ملوكة النصرانى الذى

٥١٨- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا : ص٢٧ .

٥١٩- ابن حزم الأندلسى: طوق الحمامة : ص١٧٣، الطبعة الخامسة تحقيق الطاهر مكى : ١٩٩٣م .

٥٢٠- أحمد الشعراوى: الأمويون : ص٣٠٩ .

Simonet , Historia de los Mozarrabes de Espana p. 190 .

٥٢١- شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب : ص٢٣١ ، ص٢٩١ ، سعد عثمان : نفس المرجع : ص١٠٧ .

٥٢٢- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس: ص١٣٢ .

٥٢٣- ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة: نشر مكتبة الخانجى والمثنى ببغداد سنة ١٩٥٦: جـ١ ص١٢ .

٥٢٤- ابن أبى أصيبعة : (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجى) : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء: نشر دكتور نزار رضا: بيروت ١٩٦٥: ص٤٥٨ .

٥٢٥- ابن أبى أصيبعة : نفس المصدر ٤٨٦، ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى) : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ ص٩٧ .

اشتهر فى أيام الأمير عبدالله ابن المنذر وأول دولة الناصر، ، وكان يصنع الأدوية بنفسه ، ويفصد العروق [٥٢٦].

وكان من النصارى أيضاً من شارك فى خدمة الخلافة الأندلسية وقام بسفارات إلى الممالك المسيحية فى شمال الأندلس[٥٢٧] كذلك استخدم النصارى كجنود فى جيوش الأمراء[٥٢٨] كما اشتغل كثير منهم بالتجارة فى المدن والثغور وكان لهم دور بارز فى نقل الحضارة الإسلامية إلى أسبانيا النصرانية [٥٣٠].

وقد زادت الصلة بين العجم والمجتمع الإسلامى الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى بتقربهم إلى الخلفاء والأمراء بالمصاهرات[٥٣١] فقد كانت «صبح» زوجة الخليفة الحكم المستنصر نصرانية وهى أم ولده هشام المؤيد ، كما أن المنصور بن أبى عامر تزوج من أميرة نافارية اسمها عبدة[٥٣٢] وظل النصارى يتمتعون بحريتهم الدينية طوال عصرى الخلافة والطوائف ، حتى حد المرابطون منها ، وأخذوا يضطهدونهم[٥٣٣] ، فقد طالب ابن عبدون فى كتابه آداب

٥٢٦- ابن أبى أصيبعة : نفس المصدر والصفحة ، ابن جلجل نفس المصدر : ص٩٧ ، راجع سالم : حاضرة الخلافة فى الأندلس : جـ٢ : ص٢١١ .

٥٢٧- ترتون : أهل الذمة فى الإسلام : ص٣٧ .

٥٢٨- كان فى جيش المعتمد الذى هاجم قرطبة ٤٦١هـ/ ١٠٨٦م ، فرقة من الجنود المسيحيين يقودها عدد من القواد الكبار وربما كانوا من الموالى وأحدهم اسمه أخذ شكلاً عربيًا كاملاً: خلف بن نجاح والثانى احتفظ باسمه الأسبانى ابن مرتين وكلاهما اشترك فى المعارك كجنود محترفين، راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص١٤٩ ، ص١٥٠ ، ص١٥٨ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٤٨ .

٥٢٩- الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس : ص٣٠٩ .

٥٣٠- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ص٣٠ .

٥٣١- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى: ١٠٨ .

٥٣٢- عن زواج المسلمين بالأسبانيات راجع العبادى الإسلام فى أرض الأندلس مقال فى مجلة الفكر الكويتية المجلد العاشر العدد الثانى : ص٣٤٦ ، ٣٤٨ : عام ١٩٧٩ .

٥٣٣- لم يقف المرابطون ومن بعدهم الموحدون موقف العداء من أهل الذمة ولم ينلهم جور أو تعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدى المرابطين كان نتيجة لموقف النصارى المعاهدين من المسلمين=

الحسبة ، أنه يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المتنوعة فإن القسسين فسقة [٥٣٤]، كما أمر أن يمنع قرع النواقيس فى بلاد الإسلام ومنع الأطباء واليهود والنصارى من معالجة المسلمين وضرورة مراقبة الكتب التى يبيعها اليهود والنصارى للمسلمين ما عدا كتب أهل ملتهم وضرورة حمل القسيسين على الزواج[٥٣٥] ونستخلص من ذلك أن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا فى ظل دولتى المرابطين والموحدين وأنهم واجهوا تشدداً لاتهامهم بالتجسس على المسلمين لمصلحة الدول المسيحية فى شمال أسبانيا ، وخاصة بعد حملة ابن رزمير ٥٩٨هـ- ١١٢٥م[٥٣٦] التى اجتاح فيها بلاد الإسلام حتى أدرك قرطبة وأشبيلية وزاد اضطهاد الموحدين لهم فنفوهم إلى بلاد المغرب حتى يكونوا بعيدين عن مؤازرة الممالك المسيحية في الشمال، واستطاع عدد كبير من المستعربين التسلل من الأندلس إلى هذه الممالك الشمالية [٥٣٧]. وكان الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور أشد خلفاء الموحدين وطأة على أهل الذمة [٥٣٨].

= فقد كان هؤلاء النصارى لايدخرون وسعًا فى الكيد والتآمر على المسلمين وتحريض ملوك النصارى ضدهم ومساعدتهم فى الإيقاع بالمسلمين ففى عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين قام النصارى المعاهدة فى غرناطة باستدعاء ابن رزمير عدو المسلمين وزينوا له اقتحام غرناطة فما كان من المرابطين أن قاموا بالتشديد على هؤلاء النصارى حتى يحدوا من مؤامراتهم فكان أن أمر الأمير على بن يوسف بتغريب هؤلاء النصارى وغيرهم مما يتعاونون مع العدو . عن ذلك راجع ابن عذارى: البيان المغرب : جـ٤ : ص٦٩ ، ٧٠ ابن الخطيب الإحاطة : جـ١ ص١٠٨ هامش رقم٤ .

٥٣٤- ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ص٤٨ .

٥٣٥- ابن عبدون : نفس المصدر : ص٥٥ - ص٥٧ .

٥٣٦- Codera (Francisco), De cadadencia Y disaparicion de los Almoravides en Espana, Zaragoza , 1899 . pp. 13-16 .

راجع ابن الخطيب : المصدر السابق : جـ١ ص١٠٨ : هامش رقم ٤ ، سالم : تاريخ المسلمين: ص١٣٢ .

٥٣٧- سالم : نفس المرجع والصفحة .

٥٣٨- المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى ص٣٠٥ .

هذا ويقدم لنا الشعراء من خلال قصائدهم معلومات عن النصارى المستعربين أكثر أهمية ، فهم الذين يقدمون لنا فى غيبة المؤرخين الشواهد على حرية المستعربين فى ممارسة طقوسهم الدينية، كما يصورون لنا العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين والنصارى[٥٣٩].

فوصف لنا الشاعر أبو عامر بن شهيد إحدى الكنائس فقال :

وقد فرشت بأضغاث أسى　　　وعرشت بسرور وائتناس

وقرع النواقيس بهيج سمعه　　　وبرق الحيا يسرع لمعه

والقس برز فى عبده المسبح　　　متوشحًا بالذنانير أبدع توشيح

قد هجروا الأفراح　　　وأطرحوا النعم كل إطراح

لايعمدون إلى مساء بآنية　　　إلا اعترافًا من الغدر بالراح[٥٤٠]

وقد قدم لنا الشعراء أيضًا صوراً شعرية لحب المسلمين للغلمان النصارى من أبناء المستعربين يقول أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى من شعراء عصر الخلافة قوله [٥٤١]:

قبّلته قُدامَ قسيسة　　　شربت كاسات بتقديسه

يقرع قلبى عند ذكرى لهُ　　　من خرط شوقى قرع ناقوسه

كما يقدم لنا أبو عبدالله بن الحداد شاعر من المرية وأصله من وادى أش شعراً يصف حبه لفتاة مسيحية يدعوها نويرة[٥٤٢] يقول فيها :

وبين المسيحيات لى سامرية　　　بعيد على الصب الحنيفى أن تدنو

مثلثة قد وحد الله حسنها　　　فثنى فى قلبى بها الوجد والحزن[٥٤٣]

٥٣٩- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٢٥٠ .

٥٤٠- المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص٥٢٥ .

٥٤١- المقرى نفس المصدر : جـ٤ ص٣٧ .

٥٤٢- راجع ابن بسام الذخيرة : جـ١ ص٧٠٤ أيضًا هنرى بيرس : نفس المرجع ص٥٥٢ .

٥٤٣- راجع ابن بسام الذخيرة : جـ١ ص٧٠٨ ، هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

ويمدحها أيضًا بقوله [٥٤٤]:

عـــسـالك بحــــــق	مـريحـة قـلبى الشـاكى
فـإن الحسـن قــد ولاك	إحيـانـى وإهلاكــى
وأولعنــى بصلبــان	ورهبـــان
ولـم آت الـكنـائـس عـن	هـوى فـيـهـن لــولاك

وكما تناول الشعراء أهل الذمة تناولت الأمثال الشعبية الأندلسية أيضًا عجم الذمة ويتضح من هذه الأمثال استهزاء الأندلسيين من عجم الذمة يقول المثل :

«ذكرت الخيول ذكر أبو خيل حمار»[٥٤٥]

وكأن فيه تلميحا إلى أن الخيول للعرب والحمير للعجم وهذا ما أفصح عنه ابن قزمان إذ يقول فى الزجاليين الذين يزاحمونه[٥٤٦] :

ثم تعجب وهو كان العجب	جمعوا الجهل وسوء الأدب
أن نجرى أنا خيول العـرب	قاموا ما عى حمير الظلم

وسخروا من كنائس العجم فى القرى وصوروا نواقيسها الفقيرة فقالوا [٥٤٧]:

«أفقر من ناقوص طبلش الذى كان من قرع ولسان من كملخ»

وقولهم أيضًا[٥٤٨]:

«عجينة مرتين أخذ الجوع آكله»

٥٤٤- ابن بسام : نفس المصدر : جـ١ ص٧٠٧ ، أحمد ضيف بلاغة العرب فى الأندلس : ص١٨٦ - ١٨٧ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٥٢- ٢٥٣ .

٥٤٥- محمد بن شريفة : أمثال الزجالى: ص١٨٣ مثل ابن عاصم رقم ٩٦٥ .

٥٤٦- زجل ٩ .

٥٤٧- محمد بن شريفة : نفس : نفس المرجع ص١٨٣٦ : مثل رقم ٧٨٦ .

٤٥٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٣ أمثال ابن عاصم مثل رقم ٥١١ .

ثانيًا : اليهود :

عانى اليهود كثيراً من اضطهاد القوط والرومان لهم وقد بلغ هذا الاضطهاد مبلغًا كبيراً فاتخذت الكنيسة قراراً يقضي بتنصير اليهود وتعميد أبنائهم [٥٤٩]، فبدأ اليهود يتآمرون سراً ضد القوط[٥٥٠] مما جعل ملوك القوط يستعملون سلطاتهم السياسية في اتخاذ قرارات تقضى بالمطالبة بإخراج اليهود من أسبانيا[٥٥١].

وكل ما يهمنا هو أن اليهود اشتد بهم الأمر خلال السنوات الأخيرة من حكم القوط .

وبعد الفتح العربي لبلاد الأندلس ، تمتع اليهود بتسامح كبير من جانب العرب لمؤازرة اليهود لهم عند الفتح[٥٥٢] وكافئوهم على ذلك بأن اتخذوا منهم حرسًا لما يفتحونه من البلاد إلى جانب الحرس الإسلامي[٥٥٣] ، ولقى اليهود تسامحًا مطلقًا من جانب العرب المسلمين وفى ظلهم بعثت اللغة العبرية والأدب العبرى من جديد[٥٥٤] وكان اليهود قد استعربوا منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وعاداتهم واندرجوا فى غمارهم[٥٥٥] وفى ظل هذه الرعاية وفد كثير من العلماء والأدباء اليهود إلى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى، وغدت مدرسة قرطبة التلمودية مركز الرياسة والتوجيه للبحث والترجمة فترجم كثير من الكتب العربية إلى اللغة العبرية واللاتينية[٥٥٦]، وعرف اليهود فى الأندلس بإجادتهم لعدة لغات منها الفارسية

٥٤٩- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس : ص١٣٣ .

٥٥٠- سالم : نفس المرجع والصفحة .

٥٥١- أنيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة : بغداد ١٩٢٦ .

٥٥٢- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : جـ١ ص١٠١ .

٥٥٣- مجهول :أخبار مجموعة : ص١٢ يذكر د. سالم فى كتابه تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص١٣٣ أن يهود الأندلس اتصلوا بيهود المغرب يخبرونهم عن حالهم فى ظل القوط، وإذا صح هذا الرأى فهو دليل على تسامح المسلمين الذى عرفوا به.

٥٥٤- حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٥٢٣ .

٥٥٥- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول : القسم الثانى ص٥١٦ .

٥٥٦- عنان : نفس المرجع والجزء والصفحة، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين: جـ١: ص٣٣ .

واليونانية والفرنسية والأسبانية والروسية ونبغ كثير منهم فى علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمياء أمثال حسداى بن شبروط[٥٥٧]، كما كانوا يمتهنون تجارة العبيد وبيع أدوات الزينة، وقد ازدهرت جماعات اليهود ماليًا وفكريًا ووصلوا إلى ذروة النفوذ والرخاء فى ظل الدولة الأموية[٥٥٨]، وكانت قرطبة أكبر مدينة أندلسية تضم عدداً من اليهود [٥٥٩]، كذلك كانت غرناطة تزخر بأكبر جالية يهودية ، فسميت غرناطة اليهود[٥٦٠].

وقد تجاوز نفوذ اليهود فى عصر ملوك الطوائف الحد خاصة فى مملكة غرناطة حتى أنهم أنشأوا مدينة اليسانة الكبرى[٥٦١]، فكان لابن النغريلة الإسرائيلى كل السلطان فى غرناطة[٥٦٢] كما التف اليهود فى بطليوس حول المتوكل[٥٦٣].

٥٥٧- حسداى بن شبروط : اسمه الحقيقى اسحاق بن عذار بن شبروط ولد ٩١٥ م وهاجر مع عائلته صبيًا إلى قرطبة ودرس الطب هناك ومارسه : كما تولى الإشراف على الخزانة العامة وكان قبل ذلك قد حظى برعاية الخليفة عبد الرحمن الناصر لخدماته الدبلوماسية وترجمته لكتاب «ديسقو ريدس» عن الأعشاب الطبية من اليونانية إلى العربية، وهو الكتاب الذى أهدى قيصر منه نسخة إلى الناصر سنة ٣٣٧ هـ راجع : محمد بن عبد المجيد : اليهود فى الأندلس ص٢٢ ، على راضى : الأندلس والناصر ص٧٦ ، عنان : نفس المرجع والصفحة ، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ص١١٣ .

٥٥٨- أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس : ص١١٠ .

٥٥٩- سالم : المساجد والقصور فى الأندلس : ص١٠٧ .

٥٦٠- الحميرى : الروض المعطار : ص٢٣ .

٥٦١- سالم : تاريخ المسلمين ص١٣٣ .

Levi Provencal : L'Espagne musulmane au Xe. Siecle, Paris 1932 . p. 38-39 .

٥٦٢- سالم : نفس المرجع والصفحة ، عن نفوذ ابن النغريلة راجع عبدالله بن بلقين: مذكرات الأمير عبدالله (التبيان) ص٣٨ وما بعدها .

٥٦٣- راجع عن هؤلاء اليهود : المقرى: نفح الطيب جـ٣ : ص٤٤٧ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢: ص١٠٦ .

كذلك كان فى بلاط حسام الدولة ابن رزين أمير السهلة وزير كاتب يمكن أن نعتبره يهوديًا من اسمه ولو أن المؤرخين لايذكرون شيئًا عن أصله، وكان يدعى أبو بكر ابن سدراى(٥٦٤).

وعلى الرغم مما يذهب إليه بعض المؤرخين من أن عصر المرابطين والموحدين كان عصر اضطهاد لأهل الذمة(٥٦٥) ولكن مما يدل على تمتع أهل الذمة فى عصر المرابطين بالأمن والطمأنينة أن علماءهم تمتعوا بحرية الكتابة والبحث والتأليف فقد نبغ منهم رجال وصل بعضهم إلى قصور الحكام، فقد ذكر ابن عذارى أن ابا عمر يناله اللمتونى والى المرابطين على غرناطة «كان له كاتب يهودي الأعراق والأخلاق»(٥٦٦).

٥٦٤- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٤٠٧ .

٥٦٥- ذهب بعض الكتاب أمثال فيليب حتى ؛ وكارل بروكلمان إلى القول بأن أهل الذمة قد عاشوا فى كنف المرابطين فى جور وظلم واضطهاد : راجع تاريخ العرب: ٧٠٤ ترجمة مبروك نافع الطبعة الثالثة ١٩٥٢، وكارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية : جـ٢ ص١٨ ، ترجمة نبيه فارس ، ومنير البعلبكى، أنظر أيضًا:

S. P. Scott: History of the Moorish Empire, P. 247 .

ولكن من الواضح أن دولة المرابطين لم تقف موقف العداء من أهل الذمة ولم ينلهم جور أو تعسف ، فقد حاول المرابطون جاهدين عدم الخروج عن منهج الشريعة الإسلامية ، ولم نجد فى سياستهم ما يشير إلى مثل هذا التعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدى المرابطين كان نتيجة موقف أهل الذمة من المسلمين فقد كان هؤلاء النصارى واليهود أيضًا لايدخرون وسعًا فى الكيد والتآمر على المسلمين كما سبق أن ذكرنا فقد كان أهل الذمة من النصارى واليهود يساعدون نصارى أسبانيا فيتجسسون على المسلمين لحساب ملوك النصارى وكثيراً ما أغروهم بحرب المسلمين وغزوهم ومن هؤلاء نصارى قرطبة الذين هبأوا لألفنسو السابع ملك قشتالة ، احتلال قرطبة ٥٤٠هـ وامتلاك قلعة رباح ٥٤١ وكذلك احتلال ميناء المرية ٥٤١ وذلك قبل أن يتمكن الموحدون من فتح الأندلس ، أما اليهود فقد تآمروا مع ابن همشك على الموحدين ، نضيف إلى ذلك أن الموحدين ظهروا فى فترة كانت الحروب طاحنة بين الصليبيين والمسلمين وهى فترة الحروب الصليبية. راجع ابن صاحب الصلاة : (عبد الملك: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين- السفر الثانى تحقيق عبد الهادى التازى- بيروت جـ١ : ١٩٦٤ الجمهورية العراقية ص١٨١ . هامش (٥) عن اليهود وموقف الموحدين منهم راجع محمد بحر عبد المجيد : اليهود فى الأندلس : ص٨٨ المكتبة الثقافية عدد ٢٣٧ . ١٩٧ ، حسن على حسن : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس : ص٣٦٨ .

Goitein : Studies in Islamic History and institutions , leiden , Brill. 1968 . p. 311 .

٥٥٦- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٤ : ص٦٦ .

ومن الشعراء اليهود الذين نبغوا فى عصر المرابطين الشاعر موسى بن عذرا الهالك ٥٢٢هـ من أهل غرناطة[٥٦٧].

هذا وقد صور لنا الشعر ما كان يتمتع به اليهود فى الأندلس من مكانة اجتماعية . يقول ابن عمار فى قصيدة يمدح فيها المعتضد عدو البربر فى أبيات ذات طابع مميز[٥٦٨].

شـقـيت بسـيـفك أمـة لم تعـتـقـد إلا اليـهـود وإن تسـمـت بربراً[٥٦٩]

ويقول فى قصيدة أخرى فى مدح المعتضد أيضًا :

لك الله إن كانت عداتك بعضها لبعض فكل منهم جميعًا إلى فرد

يهوداً وكانت بربراً فانتفض الظبى وانبتم منها بألسنة لد[٥٧٠]

هذا وقد عدد الشاعر أحمد بن عبد العزيز بن خيرة القرطبى المعروف باسم المنفتل وكان قد اعتنق اليهودية سراً قد مجد فضائلهم يقول[٥٧١] :

ومن يك موس منهم ثم صنوهُ فقل فيهم ما شئت لن تبلغ العُشرا

فكم لهم فى الأرض من آية ترى وكم لهم فى الناس من نعمة تترى

أجامع شمل المجد وهو مشتت ومطلق شخص الجود وهو من الأسرى

كذلك أورد ابن بسام أبياتًا أخرى تصور اليهود بعامة وصمويل(*) بن النغريلة المتسلط على غرناطة فى دولة بنو زيرى يقول[٥٧٢]:

٥٦٧- محمد مجيد السعيد : الشعر فى عصر المرابطين والموحدين بالأندلس : منشورات وزارة الثقافة والأعلام : الجمهورية العراقية : ص٥٤- ص٥٥ .

٥٦٨- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٤٣ .

٥٦٩- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٥٧٠- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٥٧١- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

(*) كان صمويل بن النغريلة يتمتع بمنزلة عالية فى بلاط الأمير حبوس بن ماكسن أمير غرناطة . المسلمين فى بلدتهم : راجع الونشريشى : المعيار المغرب : جـ٧ ص٥٩ . كذلك يشير الونشريشى إلى أن أحد اليهود حبس داراً على أحد مساجد قرطبة ، وإن كان بعض الفقهاء وقد أفتوا بعدم جواز تحبيس اليهود أو النصارى على مساجد المسلمين. الونشريشى : نفس المصدر : جـ٧ : ص٦٥ .

٥٧٢- ابن بسام : الذخيرة : جـ١ ص٧٦٥ .

تحكمت اليهود على الفروج وتاهت بالبغال وبالسروج
وقامت دولة الأنذال فينا وصار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج[٥٧٣]

ومن أشهر ما قيل في اليهود قول ابن الزقاق من جزيرة شقر تلك الأبيات[٥٧٤]:

وحببت يوم السبت عندى أننى ينادمنى فيه الذى أحببت
ومن أعجب الأشياء أنى مسلم حنيف ولكن خير أيامى السبت

أما الأمثال الشعبية الأندلسية فقد سخرت من اليهود وجنائزهم ومقابرهم ومعابدهم ورجال دينهم .

يقول المثل [٥٧٥]:

«قبر يهودى شط ضيق»

«جنيزة يهودى الجرى والسكات»[٥٧٦]

«بحل ربى فى شنوع يتحرك ويبزق»[٥٧٧]

٥٧٣- راجع ابن بسام الذخيرة : جـ١ ص٥٦٢ ، يقول ابن شهيد فى رسالة إلى الوزير ابن عباس فبحثت عن طرأ عليك من الإنزال (يقصد اليهود) وحل بساحتك من الأعلاج يقصد (النصارى): ابن بسام الذخيرة جـ١ ، ص٢١٤ .

٥٧٤- المقرى : نفح الطيب : ت٤ : ص١٩ ، ص٣٠٠ ، ابن الأبار الحلة السيراء جـ٢ ص١٠٦ .

٥٧٥- محمد بن شريفة : ص١٨٧ مثل ابن عاصم ٥٧١ .

٥٧٦- محمد بن شريفة : نفس الصفحة : مثل رقم ٣٦٤ .

٥٧٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ٦٤٢ . يقصد بلفظ «شنوعة» -المذكور بالمتن- بيت عبادتهم وهو منقول عن اللاتينية Sinagoga ومعناه أصلاً مكان الاجتماع ثم خصص المعنى بعد ذلك بمكان اجتماع اليهود للصلاة . أنظر ابن سهل مخطوط الأحكام الكبرى: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس: مستخرجة من الأحكام الكبرى: تحقيق عبد الوهاب خلاف ص٢٥ ، ص٦٠، ص٦١ ، ص١٩٨ .

Levi Provencal, Histoire de L'Espagne muslmane, t, III p. 230 .

ومن ناحية أخرى قام بعض اليهود أيضًا بحبس عقارات على أبنائهم وأعقابهم وكانوا يوصون - أحيانًا- بأنه فى حالة انقراض ذريتهم يرجع الحبس لفقراء المسلمين .

وهذه الأمثال تصور نظرة الرجل العادى وملاحظته حين رأى أوضاع اليهود تخالف أوضاع المسلمين [٥٧٨]. كذلك استعمل المسلمون من الأندلسيين فى أمثالهم فى اليهود الألفاظ القرآنية الواردة فى بنى إسرائيل كاللعنة والشقاء وغضب الله فهم يقولون .

«خادم شنوغ شاقى ملعون»[٥٧٩]

«بحل يهودى فى غضب الله»[٥٨٠]

كذلك تشير الأمثال الواردة فى اليهود إلى اشتغالهم بالتجارة واستعمال الحيل فيها فمن ذلك قولهم.

إذا ريت اليهود يذم السلع أدر أن يشتريه ويقولون أيضًا حاج بقطاع يهود يقضيها[٥٨٢]:

«إذا أفلس اليهود يفتش دفاتر ولد»[٥٨٣]

ويشير أحد الأمثال إلى اشتغال اليهود بالصاغة وإذا عمل مسلم بهذه الحرفة احتقره الناس وذموه يقول المثل :

«مسلم صاغ يهودى أحسن منه»[٥٨٤]

وهكذا كانت أوضاع أهل الذمة من النصارى واليهود فى ظل المجتمع الأندلسى.

٥٧٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٥٧٩- محمد بن شريفة نفس المرجع : (مثل ابن عاصم رقم(٣٩٦) .

٥٨٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : (مثل ابن عاصم رقم٣٩٦) .

٥٨١- محمد بن شريفة نفس المرجع : ص١٨٦ مثل رقم ٣١ .

٥٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ٨٠٥) .

٥٨٣- نفس المرجع والصفحة .

٥٨٤- نفس المرجع والصفحة .

العبيد :

انتشرت تجارة الرقيق فى الدولة الإسلامية، كما انتشرت فى غيرها من الدول وتنوع الأرقاء كذلك، فمنهم السود ومنهم البيض أو المماليك الذين سماهم آدم متز[٥٨٥] «أرستقراطية العبيد » لتفضيلهم على السود[٥٨٦] .

وكان الصقالبة والأتراك أشهر أنواع الرقيق الأبيض فى المجتمع الإسلامى إلا أن الصقالبة كانوا موضع التفضيل[٥٨٧] وكان الرقيق الأبيض من الصقالبة يتخذ طريقه الرئيسى إلى العالم الإسلامى من طريق يبدأ من شرق ألمانيا إلى ايطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونية حتى ثغر بجانة التى كانت مركزاً لتجمع العبيد الواردين من أروبا ، حيث يستخدمون كبحارة ، كما يتم تأهيلهم ، أو إجراء عملية الخصاء لهم وكان يقوم بها يهود خارج المدينة[٥٨٨].

أما الرقيق الأسود فكان يجلب من بلاد السودان عبر بلاد المغرب وقد جئ بهم على نحو خاص ابتداء من عهد عبد الرحمن الناصر ليكونوا حرسه الخاص، أما المنصور ابن أبى عامر فقد زاد من عددهم[٥٨٩] على نحو ما فعل مع البربر والصقالبة .

وعندما اندلعت الفتنة فى مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى حاولوا القيام ببعض الثورات ولكن البربر ردوهم على أعقابهم[٥٩٠].

٥٨٥- متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة عبد الهادى أبو ريدة طبعة بيروت : ١٩٧٦م : جـ١ ص٢٩٨ . راجع أيضاً العبادى : الصقالبة فى أسبانيا : ص٧ .

٥٨٦- استخدم العبيد السود فى القرن الرابع الهجرى مشاة وفرساناً ، كما استخدموا فى تكوين الاستقبالات الرسمية ، وفى حمل البريد وقد زاد عددهم فى عهد المنصور ابن أبى عامر إلى ألفين من المشاة . راجع ابن بسام : الذخيرة قسم٤ مجلد١ ص٥٥ : القاهرة ١٩٤٩م، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى: ص٩١ .

٥٨٧- العبادى : نفس المرجع : ص٧ .

٥٨٨- أحمد بدر : تاريخ الأندلس : ص٢٣٥ .

٥٨٩- يقول المقرى «وجند - أى المنصور- البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج » المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٣٩٨ .

٥٩٠- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٣٧- ص٢٣٨ .

وفى العصر المرابطى أبلى الجند السودان بلاء حسنًا فى معركة الزلاقة ويتحدث المؤرخون عن بطولات الحرس الأسود خلال المعركة فقد استطاع جندى أسود أن يقترب من الملك ألفونسو السادس وأن يجرحه فى فخذه بخنجر[٥٩١] . أما عن الجوارى من النساء فيذكر ابن حزم أن خلفاء بنى مروان فى الأندلس كانوا مجبولين على تفضيل الشقرة وكانوا هم أنفسهم شقراً[٥٩٢] ومع ذلك كانت الجوارى السوداوات يشكلن جانبًا من الحريم الأندلسى كزوجات شرعيات[٥٩٣] وكعشيقات .

وكانت العلاقة بين رجل أبيض وجارية سوداء ينظر إليها باحتقار ويروى المقرى ما روى عن ابن غير شرعى فى أسرة بنى ذى النون أمراء طليطلة تلقى ضوءاً على فكر بربر الأندلس فيما يتصل بالأنساب. فقد كان للمأمون بن ذى النون أخ غير شرعى يدعى أرقم كان ابن لأمة سوداء واقعها أبوه الظافر فى حالة سكر ، وقد تسامح المأمون مع أخيه غير الشرعى ولكن ابنه يحيى القادر جاء على النقيض من أبيه فصال على الأرقم ففر من المملكة وارتجل أبياتًا ذكرها ، وهى تظهر رد فعل الإنسان الذى يشعر بأنه إنسان صالح مهما جاء من علاقة غير شرعية وأنه أفضل من أى أمير آخر بربريًا أو مسيحيًا معروف النسب[٥٩٤] يقول[٥٩٥] :

لئن طبتُم نفسًا بتركى دياركـم ... فنفس عنكم بالتفرق أطيب

إذا لم يكنْ لى جانب فى دياركم ... فما العذْر لى أن لا يكون تجنُّب

زعمتم بأنى لستُ فرعًا لأصلكم ... فهلاَّ علمتم أننى عنه أرغبُ

٥٩١- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٣٨ .

Levi Provencal L Histoire de L'Espagne musulmane vol . 3 . p. 129 .

٥٩٢- ابن حزم : طوق الحمامة : ص٤٩ - ص٥٠ .

٥٩٣- لم يجد الأمير الأموى حبيب بن الوليد المروانى حرجًا فى أن يتزوج من جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون كانت تلميذة الإمام وتأدبت على يديه: راجع المقرى: نفح الطيب : جـ٣ : ص١٣٩- ص١٤٠ .

٥٩٤- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٣٨ ، راجع المقرى: نفح الطيب : جـ٤ ، ص١٢٣ .

٥٩٥- المقرى : نفح الطيب : نفس الجزء والصفحة .

وحسبى إذا ما البيضُ لم ترعَ نسبه — بأنى إلى سيفى ورمُحــى أنسب
وإن مُدت الأيام فى عُمرى للعُلا — يُشرِّقُ ذكرى فى الورى ويُغرّب

ويظهر لنا الشعر أيضًا موقف النساء الأندلسيات من الحب الذى يمارسه أزواجهن مع السوداوات ، فقد مال ابن زيدون إلى جارية الأميرة ولادة بنت المستكفى وكانت سوداء فكتبت تعاتبه على هذا الهوى تقول[٥٩٦]:

لو كنت تُنصف فى الهوى ما بيننا — لم تهـو جاريتـى ولم تتخيَّـر
وتركت غصنًا مثمراً بجمالــه — وجنحت للغصن الذى لم يُثمر
ولقد علمتَ بأننى بدرُ السمـا — لكن ولعتَ لشقوتى بالمشترى

وفى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى عبرت حفصة الركونية من شاعرات غرناطة[٥٩٧] عن حزنها لتعلق حبيبها أبى جعفر ابن سعيد بجارية سوداء اعتكف معها أيامًا وليالى بظاهر غرناطة : قالت حفصة [٥٩٨]:

يا أظرف الناس قبل حال — أوقعـه نحوه القدَر
عشقت سوداء مثل ليل — بدائع الحسن قدْ سَتَر
لايظهر البِشْرُ فى دُجلها — كلا ولا يُبْصَرُ الخفـرُ
بالله قل لى وأنت أدرى — بكل من هام الصور
من الذى هام فى جِنان — لانوار فيه ولازهـر

وقد أشار ابن حزم فى طوقه إلى فئتين من الجوارى فئة تتخذ للنسل واللذة والحال الحسنة[٥٩٩] وأخرى تتخذ للخدمة وكان اتخاذ العبيد للخدمة من شارات الكبراء أو ما يحاكيهم كما فى قول شاعر أندلسى[٦٠٠]:

٥٩٦- المقرى : نفس المصدر : جـ٤ ص٢٠٥ .

٥٩٧- من أهل غرناطة فريدة فى الحسن والظرف والأدب كانت أديبة نبيلة جيدة البديهة سريعة الشعر تنسب إلى بلدة «ركانة تقع غرب ثغر بلنسية » راجع ابن الخطيب: الإحاطة : جـ١ : ص٤٩١ .

٥٩٨- ابن الخطيب : نفس المصدر : جـ١ ص٤٩٢ .

٥٩٩- ابن حزم : طوق الحمامة : ص١١١ تحقيق الطاهر مكى .

٦٠٠- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ٢ : ص٢٩٢ .

أيا حاسداً عبد العزيز وحاكيًا ... له منزعًا قد سار فيه على أصل
فهبك تحاكيه بعبد وبغلـــة ... فمن لك أن تحكيه فى القول والفعل

يقول المثل الأندلسى فى نفس المعنى:

«البغل المسمر والعبد المشمر»(٦٠١)

ويفهم من بعض الأمثال أنهم كانوا يفضلون العبد الأسود على الأبيض إما لصبره وقوة تحمله وطاعته وإخلاصه وإما لأغراض أخرى مبتذلة.

يقول المثل :

«طل ما تجد أسود ، لاتسخر أبيض»(٦٠٢)

ويقولون أيضًا :

«لاتعمل خصل مع أسود »(٦٠٣)

كما جاءت عبارة غلام الخدمة فى المثل التالى:

«غلام الخدم، لايباع ولايرهن»(٦٠٤)

يقولون كذلك :

«السود للسادة والبيض للرمادة»

وتظهر فى الأمثال الأندلسية أيضًا الحث على عدم مخالطة العبيد والامتزاج بهم يقول المثل:

«الخديم لايكون نديم»

«من خالط الخدم ندم»(٦٠٥)

٦٠١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٨ مثل رقم ٤٧٨ .

٦٠٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم ١٠٦٤ .

٦٠٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم ٢٠١٣ .

٦٠٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٨ مثل رقم ١٧٣٤ .

٦٠٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٨٩ مثل رقم ١٤٢٠ ورقم ١٠٩ .

وإذا كان تسرى البيض أو زواجهم بالسود شيئًا طبيعيًا فإن زواج السود أو الموالى بالبيضاء كان مما يثير الانتقاد والسخرية .

يقول القاضى ابن حمدين فى أسود يخاصم زوجة له بيضاء[٦٠٦]:

رأيت غرابًا على سوسنة فكان بشيراً بسوء السنة

فيا مرو والساج زد عزة ويا مكمل العاج زد مهونة

ويؤكد المثل الأندلسى هذا المعنى فيقول :

«شوى شوى يطلع ميمون للسرير»[٦٠٧]

ومن القضايا التى عرضت على قاضى الجماعة بقرطبة قضية العبد الذى نكح حرة بدون إذن سيده[٦٠٨] فقال القاضى ابن لبابة : بفسخ نكاحه إذا كانت الفتاة لم تعلم أنه عبد ولها أن تطلق نفسها منه متى شاءت[٦٠٩].

وعلى الرغم من مكانة العبيد ونظرة المجتمع الأندلسى لهم إلا أن الجوارى احتلوا مكانة هامة فى المجتمع الأندلسى فيذكر ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة[٦١٠] أن سبب جنون يحيى بن محمد بن أحمد بن عباس بن أبى عبدة[٦١١] بيع جارية له كان يجد بها وجداً شديداً ، وكانت أمه قد باعتها وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات .

٦٠٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩١ .

٦٠٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٤٨٩ مثل رقم ١٩٠٦ «واشتهر ميمون فى عبيد المغرب والأندلس» .

٦٠٨- ابن سهل : ص٧٨ .

٦٠٩- ابن سهل : ص٨٢ .

٦١٠- ابن حزم : طوق الحمامة : ص١٣٩ .

٦١١- بنو عبدة بيت أندلسى عريق، من البيوتات الكبيرة التى لعبت دوراً هامًا فى تاريخ الأندلس على أيام دولة بنى أمية وفى عصر الطوائف وينسبون إلى حسان بن مالك ويوجد أخبار وافرة فى عدد من المصادر والمراجع . عن أسرة بنى عبدة راجع عنهم مثلاً :

كذلك كانت الجارية مرجان من أحب الجوارى إلى قلب الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فاستولت على قلبه وأنجبت له ابنه الحكم المستنصر، فكانت أثيرة الخليفة لايسلو بدون رؤيتها ولايكتم عليها سراً ، وإذا مرض حمل إلى بيتها(٦١٢).

ولم تكن هى الأخرى وحيدة فى حياة الخليفة ، فقد كان له من الجوارى للتسرى الكثيرات مثل الزهراء التى بنى الخليفة على اسمها مدينة الزهراء(٦١٣) ورسيس التى كانت تجاهر بالتكشف فى وسط قرطبة(٦١٤)، أما صبح البشكنسية زوجة الخليفة الحكم المستنصر فكانت هى الأخرى أثيرة عنده وكان لها نفوذ سياسى فى دولته(٦١٥) ولعلها هى التى جعلته يعهد إلى ابنها هشام المؤيد بالخلافة مع صغر سنه فكانت سبيلاً إلى ضياع الخلافة وسقوطها.

وفى وفاء الجوارى لأسيادهن يذكر ابن حزم فى كتابه(٦١٦) طوق الحمامة أنه كان فى دار محمد بن أحمد بن وهب المعروف بابن الركيزة من ولد بدر الداخل مع الإمام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه جارية رائعة الحسن كان لها مولى فجاءته المنية فبيعت فى تركته ، فأبت أن ترضى بالرجال بعده، وما جامعها رجل إلى أن لقيت الله عز وجل وكانت تحسن الغناء فأنكرت علمها به ورضيت بالخدمة ، والخروج عن جملة المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة وفاء لمن قد دثر ووارته الأرض .

= ابن الآبار : الحلة السيراء : جـ١ ص٢٤٥ وما بعدها ، ابن حيان المقتبس من أبناء أهل الأندلس : تحقيق محمود على مكى: ص١٩٦ : ص١٩ بيروت ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، عنان دولة الإسلام فى الأندلس عصر الطوائف : ص٢٠ وما بعدها .

٦١٢- ابن حيان : المقتبس : جـ٥ تحقيق شالميتا ص١٣٣ .

٦١٣- ابن عربى: (محيى الدين بن عربى) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار فى الأدبيات والنوادر والأخبار . القاهرة : ١٩٠٦م . قسم ١ ص١٤٧ ، ١٤٨ : مطبعة السعادة بالقاهرة .

٦١٤- ابن حزم : نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف : مجلة كلية الآداب :جامعة القاهرة : ١٩٥١م .

٦١٥- محمد عبد الله عنان : تراجم شرقية وأندلسية : ص٢٠٣ ، وحسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى: جـ٣ ص٤٤٩ .

٦١٦- ابن حزم : طوق الحمامة : ص١١١ .

ومع أن الدين الإسلامى أوصى بحسن معاملة الرقيق فإن الواقع فى المجتمع الأندلسى كان غير ذلك يقول المثل الأندلسى[٦١٧]:

«أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور»

وهم يعبرون عن الحديث التافة الذى لايعبأ به ولايلتفت إليه قولهم[٦١٨]:

«سود ذنت ، قال قلة أنكسرت»

والعبد لايعرف طعم الراحة ، فإذا انتهى من عمل كلف بعمل آخر وهذا ما يشير إليه المثل[٦١٩]:

«أطلق الفاس خد المصحا»

وكان الأباق أكبر أمنية لدى العبد يقول المثل[٦٢٠]:

«أقل للأسود أشكتعمل لو كنت سلطان قال ناخد ألف مثقال ونهرب»

ويشير ابن عذارى إلى آباق العبيد وسجنهم بسبب ذلك أنه لما قامت إمارة مبارك ومظفر العامريين فى شرق الأندلس «انفتح على المسلمين ببلاد الأندلس أمر شديد فى أباقة العبيد إذ نزع إليهم كل شريد طريد وكل عاق مشاق[٦٢١].

كذلك صورت الأمثال الشعبية الأندلسية شعور العبيد بالحرمان ورأيهم فى سادتهم . ومن هذه الأمثال قولهم[٦٢٢]:

«شتمت مولاى تحت كساى»

«لاستى شئ ولاسيدى شئ»

٦١٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٠ (أمثال ابن عاصم مثل رقم٢٣٥) .

٦١٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم١٨٣١) .

٦١٩- محمد بن شريفة: نفس المرجع والصفحة (مثل رقم٤٢٢) .

٦٢٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم١٩) .

٦٢١- ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص١٦٠ .

٦٢٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩١ : (مثل رقم ١٨٨ ومثل رقم ١٩٩٣) .

المــرأة

كانت المرأة فى الأندلس تمثل صورة من صور حياة المجتمع الأندلسى، وقد استطاعت المرأة رغم كل الضواغط الدينية أن تلعب دوراً رئيسيًا فى المجتمع الأندلسى.

وحين نتحدث عن المرأة الأندلسية فسيكون الحديث عنها زوجة وربة بيت وصاحبة نفوذ سياسى واجتماعى بالإضافة إلى استحواذها على فكر الرجل الأندلسى[٦٢٣] وندر بين الأندلسيين من اعتبر المرأة كائنًا شريراً يقول ابن الحداد[٦٢٤]:

خُنْ عهدها مثل ما خانتك منتصفًا ... وامنح هواها بنسيان وسُلْوانِ

فالغيد كالروض فى خلق وفى خُلق ... إن مرَّ جانٍ أتى من بعده جانِ

وقال أيضًا منشداً يحيى الغزال[٦٢٥]:

يا راجيا ود الغوانى ضلة ... وفؤاده كلف بهن موكل

إن النساء لنا سروج حقيقة ... فالسرج سرجك ريثما لاتنزل

فإذا أنزلت فإن غيرك نازل ... ذاك المكان وفاعل ما تفعل

أو منزل المجتاز أصبح غاديًا ... عنه وينزل بعده من ينزل

أو كالثمار مباحة أغصانها ... تدنو لأول من يمر فيأكل

ويقول ابن قزمان[٦٢٦] أيضًا وقد خبر كل الأذواق الرقيقة فى الحب عن المرأة :

النساء كما فى علمك ... الهروب منهم غنيمة

لن نرى الواحد منهم ... ما بقت فى الدنيا قيمة

وسوى تكون فى عينى ... الجديدة والقديمة

والبعيدة والقريبة ... والسمينة والرقيقة

٦٢٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص٣٤٧ .

٦٢٤- المقرى : نفح الطيب : جـ٣ : ص٥٠٥ .

٦٢٥- المقرى : المصدر السابق : جـ٢ : ص٢٥٩ .

٦٢٦- ابن قزمان : الديوان : زجل رقم ٨٩ وراجع أيضًا هنرى بيرس: نفس المرجع والصفحة .

هذا ولم يكن بين نساء العامة إماء مملوكات إلا نادراً ذلك أن ارتفاع أسعار الجوارى بالنسبة لدخل العامل يجعل هذه الملكية بعيدة المنال. وقد أضفى قلة الجوارى داخل بيوت العامة من الأندلسيين جواً من السعادة فكانت المرأة العامية لاتجد من يشاركها عواطف زوجها ومشاعره[٦٢٧].

ويذكر د. إحسان عباس أن دور المرأة العامية فى خدمة المجتمع كان محدوداً فأغفلته الأشعار إلا ما ندر منها[٦٢٨] . وإنى لأختلف مع هذا الرأى ، فليس معنى إغفال الأشعار لدور المرأة العامية فى خدمة مجتمعها أن نهضم حقها فقد كانت المرأة تشارك زوجها الحياة فى الوسط الاجتماعى الذى يعيشه وكانت العلاقة بينها وبين الزوج قائمة على نوع من التعاون الذى فرضته الحياة[٦٢٩] فكانت تدير شئون بيتها من تربية الأطفال وتنظيف المسكن وطهى الطعام لأسرتها ولم يكن هذا دور المرأة العامية فقط، فقد عملت فى مجالات عديدة، فيذكر ابن بسام أن الشاعر ابن اللبانة كانت أمه امرأة عاملة تستعين على تربية أبنائها ببيع اللبن[٦٣٠] . كذلك تذكر كتب الحسبة أن العديد من النساء الأندلسيات كن يشتغلن فى غزل الصوف وبيعه فى سوق الغزل[٦٣١].

أما المرأة فى الفئات الغنية فنجدها ذات مكانة عالية، وكانت نساء الخلفاء أول من حظى بهذه المكانة، فقد كانت فاطمة القرشية[٦٣٢] زوجة الخليفة عبد الرحمن الناصر وأولى نساء

٦٢٧- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس : ص٢٧٤ .

٦٢٨- إحسان عباس وآخرون : دراسات فى الأدب الأندلسى: ص٣٢ : الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس: ١٩٧٨ .

٦٢٩- الخشنى : قضاه قرطبة : نشر عزت العطار : ص١٣٩ القاهرة سنة ١٩٥٢ .

٦٣٠- ابن بسام : الذخيرة : قسم ٣ : جـ٢ : ص٦٦٧ .

٦٣١- ابن عبد الرؤوف : رسالة فى الحسبة : ص١١٣ ، الخشنى : قضاة قرطبة : ص٢٥ ، ابن الخطيب : الإحاطة : جـ١ : ٣٢٥ .

٦٣٢- هى فاطمة بنت المنذر بن محمد القرشية عاشت فى كنف جدها الأمير عبدالله بعد مهلك والدها ، وتزوجها الخليفة عبد الرحمن الناصر وكان لها من الأبناء المنذر بن عبدالله على اسم جده لأمه، وكان يعرف بابن القرشية، وقد توفيت فاطمة فى حياة الناصر، راجع ابن حيان : المقتبس جـ٥: تحقيق شالميتا : ص١٣،٧ ،

القصر وكان الخليفة الناصر يفتخر بها لأنها قرشية ، ولأنها من قرابته ، فجعل لها المكان الأول فى الحظوة(٦٣٣) وكانت من الإعجاب بنفسها والزهو لشرفها تفخر على نساء القصر(٦٣٤) فكن يأتين إليها، ويجلسن إلى جوارها ، إكباراً لها وتعظيمًا لمنزلتها عند الخليفة(٦٣٥).

أما الزلفاء أم عبد الملك المظفر بن أبى عامر فكان لها دور فى سقوط الخلافة فى الأندلس، فقد قامت ضد أخيه عبد الرحمن شنجول ، بكل الوسائل لخلعه وقتله ظنًا منها أنه اغتال ابنها المظفر ، فداخلت الصقالبة، وأعطتهم الأموال للإفساد على عبد الرحمن ، والاتصال بالأمويين لاستعادة ملكهم، حتى كان ذلك على يد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموى الذى قاد الثورة وقتل شنجول وكان على يده إسقاط الخليفة هشام المؤيد ٣٩٩هـ(٦٣٦) .

هذا ولم تكن المرأة الأندلسية منزوية على نفسها فى المجتمع الذى استطاع الإسلام أن يسمه بطابعه فى بعض مظاهره الخارجية دون أن يشكله بعمق(٦٣٧) ، فاستطاعت المرأة رغم كل الضواغط الدينية أن تفلت من بعض الالتزامات الإسلامية مما جعل بعض الذين كتبوا عن تحرير المرأة هناك أرادوا من ذلك خروجها عن الالتزامات الشرعية فوصفت بالتحرر فى المغرب(٦٣٨) والأندلس خاصة أكثر من المشرق(٦٣٩) واستدلوا على ذلك بأقوال المؤرخين التى أوردوها للدلالة على هذه الحقيقة التاريخية ولكنهم لم يدركوا أن المرأة الأندلسية التى عاشت فى مجتمع بعيد عن بلاد العرب مهد الرسالة، تجاورها نساء النصارى ثمانية قرون قد أوجد لها بعض العذر فى تقصيرها (٦٤٠).

٦٣٣- ابن حيان : المصدر السابق : نفس الجزء : ص٧ .

٦٣٤- ابن حيان : نفس المصدر والجزء : ص٨ .

٦٣٥- ابن حيان : نفس المصدر والجزء : ص١٠ .

٦٣٦- التوانى: مأساة انهيار الوجود العربى فى الأندلس ص٥٣٨ ، ٥٣٩ .

٦٣٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٤٧ .

٦٣٨- سامى العانى : دراسات فى الأدب الأندلسى ص١٠٩ .

٦٣٩- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى : ص٢٥ .

٦٤٠- سعد عثمان : المجتمع الأندلسى : ص٢٧٣ .

هذا وقد أثرت الأيام الطويلة مع البعد عن الإسلام فى المرأة الأندلسية ، فظهرت فى العصور المتأخرة ترتدى قبعة مستديرة أشبه بالقلانس ينسدل من تحتها الشعر على الكتفين، وفى نقوش أخرى ظهرت حاسرة الرأس[٦٤١].

يقول ابن الخطيب[٦٤٢] : «وحريمهم ، حريم جميل ، موصوف بالسحر، وتنعم الجُسوم ، واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر[*]، وخفة الحركة ونبل الكلام وحسن المحاورة ، إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن فى التفنن فى الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجُن فى أشكال الحُلى ، إلى غاية نسأل الله أن يُغضَّ عينهن فيها، عين الدهر، ويكفكف الخطب ولايجعل من قبيل الابتلاء والفتنة».

وثمة وقائع تؤكد ما تمتعت به المرأة الأندلسية من حرية وذلك من خلال أحاسيس الشعراء القوية التى ظهرت فى أشعارهم فالشاعر الرمادى[**] كان يتنزه مجتازاً باب العطارين[٦٤٣] بقرطبة فرأى جارية رائعة الحسن تدعى خلوة أخذت بمجامع قلبه، وجعل يتبعها يحادثها ولايدعها تمضى إلا بعد أن حصل منها على وعد بلقاء فى يوم الجمعة التالية[٦٤٤].

٦٤١- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس : ص١١٥ شكل (٦١) ، ص١١٧ شكل (٦٨) بيروت بدون تاريخ .

٦٤٢- ابن الخطيب : الإحاطة : جـ١ : ص١٣٩ .

(*) النشر : هو الريح الطيبة .

(**) يوسف بن هارون الرمادى الكندى ، يكنى أبا عمر ، من كبار شعراء الأندلس على أيام المنصور ابن أبى عامر ، توفى ٤١٣ هـ ١٠٢٢م ، راجع : ابن بشكوال : الصلة : ترجمة رقم ١٤٩١ القاهرة ١٩٦٦، ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب جـ١ : ص٣٩٢ ، تحقيق شوقى ضيف ، الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٦٤م ، ابن حزم : طوق الحمامة : ص٤٠ : هامش رقم (٣) .

٦٤٣- باب العطارين : أحد أبواب قرطبة السبعة ، ويقع فى الجانب الغربى من المدينة ومنه يبدأ الطريق إلى أشبيلية ، ومن هنا كان يعرف أيضًا باسم باب أشبيلية ، وحوله كانت تقوم تجارة العطور وأدوات الزينة ، فأصبح ملتقى النساء من كل أنحاء المدينة راجع : المقرى: نفح الطيب : جـ٢ : ص١٣ .

Levi Provencal : L'espagne musulmane , p. 204 , Paris 1932 .

٦٤٤- ابن حزم : طوق الحمامة: ترجمة الطاهر مكى ص٤٠ ، ٤١، هنرى بيرس: نفس المرجع : ص٣٤٨.

وكان شيئًا عاديًا أن نرى بين جمهرة الحرفيين والفلاحين من النساء دون خمار وفى أشد الحالات كانت تغطى رأسها بحجاب ووجهها مكشوف . ويذكر المقرى فى نفحه أنه كان فى أشبيلية منتزه يعرف باسم مرج الفضة أمعن الأمير المعتمد النظر فى امرأة سوف تصبح زوجته الشرعية وتحمل اسم اعتماد(٦٤٥) وفى جولة أخرى لنفس الأمير فى حى الجباسين والجيارين فى أشبيلية التقى بامرأة ذات جمال مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لايقتضيه الحياء.(٦٤٦) أما الشاعر ابن السراج المالقي، فكان يومًا يتنزه على نهر مالقة فمر به سرب من الفتيات الملاح فيهن جارية حسناء تأكل الباقلاء، فاعترضها وسألها منه، فدفعته إليه، فقال منشدًا(٦٤٧):

وسرب ملاحٍ مربى وبصاحبى ... ونحن على ماء يذكرنا عدنا
ويحملن فولاً عندهن نظيره ... عوان ولكن نوره عز أن يجبى

لكن المثل الأقوى دلالة على حرية المرأة تقدمه لنا ولادة بنت المستكفى(*) ، فقد انتهزت فرصة موت والدها فى لحظة غير متوقعة خلال الفتنة والاضطراب الذى أدى إلى الفتنة لتعيش حياة متحررة تمامًا فأقامت «صالونًا» يجذب إليه أكبر الشخصيات وأعظم الأدباء شهرة ، وقد أظهرت بظرفها واحتقارها للحجاب وجرأتها فى الحديث ما يدل على أنها تحررت تمامًا فكتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أما والله أصلحُ للمعالى ... وأمشى مشيتى وأتيهُ تيها

٦٤٥- المقرى: نفح الطيب : جـ٤ : ص٢١١ .

٦٤٦- المقرى : نفس المصدر والجزء : والصفحة .

٦٤٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٤٩ .

(*) من أشهر نساء الأندلس وهى بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر وكانت واحدة زمانها ، المشار إليها أو أنها حسنة المحاضرة ، وفيها قال ابن زيدون الوزير والشاعر الأشعار والقصائد : عنها راجع : المقرى: نفس المصدر جـ٤ : ص٢٠٥ وما بعدها .

٦٤٨- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

وكتبت على الطراز الأيسر[٦٤٩]:

وأمكن عاشقي من صحن خدي　　　وأعطي قبلتي من يشتهيها

ومع أن المرأة العادية شاركت زوجها أعباء الحياة والغنية عاشت حياتها على ما تريد من لهو وطرب[٦٥٠] ورغد عيشي، فإن هناك مجموعة من النساء خدمن المجتمع الأندلسي من اللاتي اشتغلن بالعلم والثقافة[٦٥١]، فكان منهن الشاعرة القرطبية المشهورة حسانة التميمية[٦٥٢] أما مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله فكانت حاذقة في الخط[٦٥٣] توفيت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . أما لُبْنَى فكانت كاتبة للخليفة الحكم المستنصر وكانت نحوية شاعرة بصيرة بالحساب عروضية وخطاطة توفيت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة[٦٥٤]. ومنهن أيضًا فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي ، كانت خيرة فاضلة توفيت سنة تسع عشر وثلاثمائة[٦٥٥] ، وعائشة بنت محمد ابن قادم القرطبية ذكرها ابن حيان وقال : لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهمًا وعلمًا وأدبًا وشعراً وفصاحة وعفة وجزالة وكانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها وقد جمعت لنفسها مكتبة كبيرة ولها غنى وثروة وماتت عذراء لم تنكح قط[٦٥٦]، أما صفية بنت عبدالله الربي فكانت هي الأخرى أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط[٦٥٧] ومريم بنت أبي يعقوب الفيصولي

٦٤٩- المقري: نفس المصدر : جـ٤ : ص٢٠٥ .

٦٥٠- عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري: دار الاعتصام : القاهرة :بدون تاريخ : ص٤٦ .

٦٥١- خوليان رابيرا : المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية : ص٩٣ ، ٩٤ . مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية : مجلة ٥ جـ١ : سنة ١٩٥٩م .

٦٥٢- جانثالث بالنثيا (أنخل) تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥: ص٥٧ غرسية غومس (إميليو) : الشعر الأندلسي : ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٥٦ : ص٣١ .

٦٥٣- ابن بشكوال : الصلة : ص٦٩٢ .

٦٥٤- ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٦م : القسم الثاني: ص٦٩٢ .

٦٥٥- ابن بشكوال : نفس المصدر القسم الثاني ص٦٩١ .

٦٥٦- ابن بشكوال : نفس المصدر والقسم ص٦٩٢ ، ٦٩٣ .

٦٥٧- ابن بشكوال : نفس المصدر والقسم ص٦٩٣ .

الشلبى، كانت أديبة شاعرة جزلة مشهورة ، وكانت تعلم النساء الأدب وتحتشهم لدينها وفضلها وعمرت طولاً [٦٥٨] هذا بالإضافة إلى الشاعرة ولادة بنت المستكفى الشاعرة المعروفة والتى سبق الحديث عنها ومن النساء اللاتى ظهرن فى عصر المرابطين ثم الموحدين نزهون القلاعية[٦٥٩] من أهل غرناطة ومن الشواعر اللاتى ظهرن فى عهد عبد المؤمن بن على الأديبة الشاعرة المربية حفصة بنت الحاج الركونية[٦٦٠] الغرناطية وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن على[٦٦١].

هذا ولم تكن النساء الأندلسيات كلهن سافرات متحررات فقد كان هناك النساء الملتزمات بلبس الحجاب وهذا يدل على أن نساء الأندلس لم يكن فى مستوى واحد فى كل المجتمعات والعصور فكان عدد كبير من النساء الأندلسيات يؤثرن القيم الإسلامية وحتى الجوارى لم يكن كلهن سافرات وإنما كن يتخذن الحجاب والنقاب[٦٦٢]، وظل الحجاب شائعًا حتى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى[٦٦٣].

أما المرأة الأندلسية ومكانتها من قلب الرجل، فقد احتلت مساحة كبيرة من حياته ويصور لنا الشعر الأندلسى نماذج لاحصر لها من القصائد التى تغنى بها الشعراء فى حب المرأة ولعل

٦٥٨- ابن بشكوال : نفس المصدر والقسم ص٦٩٤ ، ٦٩٥ .

٦٥٩- نزهون القلاعية من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال مع جمال فائق وكان الوزير أبوبكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها: راجع ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب :جـ٢ : ص١٢١ ، ابن الخطيب : الإحاطة جـ١ : ص٤٢٦ .

٦٦٠- كانت حفصة تشتهر بالجمال والمال وكانت أستاذة بالإضافة إلى شهرتها الأدبية وقد طال عمرها حتى علمت نساء الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن ، توفيت بمراكش سنة ٥٨٦هـ، راجع ابن سعيد : المصدر السابق : جـ٢ ص١٣٨ ، ياقوت : معجم الأدباء : جـ١ : ص٣١٩ .

٦٦١- ابن سعيد : المغرب : جـ٢ : ص١٣٨ ، المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص١٧١ ، ١٧٢ .

٦٦٢- الركابى: فى الأدب الأندلسى: ص٤٨ .

٦٦٣- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا : ص٩٤ .

من أشهر ما وصل إلينا من هذه النماذج الشعرية كتاب طوق الحمامة للأديب الأندلسى ابن حزم[٦٦٤].

ويروى ابن حزم فى طوق الحمامة أن الشاعر الرمادى أحب الجارية خلوة من أول نظرة وتغزل فيها بأشعاره[٦٦٥] وفى خلوة يقول :

فهذا حماما لأيك يبكى هديله بكائى فليفرغ للوم الجمائم

وما هى إلا فرقة تبعث الأسى إذا نزلت بالناس أو البهائم

خلا ناظرى من نومة بعد «خلوة» متى كان منى النوم ضربة لازم

أما ابن عمار الشاعر[*] فيقدم نصيحة إلى الأمير المعتمد بن عباد وكان عجلا إلى لقاء محبوبته اعتماد يقول[٦٦٦] بعد عودته من إحدى الحملات الحربية :

وقبل خلع نجاد السيف فاسع إلى ذات الوشاح وخذْ للحب بالثار

ضمًا ولثمًا يُغنىَ الحلىُ بينكما كما تاوب أطيار بأسحار

وعندما خرج المعتمد بن عباد من أشبيلية على رأس حملة حربية فطاف خياله بإحدى نسائه، فكتب إليها متشوقًا يقول[٦٦٧]:

فقبلت ما تحت اللثام من اللمى وعانقت ما فوق الوشاح من العقد

٦٦٤- يصف المستشرق غرسيه غومس كتاب ابن حزم طوق الحمامة بأنه «طاقة زهر أريجة من الأقاصيص ومقطعات الشعر والتحليل النفس الخالقي للحب ، وشعره ينم تارة عن عاطفة حارة مشبوبة «راجع غرسية : الشعر الأندلسى: ص٤٢ ، ٤٣، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة : جـ٢ : ص١٧٦ .

٦٦٥- ابن حزم : طوق الحمامة : ص٤٢ ، ٤٣ الحميدى: جذوة المقتبس : ص٣٧١ .

(*) هو محمد عمار بن الحسين بن عمار المهرى ذو الوزارتين ، أبو بكر أصله من قرية شلب، ونشأ خاملاً ينتفع بشعره ويطوف على ملوك طوائف عصره .

٦٦٦- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص١٣٢ .

٦٦٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٣٥٢ .

أما ابن دراج القسطلى(*) فأنشد شعراً يودع زوجته وابنه فى المهد حيث يقول (٦٦٨):

ولما تدانت للوداع وقد هفـا　　بصبرى منها أنة وزفيرُ

تناشدنى عهد المودّة والهوى　　وفى المهد مبغوم النداء صغير

عيىٌ بمرجوع الخطاب ولفظةٌ　　بموقع أهواء النفوس خبيرُ

وإذا كان الشعر قد تغنى حبًا فى المرأة وجمالها ولوعة المحب من فراق أو هجران محبوبته له فقد جاءت الأمثال الشعبية الأندلسية على النقيض فهى تسئ بها الظن وتوصى بعدم الثقة بها وتنسب إليها الكيد ونكران الخير مهما كثر ومن هذه الأمثال على سبيل المثال ، يقول المثل:

«لاتثق ولو كانت أمك»

«ومن معها تابعة لاتبيت شابعة»

«ومن عند ولى عند بلى»

و«تفرع من بق بق ولسن تفرع من فك عنق»

ويقول المثل أيضًا:

«إذا ريت أعجوز أذكر الله وجور»

والمثل أيضًا يقول : «ولايوم الطين»(٦٦٩)

(*) هو أحمد بن دراج القسطلى وأصل ابن دراج بربرى، إذ ينتسب إلى بنى دراج الصنهاجيين الذين دخلوا الأندلس مع طارق بن زياد فى سنة ٩٢هـ وقد تداولت أسرته على رئاسة بلدة قسطلة من عمل جيان ، لذلك نسب إليها ، وعلى هذا الأساس فابن دراج يعتبر أندلسيًا خالصًا ، فهو لم يشعر قط بعصبية لنسبه الصنهاجى البربرى ، راجع محمود على مكى: ديوان ابن دراج القسطلى: دمشق : سنة ١٩٦١ ، ص٢٢ ، ٢٥ من المقدمة .

٦٦٨- ديوان ابن دراج القسطلى : ص٢٩٨ .

٦٦٩- محمد بن شريفة: نفس المرجع : ص٢١٠ أمثال رقم (٢٠٢٧) (رقم ١٢٥٣) (رقم١٢٥٤) ، ومثل (رقم٧٠٨) (مثل رقم ٣٧) (ومثل رقم ١٩٥٠) .

أهم الفئات والطوائف الاجتماعية

فى المجتمع الأندلسى

من الطبيعى أن يذخر المجتمع الأندلسى بكثير من الفئات والطوائف الاجتماعية التى لكل منها نشاطها سواء السياسى أو الثقافى أو الاجتماعى أو الاقتصادى. وعلى رأس هذا المجتمع الأمير أو السلطان :

الأمراء :

من الثابت أن الأمراء الأمويين بالأندلس فى عصرهم الأول ١٣٨هـ - ٣١٦هـ ، (٧٥٥م-٩١٢م) ، لم يعلنوا الخلافة ولم يتخذوا ألقابها منذ قيام دولتهم سنة ١٣٨هـ- ٧٥٥م وحتى ٣١٦هـ- ٩١٢م، رغم أنهم أحفاد خلفاء دمشق- فذكرت المصادر الإسلامية أن عبد الرحمن الأول مؤسس الدولة الأموية بالأندلس ومن جاء بعده من الأمراء لم يتخذوا لقب الخلافة بل[٦٧٠] تحفظ هو وأحفاده فى ذلك واتخذوا لقب أمير أو سلطان أو إمام[٦٧١] كما حرصوا على استعمال لقب ابن الخلائف[٦٧٢] ولكن فى أواخر القرن الثالث الهجرى الميلادى ، تغير هذا المفهوم بعد أن تعددت أشكال الخلافة ، فقامت الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م [٦٧٣]، وأصبحت منافسًا خطيراً للخلافة الأموية فى الأندلس[٦٧٤] بالاضافة إلى ما

٦٧٠- ابن خلدون : المقدمة : ص٢١٩ ، المقرى: نفح الطيب : جـ١ ص٣٣ يقول المقرى: وكان يسمى بالأمير وعليه جرى بنوه من بعده ، فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين تأدبًا مع الخلافة مقر الإسلام ومنتدى العرب «راجع المقرى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة» .

٦٧١- ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى : ص١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٥ ، ابن عذارى: البيان المغرب :جـ٢ : ص٥٣ ، ص٥٤ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ .

٦٧٢- المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسن بن على) مروج الذهب ومعادن الجوهر: طبعة مصر ١٣٠٦هـ ص١٠٠ .

٦٧٣- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ ص١٩٨ ، الحميدى: جذوة المقتبس : ص١٣ ، ابن سعيد المغربى المغرب فى حلى المغرب : جـ١ ص١٨٢ .

٦٧٤- Levi Provancal . Histoire de L'Espagne tome I. pp. 83-86 , 87-90 .

آلت إليه الخلافة فى ذلك الوقت من الضعف والانحلال[٦٧٥]، فكان طبيعيًا أن يتلقب عبد الرحمن الثالث (٣١٦ هـ- ٩٢٨م) وتلقب بألقاب الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله [٦٧٦]، هذا وقد عرفت الأندلس خلال عصر الدولة الأموية ١٣٨هـ- ٤٢٢هـ، ٧٥٥م-١٠٢٩م عدداً كبيراً من الأمراء بالإضافة إلى عدد من الخلفاء الأمويين وكان لكل منهم صفاته التى تميزه .

وأول أمراء بنى أمية بالأندلس عبد الرحمن بن معاوية، بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، يكنى أبا المطرف ، وأمه أم ولد اسمها راح ، وكان عبد الرحمن بن معاوية من أهل العلم وعلى سيرة جميلة وله أدب وشعر[٦٧٧].

وكان عبد الرحمن يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل إليه من أراده من الناس ، فيصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه دون مشقة وكان من عاداته أن يأكل معه أصحابه من إدراك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه[٦٧٨] وكان الأمير عبد الرحمن محبًا للمزاح مستظرفًا له[٦٧٩] كما كان الإمام عبد الرحمن فصيحًا بليغًا، حسن التوقيع ، جيد الفصول ، مطبوع الشعر[٦٨٠]، أما ابنه الأمير هشام الرضى «فيكنى أبا الوليد واتصلت ولايته سبع أعوام إلى أن مات فى صفر سنة ثمانية ومائة وكان حسن السيرة متحيزاً للعدل يعود المرضى ويشهد الجنائز»[٦٨١] وكان الأمير هشام أبيض

٦٧٥- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ ص١٩٨ ، الضبى : جـ٢ ص١٥٧ .

٦٧٦- ابن عذارى : نفس المصدر : جـ٢ : ص١٥٧ ، ابن أبى دينار القيروانى : المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس ، ص٤٢-٤٣ .

Levi Provencal : una cronica Anonima de Abd al Rahaman III . p. 79 .

٦٧٧- الحميدى : جذوة المقتبس : ص٨ ، ٩ ، ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس : ص٤ .

٦٧٨- المقرى نفح الطيب : جـ١ ص٣٣٢ .

٦٧٩- عن حب الأمير عبد الرحمن الداخل للمزاح راجع قصته مع تكفات البربرية زوجة أبو قرة وانسوس البربرى : المقرى : نفس المصدر والجزء ص٣٣٣ .

٦٨٠- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ ص٥٨ ، راجع شعر الأمير عبد الرحمن فى هذا من البحث .

٦٨١- الحميدى: نفس المصدر : ص١٠ .

مشرب بحمرة وبعينيه حول ويذكر ابن عذارى أنه «كان فصيح اللسان وحاكمًا بالسنة والكتاب» وكان الأمير هشام يبعث إلى الكور قومًا عدولاً يسألون الناس عن سير العمالة[٦٨٢] وكان رحمه الله كما يقول ابن عذارى «كريمًا عادلاً ، فاضلاً ، متواضعًا ، عاقلاً لم تعرف منه هفوة فى حداثته، ولازلة فى أيام صباه من كرمه أنه كان يَصُرُّ أموالاً فى صرر ويخرج بها بين المغرب والعشاء يتفقد المسجد ، فإذا وجد واحداً صلى فى مسجد أو لايصلى ، وضع بين يديه صرة حتى كثرت عمارة المساجد[٦٨٣] «أما الأمير الحكم ابن هشام فيكنى أبا العاصى وكان طاغيًا مسرفًا وله آثار سوء قبيحة وهو الذى أوقع بأهل الربض فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم ، وكان الربض محلة متصلة بقصره فاتهم فى بعض أمره ففعل بهم ذلك ، فسمى الحكم الربضى لذلك[٦٨٤] ومن شعره قوله[٦٨٥] :

قُضب من البان ماست فوق كثبان   وليين عنى وقد أزمعن هجرانى

ومن قوله أيضًا :

من لى بمقتضيات الروح من بدنى   يغصبنى فى الهوى عزى وسلطانى

أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد عرف بالحكم الطويل والملك العظيم والنصر المستديم ، والحضارة الراقية والبناء الكثير كما عرف الخليفة الحكم المستنصر بالهدوء والعلم والنضج والعدل. أما هشام ابن الحكم فعرف بضعفه السياسى وتغلب رجال دولته عليه وانقطاعه للعبادة فكأنه لم يُخلق للملك والولاية[٦٨٦] وحين قامت الفتنة فى قرطبة تسابق الأمراء

٦٨٢- ابن عذارى: نفس المصدر جـ٢ ص٦١ وما بعدها وفى وجوده راجع قصة الكنانى مع الأمير هشام : ابن عذارى: نفس المصدر والجزء : ص٦٧ ، المقرى نفس المصدر : جـ١ ص٣٣٦- ٣٣٨ .

٦٨٣- ابن عذارى نفس المصدر والجزء ص٦٦ .

٦٨٤- الحميدى: نفس المصدر ص١٠ ، راجع تفاصيل هيج أهل الربض، فى ابن عذارى : نفس المصدر جـ٢ ص٧١-٧٧ ،ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس: ص٦٨ ، تحقيق إبراهيم الإبيارى.

٦٨٥- المقرى : نفس المصدر جـ١ ص٣٤٢-٣٤٣ ، ابن عذارى: نفس المصدر والجزء ص٧٩ .

٦٨٦- الحميدى: نفس المصدر : ص١٢-١٧ ، الضبى : بغية الملتمس ص١٧-٢١ : «ونقل ابن سعيد عن ابن حيان فى المقتبس والحجارى فى المسهب لهو هشام وغفلته ، وتخلف عقله كثيراً مما يشر غرابة فى سيطرة المنصور بن أبى عامر عليه وأخذه الحكم من يده» راجع ابن سعيد : المغرب : جـ١ : ص١٩٣-١٩٦، كذلك راجع ابن بسام : الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول : ص٨٣ .

الأمويون إلى كرسي الخلافة وتقاتلوا من أجلها كل يريد أن يرضي نفسه بما حرم منه(٦٨٧) إلا أن الوقت قد فات بانحلال عقد الدولة وتفرق رجالها .

أما الأمراء فهم أعمام الخليفة وأعمام أبيه وإخوته وأبناؤه وأحفاده، وقد عاشوا في ظل الدولة الأموية منعمين في قصور خاصة وكانوا يعرفون بالشرفاء(٦٨٨) ولم يكن لهم دور سياسي أو حضاري ولم تحدثنا المصادر عن تولي أحد منهم الولاية أو الوزارة ، بل اكتفى كل من ابن حيان(٦٨٩) وابن عذاري(٦٩٠) بذكر أسمائهم والإشارة إلى حضورهم في المناسبات إلى جوار الخليفة(٦٩١) ومع هذا فلا يوجد ما يبرر إحجام الخلفاء عن الاستعانة بالأمراء في أعمال الدولة وإسناد مناصب هامة إليهم ، بل عطلوهم واكتفوا بالجرايات عليهم وتفقد أموالهم(٦٩٢).

والأمراء هم أول من تؤخذ منهم البيعة ويشاركون الخليفة أفراحه في المناسبات واستقبال الوفود فيكونون أول الجالسين في مجلسه وأقرب الصفوف إليه (٦٩٣)، هذا وقد انشغل الأمراء بحياتهم الخاصة ، أما من ولي العهد منهم ارتفعت مكانته وقرب الخليفة إليه وعرف في الغالب باسم الولد(٦٩٤) هذا ولم تذكر لنا المصادر- الوظائف أو المناصب التي أسندت إلى

٦٨٧- يؤكد هذا ما ذكره القرماني: عن أحد خلفاء الفتنة والذي قال له أهل قرطبة نخشى عليك أن تقتل فإن السعادة قد ولت عنكم يا بني أمية ، فقال : «بايعوني اليوم واقتلوني غداً . أنظر القرماني : (أحمد بن يوسف) أخبار الدول وآثار الأول: مخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ٥٤١ ورقة رقم ٧٢ .

٦٨٨- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب : جـ١ ص١٨٧ .

٦٨٩- ابن حيان المقتبس : تحقيق الحجي: ص٢٨ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ١٠٩ ، ١٣٦ .

٦٩٠- ابن عذاري : البيان المغرب : جـ٢ ص١٥٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ .

٦٩١- سعد عثمان : المجتمع الإسلامي: ص١١٩ .

٦٩٢- ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجي: ص٩٢ ، سعد عثمان : نفس المرجع : ص١٢٠ .

٦٩٣- ابن حيان : المقتبس : نفس الصفحات ، ابن عذاري : البيان : جـ٢ نفس الصفحات ، المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون : القاهرة ١٩٤٠ : جـ٢ ص٢٥٩ .

٦٩٤- الولد مصطلح أندلسي لايطلق إلا على الأفراد وكثيراً ما يختص به ولي العهد . راجع ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ : ص٢٠١ .

الأمراء[٦٩٥] وإنما بينت اهتمامهم بالشعر واللهو والترف [٦٩٦]، ومن هؤلاء الأمراء عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم[٦٩٧] يقول فى مقتل أبيه [٦٩٨]:

لستُ أنسى مصرعًا من والدِ ... سيد ضخم وعم مفتقد

غارته الخيل فى معترك ... بين عم وأب ذاك وجد

أما الأمير عبدالله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد فمن شعره[٦٩٩] :

أما فؤادى فكاتم ألمه ... لو لم يبح ناظرى بما كتمه

ما أوضح فى ملاحظ من ... يهوى ، وإن كان كاتمًا سقمه

أما الأمير مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، أبو عبدالملك [٧٠٠]،

٦٩٥- كان الأمراء الأمويون ثم الخلفاء فى الأندلس لايرغبون فى مشاركة أقاربهم لهم فى الحكم لعدم صلاح النية فى المشاركة ، فنجد الأمير عبدالله (٢٧٥هـ- ٣٣٠هـ) قتل ابنه محمد بإيعاز من المطرف ثم قتل المطرف لشكه فى تدبير ثورة ضده، كذلك قتل الأمير عبد الرحمن الناصر الأمير العاصى بن الإمام عبدالله ومحمد بن عبد الجبار بن الإمام محمد إذ شهد كل واحد منهما على صاحبه بمطالبة الخلافة ونقض البيعة أما هشام المؤيد فقد قُتل عمه المغيرة فى عهده حين خاف رجال القصر من توليه للحكم ، راجع : ابن خلدون : العبر : جـ٤ : ص١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٧ . ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ : ص١٥٠ وما بعدها ، ص١٨١ ، ١٨٢ .

٦٩٦- ابن الأبار: الحلة السيراء : ص٢٠٦-٢٢٥ . ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ١ ص١٨٧ ، ١٩٢ .

٦٩٧- كان أبوه بشر من أمراء الأمويين ، فقتله أبو جعفر المنصور ونجا عبدالملك هذا ففر إلى المغرب وقصد الأندلس ، ودخلها فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، مع ابن عمه جزى بن عبد عمر بن عبد العزيز ولكن جواره بقرطبة ويعرف بالبشرى راجع ابن الأبار : المصدر السابق : جـ١ : ص٥٨ .

٦٩٨- قتله أبوه عبد الرحمن لمنافسة أخيه الحكم ولى عهده وكان من نجباء أولاد الخلفاء، محبا فى العلم والعلماء وله تواليف تدل على علمه وفهمه . راجع ابن الأبار : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٠٦ .

٦٩٩- ابن الأبار : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧٠٠- يعرف بالطليق ، وقيل له ذلك لأنه سجن فى أيام المنصور محمد بن أبى عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك فسمى «الطليق» .

وكان – فما- قبل يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له سيف، وانتهز فرصة فى بعض خلوات أبيه معها فقتله فسجن وهو ابن ستة عشرة سنة ، راجع ابن الأبار : نفس المصدر جـ١ ص٢٢١ .

فكان أديبًا شاعراً مكثراً عرف باسم الطليق ومن شعره فى معتقله (٧٠١):

ألا إن دهــراً هادمًـا كل ما نبنـــى		سيبلى كما يبلى ، ويفنى كما يفنى

ومـا الفوز فى الدنيا هو الفوز ، وإنما		يفوز الفتى بالربـــح فيها مع الغبن

هذا وقد شغف ملوك الطوائف بالشعر أكثر من تذوقهم الحقيقى له، وكان المظفر صاحب بطليوس لايرضى بشعراء دون المتنبى والمعرى مكانة(٧٠٢).

وقد أحاط الأمراء أنفسهم بالشعراء يمدحونهم فيجذلون لهم العطاء من ذلك يقول ابن زيدون وهو يتغنى(٧٠٣) بانتصارات بنى جهور على بنى زكوان وبنى حذام :

هم الملوك ملوك الأرض دونهـم		كمثل بيض الليالى دونها الـدرع

مـهـذب أخلفتـه أوليتـــــه		كالسيف باغ فى أخلاصه الصنع

وحين لاينال الشعراء ما كانوا يتوقعون فى مديحهم للأمراء فكانوا يتجرأون ويهاجمون أمراءهم ، فقد جرؤ عبد الجليل بن وهبون أن يقول عن المعتمد ابن عباد قوله(٧٠٤):

قل الوفاء فما تلقاه فى أحـــد		ولايمـــر لمخلوق علــــى بــــال

وصار عندهم عنقاء مغربـــة		أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

كذلك وجه أبو مروان بن الغصن الهجاء اللاذع إلى المأمون أمير طليطلة قائلاً(٧٠٥):

٧٠١- ابن الأبار : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧٠٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص١٨٣-١٨٤ ، المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٦٤٣ ، راجع هنرى بيرس : ص٦٢ .

٧٠٣- ابن زيدون : الديوان : ص٩٣ .

٧٠٤- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ص٣٨٧ كان الشعراء يتجرأون على الأمراء وكبار القواد بالهجاء دون أن يخشوا شيئًا فقد وصف ابراهيم بن إدريس الحسنى فى أبيات له المنصور ابن أبى عامر بالأحدب والقرد الأشهب كما وصفه بأنه ثعلب ماكر .

راجع ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ ص٢٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب: جـ١ : ص٢٨١ .

٧٠٥- المقرى: نفح الطيب : جـ٣ : ص٣٦٣ .

تلقبت بالمأمون ظلمًا وإننى لأمن كلبًا حيث لست مؤمنه

حرام عليه أن يجود ببشره وأما الندى فأندب هنالك مدفنه

سطور المخازى دون أبواب قصره بحجابه به للقاصدين معنونه

وكان الأمراء يحبون أن ينافقهم الناس وكان المنصور بن أبى عامر قد سأل الشاعر المشهور ابن عمر يوسف الرمادي : كيف حالك معى؟ فقال: فوق قدري ودون قدرك ، فأطرق المنصور كالغضبان ، فأنسل الرمادى وخرج وقد ندم على ما بدر منه ، وجعل يقول أخطأت ، لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كان ضرنى لو قلت له : إني بلغت السماء، وتمنطقت بالجوزاء ، وأنشدته :

متى يأت هذا الموت لايلفُ حاجة لنفس إلا قد قضيت قضاءها

وقد كانت هذه القصة فرصة للحاسدين أن يوقعوا بين الرجلين[٧٠٦].

وإذا كان الشعر الأندلسى قد تناول مدح الخلفاء والأمراء ووصل الشعراء إلى مكانة عالية لدى الأمراء فما كان موقف العامة من أهل الأندلس من ملوكهم ، لقد صورت الأمثال الشعبية الأندلسية صلة الأمير بالرعية أنها صلة تقوم على أن سعادة الأمير تكون على حساب شقاء الرعية يقول المثل الشعبى الأندلسى .

«إذا سمعت الأمير يغنى أدر أن همومى تبكى»[٧٠٧] كما تذكر بعض الأمثال أن سياسة الرعية لاتستقيم إلا بالشدة : يقول المثل :

«السياط للسيف سلامة»[٧٠٨].

كذلك حذرت الأمثال الشعبية من معرفة السلطان ومخالطته يقول المثل «السلطان من لايعرفه السلطان»[٧٠٩] وجاءت بعض الأمثال الأخرى عكس المثل السابق فهى تشجع على

٧٠٦- المقرى : المصدر السابق : جـ٣ : ص٣٦٤- ٣٦٥ .

٧٠٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٢ (مثل رقم ٣٢) .

٧٠٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٢ (ابن عاصم مثل رقم١٧٨) .

٧٠٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٣ (مثل رقم ٣٨٥) .

التقرب من السلطان والسير فى ركابه يقول المثل «الكبار ولو كانت حصارم»[٧١٠].

هذا وقد عرفت العامة فى الأندلس بروح الثورة والانتقاد يقول ابن سعيد متحدثًا عن أهل قرطبة[٧١١] «ألا أن عامتها أكثر فضولاً ، وأشدهم تشنيعًا وتشغيبًا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضى بأمورهم ، حتى إن السيد أبا يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ قال مثل الجمل إن خفت عنه الحمل صاح، وإن أثقلته به صاح ، ما ندرى أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنتجنبه ، وسلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شراً من عامة العراق، وأن العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندى ولاية، وإنى أن كلفت العود إليها لقائل : لايلدغ المؤمن من جحر مرتين».

كذلك وصف ابن الخطيب الأندلسيين بشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة فهم يأنفون الخضوع والإذعان [٧١٢].

وكان عامة الأندلس يلقبون ملوكهم بالألقاب فقد لقبوا الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) بأبى الفرانيق يقول المثل «أيام أبو الفرانيق» [٧١٣].

أما المهدى بن عبد الجبار فلقبوه بالمنقش يقول ابن عذارى[٧١٤] «ولقبته العامة المنقش لهشاشته وطيشه وخفته وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق».

وكان المهدى مشتهراً بالفسق مظهراً للخلاعة حتى قال بعضهم عنه[٧١٥]:

أشأم خلق على العباد ... والناس من حاضر وباد

٧١٠- محمد بن شريقف : نفس المرجع : ص١٩٣ (مثل رقم١٥١) .

٧١١- المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص٤٦٢ .

٧١٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٤١ .

٧١٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٤ مثل رقم ٣٢٦ .

٧١٤- ابن عذارى: نفس المصدر : جـ٣ : ص٥٠ .

٧١٥- ابن عذارى: نفس المصدر : جـ٣ : ص٨٠ .

أبو الوليد الذى اقشعرت ... لنحسه شعره البلاد
كان على قومه جميعًا ... مزار عاد لقوم عاد

كما لقبوا المنصور بن أبى عامر بالأحدب[٧١٦] يقول المثل[٧١٧] «أرم أحدب تجد أحدب».
ويقولون أيضًا[٧١٨] :
«إذا رأيت أحدب يصلب زيد شدأ»
يقول[٧١٩] إبراهيم بن إدريس الحسنى فى أبيات يصف فيها المنصور بن أبى عامر بالأحدب ويعيب عليه تغلبه على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه:

فيما أرى عجب لمن يتعجب ... جلت مصيبتنا وضاق المذهب
إنى لأكذب مقلتى فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب
أيكون حيا من أمية واحد ... ويسوس ضخم الملك هذا الأحدب
تمشى عساكرهم حوالى هودج ... أعواده فيهن قرد أشهب

ويذكر ابن سعيد إن إظهار الهيبة كان من قواعد الحكم فى عهد أموى الأندلس، فقال[٧٢٠] «وكان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الأحيان على أبهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف إلى إن كانت الفتنة، فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به» .
وتأكيداً لقول ابن سعيد يشير المثل الأندلسى إلى الباب السلطانى وحجابه فيقولون[٧٢١] «جلوس القطم لباب جهنم» أما فى عصر ملوك الطوائف فقد تغيرت الأحوال يقول ابن سعيد[٧٢٢]

٧١٦- راجع ص١٦٧ من البحث هامش رقم ٧٠٤ .
٧١٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٥ (مثل ابن عاصم رقم ٢٥٢) .
٧١٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل ابن عاصم رقم ٤٣) .
٧١٩- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ ص٢٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٣ ص٢٨١ .
٧٢٠- المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص٢١٤ .
٧٢١- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص١٩٢ (مثل رقم ٧٨٧) .
٧٢٢- المقرى : نفس المصدر والجزء ص٢١٥ .

«ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ، ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مبُريه فى الرياسة».

وقال أيضًا فى ابن هود الثائر على الموحدين : «وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشى فى الأسواق ويضحك فى وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان»[٧٢٣] وإذا كان الأمويون قد أبعدوا الأمراء عن شئون الحكم والسياسة فجاء المرابطون والموحدون على عكس ذلك تمامًا ، يقول ابن خلدون «ثم اقتسم- أى يوسف ابن تاشفين- المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه»[٧٢٤].

فكان ينوب فى أغلب الأحيان عن أمير المسلمين فى الأندلس أمير من الأسرة المالكة أو من لمتونة عام ، فقد تولى حكم غرناطة من الأسرة الحاكمة، تميم بن يوسف بن تاشفين وتاشفين بن على بن يوسف وسير بن الحاج[٧٢٥] وعبدالله بن مزدلى[٧٢٦].

واتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بالخلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة[٧٢٧].

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية والموحدية وزيادة مواردها بدأ الأمراء والسادة ينفقون عن سعة إذا تغلبت الحياة الأندلسية بمتعها وبهجتها ومسراتها ، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلاً ، فقد عاشوا فى ظلها وانغمسوا فى حياتها واضطروا أن يعيشوا فى الأندلس ، فكانوا يحيون حياة لاتختلف عن الحياة التى كان ملوك الطوائف[٧٢٨] يحيونها

٧٢٣- المقرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧٢٤- ابن خلدون : العبر : جـ٦ ص١٨٥ .

٧٢٥- مجهول : نبذة تاريخية فى أخبار البربر : ص٨٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب: جـ٤ ، ص٤٨ ، ٤٩ .

٧٢٦- ابن عذارى : نفس المصدر : جـ٤ ص٥٦ .

٧٢٧- حسن على : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس : ص٣٣ ، واتخذ عبد المؤمن بن على ابنه عمر وزيراً له «راجع المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب: ص٢٦٧ .

٧٢٨- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين : ص٤٢١- ص٤٢٢ .

وفى العصر الموحدى نجد السادة الموحدين يحيون حياة اللهو والترف فها هو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة يحيا حياة الترف واللهو[٧٢٩]، فقد تنافس مع أبى جعفر ابن سعيد من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية[٧٣٠] هذا وكانت حوادث القصور والأمراء يهتز لها الناس ويشغلون بها كما يدل على ذلك المثلان الآتيان يقول المثل[٧٣١] : «صفا زيت الفقراء فى ذكر الأمراء» ، ويقولون أيضًا «حمى القصر ترعد الطواجن فى الفرن».

وإذا أعطى السلطان شيئًا فإنه يسترده أضعافًا مضاعفة يقول المثل [٧٣٢]: «من أكل بيض الملوك» ويقول المثل الأندلسى[٧٣٣] أيضًا : «بنت السلطان لاتعرف معنى الجوع» وهو يعبر عن حياة القصور وما فيها من نعم وترف وعدم إحساس الحكام بمعاناة العامة من الفقراء.

هذا وقد عانى أمراء الأندلس من كثرة الثورات والفتن حتى قال أحدهم[٧٣٤] «لا إله إلا الله نغص علينا كل شئ حتى الموت» ونجد صدى هذا فى أمثالهم إذ يقولون[٧٣٥] «من ملك هلك» .

كذلك قالوا[٧٣٦] فيمن يذهب عنهم الملك السلطان «ولد ملوكى أن ضايع، صفا وبقت الطبايع».

٧٢٩- المقرى: نفح الطيب : جـ٢ : ص٣٨٥ .

٧٣٠- المقرى: نفس المصدر : جـ٤ : ص١٧٣ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ١ : ص١٣٨-١٣٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة جـ١ : ص٢١٤-٢١٨ .

٧٣١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٣ (مثل رقم ١٥٩٦) و(مثل رقم ٨٥٢) .

٧٣٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم (١٤٢٩) .

٧٣٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٤ .

٧٣٣- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : جـ١ ص٢ ، ص٢٤٠ .

٧٣٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص١٩٤ (مثل رقم (١٤٦٠) .

٧٣٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٦ : (١٩٤٥) .

الكتاب :

وصف ابن سعيد نظرة أهل الأندلس إلى كاتب الرسائل فى ديوان السلطان بقوله[٧٣٧] «وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصًا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولامكانه من سلطانه من تسلط الألسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه »، فقد كانت سمعة الدولة نفسها ترتبط بما تتصف بها مكاتباتها الرسمية من فن أدبى، حتى أن هذه الدقة فى اتباع قواعد اللغة صارت أول ما يطلب من مؤهلات عند من يتطلعون إلى مثل ذلك المنصب ، فكان الوزير أبو عمر بن حزم يقول[٧٣٨] « إنى لأعجب ممن يلحن فى مخاطبته أو يجئ بلفظة قلقة فى مكاتبته لأنه لاينبغى له إذا شك فى شئ إلا أن يتركه ، ويطلب غيره فالكلام أوسع من هذا » فزلة قدم واحدة فى رسالة من رسائل الدولة أو مرسوم من مراسيمها تنقص من قدرة الخلافة الأندلسية ، فقد كان رئيس المكاتب الرئيسية للخليفة فى قرطبة شخصية مرموقة[٧٣٩] وكان يختار من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة المتخلقين بالفضائل المتبحرين فى العلم والواقفين على البلاغة وأسرارها[٧٤٠] والكاتب من أكبر أعوان الخليفة وأمين سره، والكتابة كما يقول ابن سعيد[٧٤١] «الكتابة على دربين أعلاهما كاتب الرسائل وهو كاتب أديب يتولى الكتابة الرسمية وغيرها وله حظ فى القلوب والعيون عند أهل الأندلس » وأشرف أسمائه ، أما الكاتب الآخر فهو كاتب الزمام [٧٤٢]. هذا وقد تعددت أنواع الكتابة فمنها: كاتب الجند، وكاتب الشرطة وكاتب القاضى[٧٤٣]:

٧٣٧- المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص٢١٧ .

٧٣٨- الضبى : بغية الملتمس : ص١٨٢ ، الحميدى: جذوة المقتبس : ص١٢٦ .

٧٣٩- هشام سليم عبد الرحمن أبو رميلة : نظم الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة : رسالة ماجستير : آداب القاهرة : ١٩٧٥ غير منشورة : ص١٦٢ .

٧٤٠- نفس المرجع والصفحة .

٧٤١- المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٢١٧ .

٧٤٢- راجع عن هذه الوظيفة : شكيب أرسلان : الحلل السندسية فى الآثار والأخبار الأندلسية : بيروت بدون تاريخ : جـ١ : ص٢٥٢ .

٧٤٣- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى: جـ١ : ص٤٤٢ .

وكان الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) أول من اتخذ كاتبًا خاصًا له[٧٤٤] وسار الأمراء والخلفاء من بعده على هذا النظام حتى سقوط الخلافة[٧٤٥] وكان يطلق على الكاتب اسم صاحب[٧٤٦] الإنشاء ومن أشهر كُتاب عصر الخلافة الكاتب عبدالله بن محمد الزجالى وكان يلى خطة الكتابة منذ أيام الأمير عبدالله فأبقاه الخليفة عبد الرحمن الناصر على نفس الخطة[٧٤٧]. وإسماعيل بن بدر وكان كاتبًا خاصًا للخليفة عبد الرحمن الناصر[٧٤٨] وعبد الملك بن جهور[٧٤٩].

هذا وقد تولى هذا المنصب أيضًا بعض النساء أشهرهن مزنة كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد كانت أديبة حسنة الخط توفيت ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م[٧٥٠] كذلك لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر ، فقد كانت هى الأخرى حاذقة فى الكتابة، نحوية شاعرة ، بصيرة بالحساب ، عروضية حسنة الخط جداً توفيت ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م[٧٥١]. هذا وقد حفل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بعدد من الكتاب البلغاء ومن أشهرهم الحاجب جعفر المصحفى ، فقد كان أديبًا شاعراً وكان مقدمًا فى صناعة الكتابة وهو القائل فى رثاء الخليفة عبد الرحمن الناصر[٧٥٢] :

ألا أن أيامًا هفت بإمامها ... لجائرة مشتبطة باحتكامها

تأمل: فهل من طالع غير أفل ... بهن وهل من قاعد لقيامها

٧٤٤- ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى : ص١٧٣ .

٧٤٥- نفس المصدر والصفحة .

٧٤٦- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ١ : ص٢٠٤ .

٧٤٧- بن عذارى: البيان المغرب : جـ٢ : ص١٥٨ .

٧٤٨- «هو أحد موالى الأمويين وكان من الشعراء وقد توفى فى أول ولاية الحكم المستنصر» راجع ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس: ص٦٦ ، ابن عذارى : نفس المصدر : جـ٢ : ص١٥٩ .

٧٤٩- عبد الملك بن جهور : وزير جليل وأديب شاعر وكاتب روى عنه أشعار كثيرة (الضبى : بغية الملتمس) ص٣٧٦ ، ابن عذارى : نفس المصدر : جـ٢ ص١٥٨ .

٧٥٠- ابن شكوال : الصلة : جـ٢ : ص٦٥٣ ، الضبى : بغية الملتمس ص٥٣٠ .

٧٥١- ابن بشكوال نفس المصدر والجزء والصفحة ، والضبى : نفس المصدر : ص٥٣١ .

٧٥٢- ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ : ص٢٦٤ .

وله فى نكبته :

تأملت صرف الحادثات فلم أزل أراها توافى عند مقصدها الحرا

فالله أيام مضت لسبيلها فإنى لا أنس لها أبداً ذكرا

وله يستعطف المنصور ابن أبى عامر من سجنه

هبنى أسأت فأين العفو والكرم إذ قادنى نحوك إلا عانٌ والندم[٧٥٣]

أما كتاب الدولة العامرية فكاتبهم عيسى بن سعيد المعروف بـ (ابن القطاع) فكان قيم دولة بنى عامر وحامل لوائها[٧٥٤] ، أما الكاتب عبد الملك بن إدريس الجزيرى ، فكان غاية فى البيان والخطابة ، عتب عليه المنصور ابن أبى عامر فعزله وسجنه ، ولكنه عفا عنه حين استعطفه ، فأعيد ولم يزل يتولى ديوان الرسائل إلى أن هلك المنصور[٧٥٥]. لكنه قتل فى عهد ابنه المظفر ٣٩٤هـ[٧٥٦] ومن شعره بعد عفو المنصور عنه يقول [٧٥٧]:

عجبت من عفو أبى عامر لابدَّ أن تتبعه سنة

كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

هذا وقد استخدم المرابطون والموحدون الكتاب الأندلسيين وقربوهم إليهم ونبغ منهم فى تلك الفترة الكاتب والشاعر على بن عبد العزيز بن الأمام الأنصارى ، سرقسطى الأصل سكن غرناطة وعاش بها وكان من أهل البلاغة والفصاحة وزر للأمير أبى طاهر ثم ابنه يوسف أيام ولايته لغرناطة ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف[٧٥٨] أما أبو بكر بن قزمان أمير

٧٥٣- ابن الأبار : نفس المصدر : والجزء : ص٢٦٤- ص٢٦٥ ابن بسام : الذخيرة : قسم٤ مجلد١ : ص٥١ .

٧٥٤- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٧٥ .

٧٥٥- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ : ص١٩٣- ص١٩٤ .

٧٥٦- ابن بسام : الذخيرة : قسم ٤ مجلد١ : ص٣١ – ص٣٢ .

٧٥٧- ابن بسام : المصدر السابق : نفس الجزء : ص٣٢ .

٧٥٨- ابن سعيد : المغرب : جـ١ : ص١١٨-ص١١٩ .

زجل الأندلس[٧٥٩] فقد خدم فى شبابه المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس ونال لديه حظوة فلما انتهت دولتهم عاد إلى قرطبة وتردد بينها وبين غرناطة توفى ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[٧٦٠] هذا وقد حوت الأمثال الشعبية الأندلسية أمثالاً أطلقتها عامة الأندلس على من يرتقى هذه الوظيفة يقول المثل[٧٦١]:

«الكاتب المنحوس يلقى الرق من عند»

«بقية خليع أخير من بقية كاتب»

القضاء والفقهاء:

كانت للقضاء أهمية خاصة فى الأندلس ، وربما لم يبلغ فى بلد من بلاد الإسلام ما بلغه القضاء فى الأندلس من علو المكانة ووفرة السلطان، بعد الجاه ، وخطة القضاء فى الأندلس أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين، واحترام الناس- حتى الخلفاء- لمن تقلدها[٧٦٢].

وكان يشترط أن يتمتع القاضى ببصيرة نافذة ، وأن يكون ذا شخصية قوية حتى يتمكن من فرض احترامه على عامة الناس وخاصتهم وأن يكون محترمًا من قبل الخليفة[٧٦٣]

٧٥٩- ويقول عنه ابن سعيد أنه كان فى أول شأنه مشتغلاً بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لايضارعه فيها أحد منهم فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس وراجع ابن سعيد : المغرب : جـ٢ : ص١٠٠ ، ١٦٧ ، أنظر : الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص٦٦ .

٧٦٠- ابن سعيد : نفس المصدر والجزء والصفحات ، الأهوانى: نفس المرجع والصفحة .

٧٦١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٧ (مثل رقم ٣٠٣ ، ٥٧٥) .

٧٦٢- المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٢١٧ ، ٢١٨ .

٧٦٣- أشادت المصادر بمثل هذه الصفات حين تعرضت لسير بعض الفقهاء أنظر : البناهى: (أبو الحسن عبدالله بن الحسن) قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: تحقيق ليفى بروفنسال سنة ١٩٣٧ ص٥٣، ٥٩ ، ٧٧ ، ٨٨ .

لأن واجبه حماية الضعيف من القوى وإعطاء كل ذي حق حقه ، كما يجب أن يكون غزير العلم متبحراً في الفقه عالمًا بكتاب الله وسنة رسوله وما وقع عليه إجماع الأئمة والاجتهاد وعارفًا بأركان القضاء[٧٦٤] . والأهم من ذلك يجب أن يكون صفاته الخلقية قدوة للغير وعلى قدر كبير من المثالية فيكون معروفًا بالفضل والورع ويخاف الله ويسعى لمرضاته ، عازفًا عن متاع الدنيا ، فميزاته الأمانة والاستقامة وعزة النفس والكرامة ويجب أن يكون فى الأحكام التى يصدرها شفيقًا رحيمًا بالمسلمين[٧٦٥] كثير الزهد والتصوف كالقاضى منذر بن سعيد[٧٦٦] البلوطى والقاضى يونس بن عبدالله بن معتب[٧٦٧] ومن أشهر كتب القضاء التى وصلت إلينا كتابان أحدهما للخشنى[٧٦٨] والثانى للنباهى[٧٦٩] هذا وقد وجد فى الأندلس عدد من الأسر التى اشتهرت بإنجاب أعلام فى القضاء مثل آل الليثى وآل بقى وبنى فطيس وبنى مغيث وبنى رشد حمدين فى قرطبة وبنى حجان وآل عبد العزيز وبنى المناصف فى بلنسية وبنى ابن جزى وبنى عاصم وآل النباهى فى غرناطة وآل الوقشى فى طليطلة وعديد من هذه الأسر منهم قاضى

٧٦٤- الماوردى : (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى) : الأحكام السلطانية ص١٦ : مصر ١٦٩٨ هـ البغدادى .

٧٦٥- ابن عبدون : ثلاث رسائل أندلسية : ص٨-٩ .

٧٦٦- النباهى : المصدر السابق : ص٦٦ ، ٧١ الخشنى قضاة قرطبة : ص١٧٥ ، ١٧٦ .

٧٦٧- ابن خاقان : (الفتح بن خاقان) مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس:

طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢هـ ص٥٩ . ص٢٣٧ تحقيق محمد على شرابكة ١٤٠٣ - ١٤٨٣ .

٧٦٨- هو أبو عبدالله محمد بن الحارث الخشنى، استوطن قرطبة وكان حافظًا للفقه عالمًا بالفتيا وكان مقربًا من الخليفة الحكم المستنصر فطلب منه أن يؤلف كتابًا عن قضاة قرطبة فأخرج كتاب قضاة قرطبة وقد نال مكانة علمية ممتازة وعد من أهم الوثائق التى تتحدث عن الحياة الاجتماعية فى الأندلس فى عهد الإمارة والخلافة وعليه كان اعتمادنا راجع الحميدى: جذوة المقتبس : ص٥٣ ، مقدمة كتاب قضاة قرطبة نشر وتحقيق عزت العطار : ص٦ ، ٧ .

٧٦٩- هو أبو الحسن على عبدالله بن محمد بن الحسن الجذامى المالقى النباهى من أسرة كان قاضيًا للجماعة فى عهد بنى نصر ، وله عدة مؤلفات منها كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا وهو تاريخ لقضاة الأندلس راجع ابن الخطيب : الإحاطة : جـ١ : ٤٦٥- ٤٧٦ .

الجماعة مثل بنى فطيس وبنى رشد وآل البناهى. وكم من هؤلاء كانوا صوراً فى المجتمع ووجهًا لها ، وقاموا بدور فى أمور الناس، والوقوف على أحداث الأندلس ، موقف الصدارة والمشاركة فى حلها وتوجيهها (٧٧٠).

ولم يمنع مركز القضاه هذا أن يهجوهم الشعراء .

يقول ابن خفاجة (٧٧١):

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم   فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة   فى أخذ مال مساجد وكنائس

أما الأمثال فقد تناولت هي الأخرى القاضى وظلمه فى بعض الأحيان بقول المثل (٧٧٢):

«إذا كان القاضى خصيمك لمن تشتكى»

«إش يسمع القضاى من ساكت»

«إش تيجى عزيز من القاضى»

«بحل مظلوم لباب قاضى»

«ما بين قاضى وزامر»

«افتنا يا قاضى يرحمك الله»

الفقهاء :

أما الفقهاء فكان لهم مكانة خاصة فى المجتمع الأندلسى إذ كانوا رجال دين وقضاء فمنهم الأئمة والخطباء والقضاة والمشاورون والعدول ، وقد استمدوا مكانتهم ونفوذهم من المجتمع الذى كان يجلهم فكانت الدولة الأموية تظهر احترامهم والنزول على رأيهم حفاظًا على تقليد معين .

٧٧٠- الحجى : القضاء ودراسته فى الأندلس : ص٢١٢ .

٧٧١- المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٣٠٣ .

٧٧٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص١٩٦ ، ١٩٧ «أمثال ابن عاصم ص رقم ٣١ ، ١٢٢ ، ٦٧ ، وأمثال رقم ٦٠٩ ، ١٥١٦ ، ٤٠١ ».

- وهو احترام رأى الفقهاء - واستمر حتى نهاية الأندلس .

ولهذا كانت سوق الفقه بالأندلس نافقة والإقبال عليها كبيراً ويرجع ذلك إلى وحدة المذهب المالكى وطابعه ، وكذلك كان الصراع بين الإسلام والمسيحية من العوامل التى ساعدت على علو مكانة الفقهاء فكثيراً ما كانوا يتولون زمام الأمور [٧٧٣] يقول [٧٧٤] ابن سعيد : «وسمة الفقيه عندهم جليلية حتى أن الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه، وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى فى المشرق، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه، لأنها عندهم أرفع سمات» وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الرضا) ١٧٢هـ - ١٨٠هـ ، ٧٨٩م - ٧٩٦م قد قرب الفقهاء وأصبح لهم مكانة عظيمة وقضى الأمير هشام حياته خاضعًا لأحكامهم ، فقد كان بطبعه تقيًا ورعًا [٧٧٥] ، فلما تولى الحكم بن هشام (١٨٠هـ- ٢٠٦هـ / ٧٩٦م-٨٢٢م) أراد أن ينتزع من الفقهاء سلطتهم وما كانوا يتمتعون به فى عهد أبيه ويكف أيديهم عن التدخل فى شئون دولته فانقلبوا عليه وسخطوا من تصرفاته واستغلوا نفوذهم الروحى فى إثارة الناس على الأمير وحاول بعض الفقهاء أن يغدروا به سنة ١٨٩هـ فانكشف أمرهم وقبض عليهم الأمير وصلبهم ، وكانوا ٧٢ رجلاً بقرطبة منهم الفقيه أبو زكريا يحيى بن مضر القيسى، وكان قدوة فى الدين والورع ، ومنهم أبو كعب بن عبد البر ومصرور الخادم، وموسى بن سالم الخولانى وولده وغيره [٧٧٦] ومن ذلك نرى أن الفقهاء لعبوا دوراً مهمًا وخطيراً فى معظم فترات التاريخ الإسلامى فى الأندلس . وكذلك تذكر المصادر أن بعضهم كان يتمتع بالثراء والحياة الرغدة ويشير ابن الخطيب إلى أحد الفقهاء وهو الفقيه ابن لب الذى كان يتمتع بالثراء وأوقف معظم ما كتبه على جامع مالقة وكان كثير التصرف على

٧٧٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٨ .

٧٧٤- المقرى : نفح الطيب : جـ١ : ص٢٢١ .

٧٧٥- ابن عذارى: البيان المغرب : جـ١ ، ص٦١ وما بعدها ، المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٣٣٤ ، ٣٣٥ .

٧٧٦- ابن عذارى : نفس المصدر والجزء : ص٦٨ ، ٧٢ المقرى : نفس المصدر والجزء ص٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ابن القوطية : تاريخ الأندلس ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص١٥ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم : ص٢١٣ ، ٢٢٣ .

الفقراء والمحتاجين [٧٧٧] كذلك يذكر لنا الخشنى فى كتابه قضاة قرطبة أن القاضى مصعب بن عمران الهمذانى كان يمتلك ضيعة وكان يباشرها يومى السبت والأحد من كل أسبوع [٧٧٨]، أما الفقيه محمد بن الحسين الجذامى (قاضى مالقة فى عصر ملوك الطوائف) النباهى المالقى هذا الفقيه كان يقيم فى أحد القصور ويتفرغ يومين فى الأسبوع أيضًا لتفقد أملاكه والنظر فى مصالحه الخاصة وكان محمد بن الحسين ممن اشتهروا بالعدل والحزم والكرم ولم يكن يأخذ على القضاء رزقًا من بيت المال طوال حياته لكثرة ماله[٧٧٩] وفى عصرى المرابطين والموحدين، احتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع الأندلسى ، فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبدالله بن ياسين الإصلاحية [٧٨٠]، كما قامت الدولة الموحدية على أكتاف داعية دينى هو المهدى بين تومرت الذى احتلت تعاليمه ركنًا هامًا فى حياة الموحدين[٧٨١]، فكان يوسف بن تاشفين - محبًا للفقهاء والعلماء مقربًا لهم صادراً عن رأيهم متكرمًا لهم أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته[٧٨٢].

وفى عهد الأمير على بن يوسف زادت منزلة الفقهاء والعلماء فى الدولة واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لايقطع أمراً فى جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[٧٨٣].

٧٧٧- ابن الخطيب : الإحاطة : مجلد٣ ص٨٠ ، ٨١ ، ريبرا: المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الإسلامية قسم٢ ص٩١ .

٧٧٨- الخشنى: قضاة قرطبة : ص٢٥ .

٧٧٩- النباهى المالقى: المرقبة العليا المعروف باسم قضاة الأندلس ص٩٠ ، ٩٣ .

٧٨٠- القيروانى: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس : ص١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : قسم ٣ ص٢٢٨ .

٧٨١- هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المسمى بالمهدى مؤسس دولة الموحدين عنه راجع : ابن القطان (أبو على حسن بن على القطان) نظم الجُمان : ص١١، المراكشى المعجب : ص٢٤٦ ، ٢٥٥ ، النويرى: نهاية الأرب: جـ٢٤ ص٢٧٧ ، ٢٨٩ .

٧٨٢- ابن القاضى: (أحمد بن القاضى المكناس) : جذوة الاقتباس : الرباط سنة ١٩٧٤م .

٧٨٣- المراكشى: المعجب : ص٢٣٥ .

وفى عهد الموحدين تمتع الفقهاء كذلك بمنزلة سامية فكان الخلفاء الموحدون يكرمون العلماء والفقهاء ويقدرونهم[٧٨٤]، هذا وقد أثارت مكانة الفقهاء هذه هجاء بعض الشعراء ، ويقول الأبيض[٧٨٥]:

أهل الرياء لبستُم ناموسكم   كالذئب أدلج يخل فى الظلام العاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك   وقسمتموا الأموال بابن القاسم

وركبتموا شهب بأشهب ركبتم   وبأصبغ صبغات لكم فى العالم

أما ابن قزمان فيذكر الفقهاء بقوله [٧٨٦]:

عهدى بالقرى إذ كنا خلاف   لافقى ولاحاج لمن كنا نخاف

وقوله أيضاً[٧٨٧] :

والربض لاشيوخ ولاحجاج   وأرامل ملاح بلا أزواج

أما الشاعر ابن الطراوة المالقى من عصر ملوك الطوائف فقد هجا الفقهاء من ضعاف النفوس واتهمهم بالرشوة يقول[٧٨٨] :

رأوا حجلاً يأتى على بعد   مدوا إليه جميعًا كف مقتنص

إن جئتهم فارغًا لزوك فى قرن   وإن رأوا رشوة أفتوك بالرخص

هذا وقد وردت أمثال عديدة فى نقض الفقهاء ومن هذه الأمثال يقول المثل[٧٨٩]:

٧٨٤- ابن أبى زرع : (أبو الحسن على بن عبدالله) الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : طبعة دار المنصور : الرباط سنة ١٩٧٢ ص٢٠٤ .

٧٨٥- المراكشى : المعجب : ص٢٣٥- ص٢٣٦ .

٧٨٦- الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص٩٩ .

٧٨٧- الأهوانى : نفس المرجع : ص٧١ .

٧٨٨- ابن الأبار : المقتضب : تحقيق إبراهيم الإبيارى: دار الكتاب المصرى ١٩٧٣م : ص٦٤ .

٧٨٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٩ (مثل رقم ٩٢٤) .

«خاف الله واتقيه ، وتعامل الفقيه»

كما تصور الأمثال الشعبية تهافت الفقهاء على المال كقولهم»[٧٩٠]:

«أسرع من يد فقى إذ أقل خذ»

أما المثل القائل[٧٩١] :

«حظ فى فقى، أخير من الحظ فى أرحى»

فلعل معناه لأن يكون لك نصيب فى فقيه ، خير من أن يكون ذلك نصيب فى روحى .

وبالغوا فى بعضهم فذهبوا مذهب الهجاء كقولهم[٧٩٢]:

«ففى فجر (فاجر) كلب أحسن من»

كما أشاروا إلى مهارة الفقهاء فى البيع والشراء ومحاباة الناس إياهم كقولهم [٧٩٣]:

«شر فقى جيد ورخيص»

صاحب المدينة والشرطة :

يقول ابن سعيد عن خطة الشرطة بالأندلس «وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها فى ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل»[٧٩٤].

هذا ويرجع الفضل إلى الأمير عبد الرحمن الثانى الأوسط لإدخاله هذه الخطة ، وجعل لصاحبها رزقًا شهريًا قدره مائة دينار[٧٩٥] وإليه يرجع الفضل حين وزع اختصاصات الشرطة وجعلها قسمين : شرطة عليا، وشرطة صغرى[٧٩٦].

٧٩٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ٥٠٩) .

٧٩١- نفس المرجع : نفس الصفحة : (مثل رقم ٨٣٢) .

٧٩٢- نفس المرجع والصفحة : (مثل ابن عاصم رقم٥٤٩) .

٧٩٣- نفس المرجع والصفحة : (مثل رقم ١٨٧٦) .

٧٩٤- المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٢١٨ .

٧٩٥- ابن سعيد : المغرب : جـ١ : ص٤٦ .

٧٩٦- ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى: ص٢٨٦ .

وفى عصر الخلافة وفى ٣١٧هـ (٩٢٩م) ظهرت شرطة ثالثة أطلق عليها اسم الشرطة الوسطى، وكان أول من وليها سعيد بن حدير [٧٩٧]وقد حاول ليفى بروفنسال [٧٩٨] أن يعطل ظهور الشرطة الوسطى فى ذلك الوقت وبين اختصاصاتها فقال : بأن كل نوع من أنواع الشرطة الثلاث المذكورة ، كان يختص بطبقة معينة من الناس ، فكان لصاحب الشرطة الكبرى الحق فى التصرف فى الشئون التى يتورط فيها الشخصيات الكبرى فى الدولة، ولصاحب الشرطة الصغرى السلطة على طبقة العامة من الناس وبين هاتين الطبقتين كانت الشرطة الوسطى وهى خاصة بالنظر فى أمور التجار وصغار الموظفين ، فرأى الأمير عبد الرحمن الناصر ضرورة إنشاء هذا النوع من الشرطة الوسطى «لتلائم هذه الطبقة الجديدة من الناس ويختتم قوله بأنه لايوجد أى نص تاريخى يؤكد أو يصدق على هذا التفسير » ويبدو أن هذا التفسير لايخلو من وجاهة[٧٩٩].

وكان لصاحب الشرطة سلطة النظر فى الجرائم وإقامة الحدود وفرض العقوبات ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين، فكان يحكم بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية[٨٠٠].

هذا ولم يكن يتم اختيار القائم علي وظيفة صاحب الشرطة من الشعراء مثل الوظائف الأخرى ولكن نجد المنصور بن أبى عامر يعين على الشرطة الشاعر أبا مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى لارتجاله أبيات من الشعر أعجبت المنصور بن[٨٠١] أبى عامر .

هذا وقد تعددت الأمثال التى تذم صاحب الشرطة أو صاحب المدينة ويبدو أن صاحب هذه الوظيفة كان مكروها من العامة يقول المثل:

«صاحب مدينة فتشنى عندك أحد»

٧٩٧- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ : ص٢٠٢ .

٧٩٨- Levi Provencel : L'Espagne musulmane T. III, pp. 156 - 157 .

٧٩٩- هشام أبو رميلة : نظم الحكم فى الأندلس : ص٢٨٩ .

٨٠٠- ابن خلدون : المقدمة : ص١٨٥ ، ١٨٦ .

٨٠١- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى: ص٨٢ .

ويقولون أيضاً [٨٠٢]:

«شرطة بياسة يقتنع بالزز»

كما قالوا [٨٠٣]:

«رضى الشرطى بالشرطنة ولم يرضى بالفرصنة (الفرسنة) »

كما وصفوا أخلاق رجال الشرطة وما كانوا عليه من سوء الأدب والمعاملة فقالوا [٨٠٤]:

«بحال شرطى يأكل معك ويكسر الصحفا فى رأسك»

المحتسب :

يقول ابن سعيد أما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة فى أهل العلم والفطنة وكان صاحبها قاضى والعادة فيه أن يمشى فيه بنفسه راكبًا على الأسواق وأعوانه معه[٨٠٥].

والمقصود بالحسبة عند الفقهاء المسلمين هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٨٠٦] فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به كما كان عليه أن يأمر الناس بإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة [٨٠٧]، ، كما ينظر المحتسب فى مراعاة الأحكام الشرعية ويسهر على إقامة الحدود وتمتد سلطته إلى الإشراف على الأسواق [٨٠٨].

٨٠٢- محمد بن شريفة : ص١٩٧ (مثل رقم ١٨٨٧) .

٨٠٣- نفس المرجع والصفحة (مثل بن عاصم رقم ١٦) .

٨٠٤- نفس المرجع والصفحة (مثل بن عاصم قم ٢٨٥) .

٨٠٥- المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٢١٨ .

٨٠٦- الماوردى: الأحكام السلطانية : ص٢٧٧ ، الباز العرينى : كتاب عن الحسبة: فصلة من مجلة كلية الآداب . م١٩ : جـ١ مايو سنة ١٩٥٧ : ص١٣٥ .

٨٠٧- ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، دمشق ١٩٦٧ ص٩ ، ١٠ ، ١١ .

٨٠٨- صبحى الصالح : النظم الإسلامية : ص٣٣٠ «تدور رسائل كل من السقطى وابن عبدون والجرسفى وابن عبد الرؤوف طوال العصر المرابطى والموحدى- حول واجبات المحتسب وسلطاته- . راجع ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ص٢٠ ، ٢١ ، ٤٣ ، السقطى: أدب الحسبة : ص٢ ، ١٢ وما بعدها .

هذا وقد اشتهر المحتسب بالشدة على الأسواق وذكر بعضهم أنه كان يضرب الباعة ضربًا شديداً مبرحًا[٨٠٩].

ولهذا كان المثل الأندلسى [٨١٠]:

«بحل محتسب يضرب ويطوف»

التجار :

شاركت التجارة الداخلية والخارجية فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى المجتمع الأندلسى وانعكس هذا الازدهار على فئة التجار الذين ازدحمت بهم المدن الأندلسية فكان لهم مكانة اجتماعية راقية ، مما جعل الخليفة يستشيرهم فى عزل قاضى الجماعة أو تثبيته إذا رأوا ذلك[٨١١].

ولقد تمتع التجار بالشراء والحياة الرغدة فامتلكوا البيوت والضياع الواسعة والخدم، واهتموا بما يهتم به الملوك من اللهو والطرب ، فاقتنوا المغنيات ، وكان يشار إلى التاجر بما لديه من مغنيات ، فالعذرى يبين لنا حال التجار فى مدينة بلنسية فيقول[٨١٢] : «وقد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات ، والفرج ، ولاتكاد تجد فيها من يستطيع على شئ من دنياه، إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية أو أكثر من ذلك» .

ولشرف مهنة التجارة فقد اشتغل بها الفقهاء والقضاة، فكان الفقيه محمد بن فيصل بن هذيل يعمل بالتجارة فى سوق الحدادين بقرطبة [٨١٣]، كذلك عمل القاضى محمد بن حارث الخشنى فى التجارة وكان له دكان فى قرطبة [٨١٤].

٨٠٩- المقرى: نفح الطيب : جـ١ : ص٢١٩ .

٨١٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٩٨ (مثل رقم ٦٨) .

٨١١- الخشنى : قضاة قرطبة ص٧٣ .

٨١٢- العذارى: نصوص عن الأندلس : ص١٤ .

٨١٣- ابن حيان : المقتبس : تحقيق شالميتا : ص٤٤ .

٨١٤- الخشنى : قضاة قرطبة : ص٧ نشر عزت العطار ، طبعة ١٩٦٤ مقدمة عن المؤلف «هـ» .

وقد كان للتجار أسواق منظمة ومرتبة داخل المدن الأندلسية ، فى قرطبة خصص لكل سوق بضاعة معينة(٨١٥).

أما أشبيلية فيوضح الحميرى أهميتها للتجارة يقول (٨١٦): «وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامرة وأهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً كذلك كان تجار أشبيلية يصدرون القطن إلى أفريقية وسجلماسة» (٨١٧).

ولم يكن تجار المدن الساحلية بأقل جاهًا وغنى من غيرهم ، فقد اشتهر تجار بجانة والمرية لأنها أصبحت مركزاً تجاريا هاما، يقول ياقوت(٨١٨) فهى «باب المشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار ، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب» .

أما مالقة فقد كانت من أكبر مراكز تجارة الرقيق الأندلسى والذين يجلبون من أوروبا المسيحية(٨١٩) ، وبلاد المغرب والسودان ، وكان سوق الرقيق يخضع لإشراف ومراقبة المحتسب وأعوانه، ورغم هذا فقد كان تجار الرقيق يقدمون على ارتكاب الغش والتدليس ومن وسائلهم فى ذلك : تحمير خدود الجوارى، وتغير لون البشرة وإخفاء النمش والوشم ونحو ذلك وتطييب رائحة الفم وجلاء الأسنان ، كما أن بعضهم من أهل الفساد يبعث بالجوارى إلى منازل أصحاب الثراء للخلوة بهن نظير مبلغ من المال (٨٢٠).

هذا وقد تناولت الأمثال الشعبية الأندلسية التجارة والتجار والأسواق والغش والكساد وما إلى ذلك فيقولون فى مدح التجارة وأنها مصدر للخير والبركة :

«صاحب دكان ما يحتاج بستان»(٨٢١)

٨١٥- حسين مؤنس : وصف جديد لقرطبة الإسلامية : ص١٧٠ .

٨١٦- الحميرى : الروض المعطار .

٨١٧- الحميرى : نفس المصدر : والصفحات ، ابن غالب فرحة الأنفس : ص٢٩٢ .

٨١٨- ياقوت : معجم البلدان : جـ٥ : ص١١٩ .

٨١٩- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص٤٤٢ ، ٤٤٣ .

٨٢٠- السقطى : فى أدب الحسبة : ٤٨-٤٩ .

٨٢١- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجالى ص٢١٣ (مثل رقم ١٦٠٢) .

وفى أن التجارة خبرة تكتسب بالممارسة والتعليم يقول المثل [٨٢٢]:

«الشرا يعلم البيع»

«ما يشعر بالردى إلا المدلس» :

والتجارة مرغوب فيها حتى ولو لم يكن فيها ربح لأنها حركة على كل حال يقول المثل[٨٢٣]:

«لن تبيع البيض كما تشتريه ؟ قال يعجبنى جريه»

وحين تسوء الأحوال الاقتصادية ، ثمة أمثال تذم التجارة وتحذر منها: يقول المثل [٨٢٤]:

«لاسلع فى الحانوت ، ولاقطاع فى التابوت»

ويقولون أيضًا :

«قد تربح لا تفتح»

ويقولون أيضًا :

«جالس فى الدكان ، يشرد الدبان»

وعن الإنصاف فى المعاملة كوسيلة لكسب العملاء يقول المثل[٨٢٥]:

«أنصف الناس وشاركهم فى أموالهم»

وفى أن الشركة المثالية هى التى تقوم على اقتسام المكسب والخسارة يقول المثل [٨٢٦]:

«بالبرك أشريكى ، قال لى ولك»

٨٢٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢١٣ : (مثل رقم ١٣٥٤) .

٨٢٣- نفس المرجع والصفحة : (مثل رقم ١٢٢٤) .

٨٢٤- نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ١٩٨٩) ، ومثل ابن عاصم رقم ٣٤٦) ، ومثل رقم٧٧١) .

٨٢٥- نفس المرجع والصفحة : (مثل رقم ٤٥٢) .

٨٢٦- نفس المرجع والصفحة (أمثال ابن عاصم رقم ٥٧٢) .

الآفات الاجتماعية

بلغت الأندلس منذ عصر الخلافة وحتى خروج المسلمين منها قمة الازدهار الحضارى وغلب على أهلها الترف فعمدوا إلى الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، فاستغرقوا فى الترف واللهو واستناموا إلى كل مظاهر الرفاهية، وكان ذلك الإسراف فى حياة المتع وشهوات النفس عاملاً رئيسيًا من عوامل التفتت السياسى الذى منيت به الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف وحتى سقوط غرناطة[٨٣٠] ٧٩٨هـ / ١٤٩٢م هذا ولقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الجانب الأخلاقى وأثره على سقوط الدول وانهيار الحضارات يقول[٨٣١] «وإذا فسد الإنسان فى قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخًا على الحقيقة» .

وفى نفس المعنى يقول[٨٣٢] «ومن مفاسد الحضارة الانهماك فى الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن فى شهوات البطن من المأكل ويتبع ذلك التفنن فى شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط» .

هذا وقد وجدت فى الأندلس الكثير من الأمراض الاجتماعية وخاصة عندما شاع الغناء واللهو وغرق الناس فى الملذات وكثر الفراغ لديهم[٨٣٣].

ومن هذه الأمراض عادة :-

شرب الخمر :

وكانت منتشرة بين جميع فئات المجتمع ولم تخل مجالس اللهو والطرب من شرب الخمر حيث كان الفتيان الصغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين ، كان هذا مدعاة لقول الشاعر والتغزل بهؤلاء الغلمان[٨٣٤] وتشير المصادر إلى شغف الأندلسيين بهذه المجالس وولعهم

---

٨٣٠ سالم : صور من المجتمع الأندلسى: مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد : مجلد ١٩ مدريد سنة ١٩٧٦- ١٩٧٨ .

٨٣١- ابن خلدون : المقدمة : بيروت سنة ١٩٧٩ : دار الكتب العلمية : ص٣١٣ .

٨٣٢- نفس المصدر : ص٢١٢ .

٨٣٣- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ص٢٨٤ .

٨٣٤- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ١ ص٩٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٧ ، جـ٢ ، ص٢٩٤ .

بالطرب والغناء وشرب الخمر وما يجرى فيها من مجون وخلاعة[٨٣٥] فلم يكن لأفراد طبقة الخاصة من المترفين من شاغل سوى كل ما يرضى الشباب ويمتع مجالس اللهو والغناء [٨٣٦]. ويذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب أنهم كانوا يخرجون إلى كروم العنب والتين فى مالقة يفرحون فيها ويمرحون هناك[٨٣٧].

ومن أمثلة هذه المجالس مجلس أنس أعده الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر للهو، حضره الوزير أحمد بن عبدالملك بن شهيد فى محفة بسبب نقرس كان يعانى منه ويذكر ابن بسام أن الطرب طما وسما حتى تصايح القوم، ثم انتهى إلى الوزير ابن شهيد فأقامه الوزير أبو عبدالله بن عياش، فجعل ابن شهيد يرقص وهو يتوكأ عليه ونسى أوجاع النقرس، وارتجل الشيخ أبياتًا وجهها إلى المنصور منها[٨٣٨]:

هاك شيخ قادة عذر لكـــــا	قام فى رقصته مستهلكا
لم يُطف يرقصهـــا مستثبتًـــا	فأنثنى يرقصهـــا مستمسكا
عاقـــه من هزهـــا مُعتـــدلا	نقرس أنحى عليه فاتكـــا
طرب اللهوُ وقد حق له طربا	أرمضه حتى اشتكـــى
من وزيـــر فيهـــم رقاصـــة	قام من طيب يناغى ملكـــا

وكان أمراء الأندلس وملوكها يعقدون مجالس الطرب فى ظاهر المدن أو فى البساتين والمنيات وأبهاء القصور والمنتزهات يفترشون الوسائد والطنافس يأكلون ويشربون على إيقاع الدفوف والمزامير ، يصف ابن بسام حفلاً أقامه المأمون بن ذى النون فى مجلس خلوته بقصر الناعورة أحضر فيه عدداً من المغنين وجميع آلات الطرب [٨٣٩]، وبالغ فى تأنيس الحاضرين

٨٣٥- حكمة على الآوسى : الأدب فى عصر الموحدين ، مكتبة الخانكى : القاهرة .

٨٣٦- ابن سعيد : المغرب : جـ١ ص٤٢٨ .

٨٣٧- ابن سعيد : نفس المصدر والصفحة .

٨٣٨- ابن بسام : الذخيرة : قسم (٤) : مجلد (١) : ص١٧ ، المقرى : نفح الطيب جـ٣ : ص٢٦١ .

٨٣٩- سالم : صور من المجتمع الأندلسى: ص٦٤ .

بالنبيذ(٨٤٠)، يقول أحد أمراء بنى أمية وهو المطرف بن عبد الرحمن الأوسط (٨٤١):

أفنيتُ عمرىَ فى الشرْ ... ب والوجوه الملاح

ولم أضيّع أصيلاً ... ولا أطلاع صباح

أحى الليالى سُهداً ... فى نشوة الفلاح

وكان الشراب يكثر ليلاً، علانية أو سراً حيث يطلق الشاربون العنان لأهوائهم وقد وصف لنا الشاعر ما تصنعه الخمر فى الكأس الشفافة والسراج ليل الشاربين حتى عندما تكون المصابيح منطفئة ، يقول أبو عيسى ابن لبون(٨٤٢):

يا ربّ ليل شربنا فيه صافية ... حمراء فى لونها تنفى التباريحا

ترى الفراش على الأكواس ساقطة ... كأنما أبصرت منها مصابيحًا

والأندلسى يحب أن يشرب الخمر مع رفيقات من النساء وندامى مبتهجين يطلق عليهم الشعراء «الفتيان الكرام» يقول ابن مقانا الإشبونى(٨٤٣):

مع فتيان كرام نجب ... يتهادون رياحين المجون

شربوا الراح على خد رشا ... نور الورد به الياسمين

وجلت أياته عامدة ... سبغ الشعر على عاج الجبين

وكان لكأس الصباح مذاق خاص عند شاربه وفى ذلك يقول المعتضد (٨٤٤):

اشرب على وجه الصباح ... وانظر إلى نور الأقاح

واعلم بأنك جاهل ... ما لم تقل بالإصطباح

فالدهر شئ بارد ... إن لم تسخنه براح

٨٤٠- ابن بسام : نفس المصدر والجزء : ص١٠٦ .

٨٤١- المقرى : نفس المصدر : جـ٣ ص٥٧٨ .

٨٤٢- ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ٢ : ص١٧٠ .

٨٤٣- المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٤٣٣ .

٨٤٤- ابن بسام : الذخيرة : جـ٢ : ص٣٠ .

ويحدد ابن مقانا[٨٤٥] فى قصيدته التى يمدح بها إدريس بن يحيى الحمودى أن الخمر يجب أن تشرب فى الصباح قبل أن ينادى المؤذن للصلاة ، ويؤكد فى الوقت نفسه على الصفات الثلاثة التى يجب أن تقدر فى الخمر الجيدة:

قد بدا لى وضـــح الصبـح المبين   فاسقنيها قبل تكبير الأذيـــن

استقنيهـــا مُـــزة مشمولـــة   لبثت دنهـــا بضـــع سنين

وتذكرنا هذه الأبيات بتعليق عبد الرحمن شنجول ابن المنصور بن أبى عامر عندما سمع المؤذن ينادى ذات يوم من فوق المئذنة «حى على الصلاة» فقال «لو قلت حى على الكأس لكان خيراً لك»[٨٤٦] ويقول أبو مروان عبد الملك بن غصن[٨٤٧]:

وقـام داعـى السـرور يدعـــو   حى على الدين وانتـهـائه

وتـاه فيـــه النـديم ممـــا   يزدحم النـاس عنـد بابـه

هذا ولم يكتف الشعراء بوصف الخمر وإنما جاوزوا ذلك إلى وصف كؤوسها وزجاجتها ومجالس شرابها كما هو مبين فى أشعارهم وقد امتزج شعرهم هذا بوصف الرياض والمنتزهات فهذا لبن جودى يصف لنا لهوه بين الحدائق والأزهار ثم يصف الخمرة وأبريقها يقول [٨٤٨]:

شـربنا وبـرد الليـل يطـول صحبـه   وأردية الشمس المنيـرة تنتـشر

وقد هتفت ورق الحمام بدوحهـا   وكف الصبا زهر الحدائق تنتشر

مشعشعة رقت وراقت كأنمـــا   يصاغ لها من صنعه المزج جوهر

إذ قهقهة الأبريق قالوا تكلمـــت   كما أنها عن أعين المزج تنتظـر

وكان بعض شاربى الخمر أنهم يكادوا لايفيقون منها ، فأبو الحسن رضى بن رضا المالقى

٨٤٥- المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص٤٣٣ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسى: ص٣٣٠ .

٨٤٦- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٨٤٧- المقرى: نفح الطيب : جـ٣ : ص٤٢٣ .

٨٤٨ ابن سعيد : المغرب جـ٢ : ص١١٠ .

(٠ ٩٥هـ- ١١٥٣م) كان ينهمك فى شرب الخمر حتى أنه لايكاد يصحو منها وكان يقول «إنى أمحق العمر سكراً»[٨٤٩].

أما المرابطين فقد أثبتت النصوص التاريخية انحراف الأمراء المرابطين الأواخر فى الترف وأصبح بلاط الأمير قبلة للشعراء[٨٥٠] والمغنيين الذين امتلأت بهم جوانبه وفى هذا الجو المملوء بوسائل المتعة أقبل بعض الأمراء على معاقرة الخمر فالأمير ابن يتفلوت صاحب سرقسطة تعود على منادمة أبى بكر بن باجة فكانت تطربهما قنية من القنيات المجيدات للشعر والغناء[٨٥١]، كما أن الشاعر أبو بكر بن الروح كان ينادم الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين[٨٥٢] كذلك فقد جبل الأمير أبو بكر بن إبراهيم على تعاطى الخمر والسهر مع جواريه فضلاً عن تبذير الأموال[٨٥٣].

وهكذا لم يجد الأمراء المرابطون أدنى حرج فى قضاء الليالى بين الغناء واللهو ومعاقرة الخمر بين جواريهم وندمائهم .

وفى العصر الموحدى كان بعض السادة الموحدين لايكتفون بالمجاهرة بشرب الخمر فحسب ، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير الذى استدعاه السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة لأن يكتب كتابًا عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس ، فأظهر الانقباض وقال يا سيدى ما شربتها قط ، فقال والله لتشربن

٨٤٩- ابن سعيد : نفس المصدر : جـ١ : ص٤٢٦ .

٨٥٠- راجع ديوان الأعمى التطيلى بيروت سنة ١٩٦٣ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ١٦ ، ص١٠٠ ، ١١٣ ، ٢٠٠ وراجع أيضًا ديوان ابن خفاجة دار صادر بيروت سنة ١٩٦١ ص٤٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، وما بعدها فقد امتلأ هذين الديوانين بمديح الأمراء المرابطين .

٨٥١- ابن سعيد : المقتطف من أزاهر الطرف : القاهرة ١٩٨٣م تحقيق سيد حنفى حسين : ص٢٥٧ .

٨٥٢- المقرى : نفح الطيب : جـ٤ : ص٧٢ .

يقول ابن الروح مادحًا الأمير المرابطى:

أنا شاعر وأنت أميرها | فما لى لايسرى إلى سرورها

٨٥٣- ابن سعيد : المقتطف : نفس الصفحة .

منها سبعًا . فلما رأى العزيمة شرب سبع كؤوس فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره[٨٥٤].

هذا وينتقد لسان الدين ابن الخطيب[٨٥٥] «الانهماك فى البطالة والإقبال على شرب الخمر ويبدو هذا عند حديثه عن الكاتب محمد بن محمد بن على بن العابد الأنصارى، الكاتب بالدار السلطانية ، والمتوفى فى حدود التسعين وستمائة ١٢٩١م ، يقول عنه : تولى كتابة الإنشاء لثانى الملوك النصريين، واستمر قيامه بها على ضجر شديد من السلطان محمد ، لملازمته المعاقرة وانهماكه فى البطالة ، واستعمال الخمر».

وإذا كانت الخمر قد انتشرت هذا الانتشار الواسع بين فئات الخاصة، فقد انتشرت بين فئات العامة من الأندلسيين أيضًا يشربونها فى المنتزهات والأماكن العامة يقول الشقندى فى رسالته عن فضل الأندلس وانتشار أماكن اللهو والطرب وشرب الخمر على الوادى الكبير بأشبيلية فقال[٨٥٦] «وقد سعد هذا الوادى بكونه لايخلو من مسرة وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ولا ناه عن ذلك ولامنتقد ، ما لم يؤد السكر إلى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا إزالته».

وعلى هذا كان الحصول على النبيذ والشراب حتى السكر ميسوراً ، فمنذ القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث (التاسع الميلادى) أصبح ربض شقندة يضم سوقًا للخمور يستأجرها أحد المستعربين، وقد أغلق هذا السوق فى أوائل عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط[٨٥٧]، ولكنه لم يلبث أن أعيد فتحه لما يدره على الخزانة العامة للدولة من عائد

٨٥٤- هو صاحب الرحلة المشهور،ولد ٥٤٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطبة ويقال إنه اضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن إلى شرب الخمر فأزمع الحج إلى بيت الله الحرام ليكفر عن خطيئته : راجع ابن سعيد : المغرب جـ٢ : ص٣٨٤ هامش رقم١ ، وراجع ترجمة ابن جبير أيضًا فى ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة : ص٥٩٨ طبعة مصر .

٨٥٥- ابن الخطيب : الإحاطة : مجلد ٢ ص٢٨١- ٢٨٢ .

٨٥٦- رسالة فى فضل الأندلس: ص٥١ : تحقيق صلاح المنجد .

٨٥٧- ابن سعيد : المغرب :جـ١ : ص٤٦ .

Levi Provencel : Histoire: vol . III . p. 447 .

لابأس به، وكانت هذه السوق تمد الحانات العديدة سواء المرخصة أو السرية بما تحتاج إليه من أنواع الخمور المختلفة .

وكان يتردد على هذه الحانات المستعربون من النصارى والمسلمون على حد سواء ، كما كانت تلك الحانات تنتشر بصفة خاصة بالقرب من الأديرة المسيحية الواقعة خارج قرطبة[٨٥٨] ويشير ابن شهيد في رسالته التوابع والزوابع إلى تلك الحانات والتي كان يقدم فيها نوع من الخمر يسمى خمر الدير [٨٥٩]، وفي أغلب الأحيان كان يدير هذه الحانات بعض النسوة كما يذكر ذلك يحيى السرقسطي حيث[٨٦٠] يقول :

ربّ خمارة سريتُ إليها والدجى في ثيابه الزنجية

كم عقار بدلته بعقار وثياب صبغتها خمرية

إن خير البيوع ما كان نقداً ليس ما كان أجلاً بنسيه

وكان من الشائع أن يتردد على هذه الحانات المخنثون والنساء من ذوات السمعة السيئة وكان ذلك موضع هجوم دائم من الفقهاء وملاحقة مستمرة من الشرطة، فلما ولى عبد الله بن حسين الشرطة بقرطبة، فمر يومًا بفتى يترنح سكراً فأمر بجلده[٨٦١] كذلك روى عن القاضي أبوعبدالله بن أبي عيسى أنه كان يسير في قرطبة في موكب حافل ، فعرض له فتى سكران يتمايل ، فلما رأى القاضي هابه وأراد الفرار ، فخانته قدماه فلما اقترب منه القاضي أنشأ يقول [٨٦٢]:

٨٥٨- Levi Provencal : Op. Cit. p. 447 .

حمدي عبد المنعم : مجتمع قرطبة : ص٥٢٩ .

٨٥٩- راجع المقري: نفس المصدر : جـ١ : ص٥٢٥ ، ٥٤٤ ، ابن خلكان : مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: ص١٩٤-١٩٥ ، أحمد حنيف: بلاغة العرب في الأندلس : ص٥٢-٥٣ .

٨٦٠- المقري : نفس المصدر : جـ٤ : ص١٥٨ .

٨٦١- ابن حيان : المقتبس: تحقيق محمود على مكي : ص١٨٧ .

٨٦٢- المقري : نفس المصدر : جـ٢ ص٢٢١-٢٢٢ .

ألا أيها القاضى الذى عم عدلــه   فأضحى به بين الأنام فريــداً
قرأت كتاب الله تسعين مــرة   فلم أر فيه للشراب حــدودا
فإن شئت جلداً إلى فدونك منكبًــا   صبوراً على ريب الزمان جليداً
وإن شئت تعفو تكن لك منــة   تروح بها فى العالمين حميدا
وإن أنت تختار الحديد فــإن لــى   لسانا على هجو الزمان حديداً

ويذكر ابن سعيد[٨٦٣] فى كتابه المغرب أن الخليفة الحكم المستنصر حاول قطع الخمر من الأندلس فشاور فى استئصال شجرة العنب ، فقيل أنهم يعملونها من التين وغير ذلك فوقف عما هم به.

كذلك كان بعض الفقهاء أو العامة يقومون بإنكارها وكسر أوانيها إلا أن هذا قليل بالنسبة لما تراه فى تاريخهم إذ كان التسامح فى الشراب والإعفاء عنه غالبًا عليهم يذكر ابن عبدون[٨٦٤] فى كتابه «كان الصبيان إذا أقبلوا على الأعراس أخذت أسلحتهم قبل أن يشربوا ويعربدوا » .

أما أمثال الأندلسيين الشعبية فجاءت من واقع حياتهم ففيها نصح بالشراب ولكن فى الستر أو الخلاء وفى تفضيل الخمر على الرب[٨٦٥].

٨٦٣- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : جـ١ ص١٨١ .

٨٦٤- ابن عبودن : أدب الحسبة : جـ١ .

٨٦٥- من الأشربة المشهورة التى اتخذها البربر وخاصة قبائل المصامدة شرابًا لهم الخاثر من العنب وقد كان شربه معهوداً أول الأمر إلى أن تنبهوا إلى أن مفعوله لايختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدر أمراء الموحدين والأوامر بمنعه ، كان الرب يباع فى مكان خاص فى مراكش يعرف بباب والرب معروف فى أسبانيا إلى اليوم باسم « Arrop » راجع ابن صاحب الصلاة : الإمامة : ص١٧١ - ١٧٢ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار : تحقيق سعد زغلول عبد الحميد الإسكندرية ص٢١١ ، ومجهول : الطبيخ فى المغرب والأندلس : مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدرية : ص٢٥٥ .

Allain et Deverden : les portes Anciennes de marakech L Hesperis, T , 44 . 1957 . p. 121-123 .

ومن أمثالهم المعبرة عن هذا الواقع يقول المثل[٨٦٦] «القطاع والقراع ويجى الشراب من ساع».

و «شرب الخل خير من العطانة»

ويقولون أيضًا : «شين يشين لشراب أرشد»

كذلك استطاع ابن الخطيب أن يكشف عن إحدى الآفات الاجتماعية التى ابتليت بها غرناطة فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، وهى انتشار الحشيش بها [٨٦٧]، وتؤيد النصوص الشعرية التى دارت بين شعراء غرناطة فى تلك الفترة تفضيل الحشيش على الخمر[٨٦٨] ومن ذلك قول الشاعر الغرناطى ابن الوحيد (ت٧١١) [٨٦٩]:

وخضراء بل لاتفعل الخمر فعلها لها ثبات فى الحشا وثبات

تؤجج ناراً فى الحشا وهى جنة وتبدى لذيذ العيش وهى نبات

وهناك أبيات أخرى قيلت فى هذا المضمار تنبهنا المراجع المغربية إلى الشاعر الغرناطى محمد الحجر الرعين المعروف بابن خميس (ت٧٠٨هـ)[٨٧٠] جاء فيها :

دع الخمر واشرب مدامه حيدر معتقة خضراء لون الزبرجد

هى البكر لم تنكح بما سحابة ولاعصرت بالرجل يومًا ولا اليد

ولاعبث القسيس يومًا بكأسها ولاقربوا من دنها نفس ملحد

٨٦٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٢٦ ، الأمثال رقم ٢٣٧ ، ١٨٨٦، ١٩١٢) .

٨٦٧- ابن الخطيب : نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب : نشر أحمد مختار العبادى: ص١٨٣ .

٨٦٨- أنظر مقدمة ديوان ابن الخطيب : تحقيق محمد مفتاح ضمن المجلد الأول من الديوان : ص٨٣ ، مقدمة : كتاب نفاضة الجراب : ص٢ ، ٢١ .

٨٦٩- ابن القاضى : (أحمد بن محمد بن أحمد) : درة الحجال فى غرة أسماء الرجال جزءان : نشر علوش (الرباط ١٩٣٤) ، جـ١ : ص٣٠٥ ، ٣٠٦ .

٨٧٠- ابن القاضى : نفس المصدر : جـ١ : ص١٦٣-١٦٤ ، راجع أيضًا أحمد الطوخى : قيام دولة بنى الأحمر فى غرناطة : رسالة ماجستير غير منشورة : آداب الإسكندرية ١٩٧٤ . ص١٧٦-١٧٧ .

ولاقــول فــى تحــريمهــا عــنــد مــالــك ولاحــد عــنــد الـشــافــعــى وأحــمــد

ولاأثبت النعمــان تنجيس عينهـا فخذها بحد مشرفى مهنـــــد

وفيـهـا مـعان ليس للخمر مثلهـا فـلا تستمع فيـهـا كلام المفنــــد

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهــلاً ويأتيـك بالأخبار من لــم تــزود

ولاشك أن الحشيش بدأ انتشاره فى المشرق، ثم انتقل إلى بلاد الأندلس بعد ذلك ويبدو وأن بلاد المغرب والأندلس كانا فى مأمن من تلك الآفة حتى القرن السابع الهجرى، والدليل على ذلك تلك الملاحظة التى أبداها الرحالة الغرناطى ابن سعيد المغربى حين زارمصر خلال القرن السابع الهجرى [٨٧١]، إذ عاب على المصرين أكلهم للحشيشة مبينًا أن أمثال هذه العادات القبيحة لاتوجد فى بلاده[٨٧٢].

ويؤكد الجرسفى[٨٧٣] أيضًا انتشار تلك الآفة حيث أهاب بالمحتسب أن يضرب على أيدى الحشاشين .

يقول : «وجب عليه أن يمنع أهل الأذاية جُملة ، كالحشاشين المنتحلين لذوات السموم لاختلاف أنواعها خيف الأذاية وعدم معرفتهم بالتريقات».

التغزل بالغلمان «المذكر» التشبيب:

كانت عادة التغزل بالغلمان (التشبيب) ظاهر اجتماعية متفشية فى المجتمع الأندلسى وتخلو المصادر التاريخية من النصوص التى تشير إلى أحداث وقعت من العامة وهو أمر طبيعى فالمؤلفات التاريخية، قلما تتوقف أمام هذه الطبقة من المجتمع وعلى النقيض تقدم لنا الكتب التاريخية الكثير من الأمثلة على انتشار تلك الظاهرة الاجتماعية بين طبقة الخاصة[٨٧٤]

٨٧١- أحمد الطوخى : نفس المرجع : ص١٧٧ .

٨٧٢- ابن الخطيب : نفاضة الجراب: ص٢١ ، المقرى نفس المصدر : جـ٢ ص٣٤٨ .

٨٧٣- الجرسفى: رسالة فى الحسبة ضمن ثلاثة رسائل أندلسية عن الحسبة نشر ليفى بروفنسال : القاهرة سنة ١٩٥٥ ص١٢٣ .

٨٧٤- حمدى عبد المنعم : مجتمع قرطبة : ص٥٢٥ .

في المجتمع الأندلسى، وتدل على ذلك أخبارهم وأشعارهم فتجاوزت شهرتهم حدود الأندلس، حتى أن ابن دقيق العيد قال لابن حيان النحوى: «أنتم يا أهل الأندلس فيكم خصلتان : محبتكم الشباب وشريكم الخمر»[٨٧٥] يقول أبو الحسن على بن موسى بن سعيد ، متمم كتاب المغرب فى حلى المغرب متغزلاً فى غلام جميل، الصورة[٨٧٦]:

نـاب مـا أهـديت عـن عـــــرف وعـن ريــــــق وخـد
حـبـــذا تـفـاحـــــة قـــد أشـبـهـت أوصـــاف مـهـدى
بـــت مـنـهـــا فـى ســرور فـكــأن قـــد بـــت عـنـدى

أما الأمير هشام بن عبد الرحمن الأوسط فقد أولع بحب غلام له يسمى ريحان فأنشده متغزلا[٨٧٧]:

أحبك يا ريحـان ما عشت دائمًـا ولولا فى حبـك الأنس والجـان
ولولاك لم أهـو الظـلام وسهده ولاحببت لى فى زر الدار غربان
وما أعشق الريحـان إلا لأنـه شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
على أنه لم يكمـل الظرف مجلس إذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

ويبدو أن هوى الغلمان واللواط بهم كان منتشراً بين أوساط الطلبة فى الكتاتيب وأماكن العلم .

فهناك المؤدب أبو عبد الملك بن عثمان بن المثنى القيسى القرطبى الذى أدب أولاد الأمير عبد الرحمن الأوسط وأولاد ولده الأمير محمد، وكان قد زاره بعض إخوانه فى مكتبه بقصر قرطبة، وهو يعلم ولداً للأمير محمد جميل الصورة، قال : كيف حالك مع هذا الرشأ ؟ فقال : لا أزال أشرب خمر عينيه فلا أروى وهو يسقينها دائمًا وأنشأ يقول [٨٧٨]:

٨٧٥- الأدفوى: الطالع السعيد : تحقيق سعد محمد حسن : الدار المصرية للتأليف والترجمة : عام١٩٦٦: ص٥٨٤ .

٨٧٦- المقرى: نفس المصدر : جـ٢ : ص٢٦٧-٢٦٨ .

٨٧٧- المقرى : نفس المصدر : جـ٣ : ص٥٧٩ .

٨٧٨- ابن سعيد : المغرب : جـ١ : ص١١٣ «هو أبو عبدالملك عثمان بن المثنى القيسى القرطبى وصفه =

صناعة عينى السُّهاد وإنما　　　صناعة عينيه الخلابة والسحر

ولو بغناء الدهر أرجو نواله　　　إذا لوددنا أنه فنى الدهر

كما اشتهر عن مؤدب أولاد الأمير عبد الرحمن بن الحكم أبو محمد عبد الله بن بكر بن سابق الكلاعى حبه وولعه بالغلمان وهو القائل [٨٧٩]:

صبرت ومالى بالتصبر طاقة　　　فياليت قلبى مثل قلبك صابر

كما ينقل لنا ابن سعيد المغربى عن الحميدى أن عبدالله بن حسين بن عاصم الثقفى القرطبى كان من جلساء الأمير محمد بن عبد الرحمن وأنه شرب معه يومًا وغلام جميل الصورة يسقيهم، فألم الأمير على الغلام فى سقى عبدالله ، فقال [٨٨٠]:

يا حسن الوجه لاتكن صلفًا　　　ما الحسان الوجهة والصلف

يحسن أن تحسن القبيح ول　　　ترثى للصب متيم دنف

فخيره الأمير محمد بن عبد الرحمن بين بدرة من المال والغلام، فاختار البدرة خوفًا من الفتنة .

وقد أورد ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة الكثير من أمثلة الانحلال الخلقى فى الأندلس فيذكر أن الكاتب ابن قزمان(*) استحسن بمحبة أسلم بن عبد

= ابن حيان بمعرفة اللغة والتجويد فى الشعر، كان شجاعًا مكثرًا للغزو فى الثغور وأدب أولاد عبد الرحمن بن الحكم سلطان الأندلس وولد فى صدر دولة هشام الرضا، فأدرك أربعة سلاطين من المروانية آخرهم محمد، توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وتسعين سنة ، ترجم له ابن الفرضى فى كتابه تاريخ علماء الأندلس: ص٣٠٢- ص٣٠٣ ، وابن الأبار : التكملة ص٤٣٤ .

٨٧٩- ابن سعيد : نفس المصدر والجزء والصفحة وكان مؤدبا بالنحو عالمًا باللسان ، مبرزًا فى الشعر ، أديبًا بليغا ترجم له ابن الأبار فى التكملة : ص٤٣٤ ، وكذلك ابن الفرضى فى كتابه تاريخ علماء الأندلس : ص٩٤ .

٨٨٠- ابن سعيد : المغرب : جـ١ ص١٠١ .

(*) هو أحمد بن قزمان الكاتب الشهير بابن كليب ، كان شاعرًا أندلسيًا نحويًا متفقهًا قد أحب أسلم وأوقف شعره عليه حتى فشت أخباره وجرت بها الألسنة ، ومات بسبب حبه هذا كما فى رواية ابن حزم ، ويظن أنه من أسلاف الشاعر الزجال ابن قزمان الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى وقد اختصر ابن حزم هذه =

العزيز(*) ، أضى الحاجب هاشم بن عبد العزيز وكان أسلم غاية فى الجمال، حتى قيل أن ابن قزمان قد بلغ من حبه لأسلم بن عبد العزيز وولعه به أن أصابه المرض ، فكان أسلم كثير الزيارة له دون أن يعلم أنه السبب وراء مرض ابن قزمان . فلما توفى ابن قزمان ، وعلم أسلم بسبب علته وموته فتأسف عليه، وقال لمن أخبره لماذا لم تخبرنى بسبب مرض ابن قزمان، حتى كنت أزيد صلتى به وزيارته . ومن بين ما قاله فى أسلم وتغنى به النكورى الزامر فى حفلة من حفلات الأعراس قوله :

أسلمنى فى هواه أسلم هذا الرشا[٨٨٢] غزال له مقلة يصيب بها من يشا

ولو شاء أن يرتشى على الوصل روحى ارتشا

كذلك يروى ابن حزم قصة موت أبى عبدالله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمى المعروف بابن الطبنى نقلاً عن أبى بكر المصعب بن عبد الله الأزدى قال سألت ابن الطبنى عن سبب علته ونحوله وظهور علامات الشيخوخة عليه على الرغم مما كان يشتهر به من الحسن والجمال، فقال ابن الطبنى لقد كنت واقفًا بباب دارى حين دخول على بن حمود قرطبة بجيوشه،

= الرواية ولكن الضبى ذكرها بالتفصيل فى كتابه «البغية» كذلك أوردها الحميدى ، القاهرة ١٣٣٨ هـ : ص١٦٢ ، راجع أيضًا ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ : ص١٣٧ وما بعدها ، ابن سعيد المغرب : جـ٢ ، ص٩٤ ، راجع : ابن حزم : طوق الحمامة: تحقيق الطاهر مكى: طبعة ١٩٩٣: ص١٥٢ ، ص١٥٣ . هنا وقد أخطأ د. حمدى عبد المنعم فى كتابه مجتمع قرطبة حين اعتبر أحمد بن قزمان غير أحمد ابن كليب فكلاهما واحد .

(*) أسلم ابن عبد العزيز اسمه كاملاً أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز وينتهى نسبه إلى إبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان أسلم من كبار فقهاء الأندلس جلس إلى بكر بن مخلد وسمع منه ورحل إلى المشرق ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م وتوقف بالقاهرة ودرس على أعلام المالكية بها ثم عاد إلى قرطبة وتولى فيها قضاء الجماعة مرتين وله كتاب فى أغانى زرياب كان مشهوراً فى أيامه ، ضاع ولم يصلنا تولى القيادة والإمارة للأمير محمد بن عبد الرحمن ، راجع : ابن حزم : نفس المصدر والصفحة .

٨٨١- ابن حزم : نفس المصدر : والصفحات .

٨٨٢- الضبى : بغية الملتمس : ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ترجمة رقم (٤٦٢) .

Levi Provencal : Histoire : p. 440 .

فرأيت فى جملة جنوده فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيته فغلب على عقلى ولافارقنى حبه(٨٨٣).

ومن صور الانحلال الخلقى فى الأندلس أيضًا ما أورده ابن حزم فى طوقه عن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط كان والده قد غادر قرطبة فى بعض غزواته، وترك ابنه الأمير محمد على السطح نائبًا عنه، ولم يأذن له بالخروج أبداً ورتب معه فى كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من أكابر الفتيان يبيتان معه فى السطح واستمر على ذلك فترة من الزمن وهو بعيد عن نسائه وأهله، وكان الأمير فى سن العشرين وقد وافق أن بات معه فى إحدى الليالى الوزير بن غانم ومعه فتى من أكابر الفتيان، وكان هذا الفتى صغير السن وعلى درجة كبيرة من الجمال ، فيروى الوليد بن غانم أنه خشى على الأمير فى تلك الليلة من ارتكاب المعصية عندما رأى درجة جمال وحسن هذا الفتى، فظل ساهراً يراقب الأمير، فلما مضى هزيع من الليل، رأى الأمير وقد غادر فراشه فتعوذ من الشيطان وعاد إلى فراشه ، وتكرر من الأمير ذلك ثلاث مرات وفى المرة الثالثة استدعى الفتى، وطلب منه أن يترك السطح ويهبط إلى الفيصل الذى تحته (٨٨٤).

أما محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر فكان مظهراً للخلاعة بحيث اشترى صقليبًا كان يتعشقه فقيل فيه(٨٨٥):

أمير الناس سخنه كل عين ... يبيت الليل بين مخنثين
يجشم ذا ويلثم خد هذا ... ويسكر كل يوم سكرتين
لقد ولوا خلافتهم سفيهًا ... ضعيف العقل شيئًا غير رزين

هذا ويتردد عادة عشق الغلمان من طرف أمراء وأعلام الحقبة المرابطية وفقهائها فى كتب السيرة والتراجم فرغم ما عرف عن عبدالله بن عائشة من زهد وورع، فإنه ظل يعشق غلامًا ويهواه (٨٨٦).

٨٨٣- ابن حزم : نفس المصدر : ص١٥٧ ، ص١٥٨ .

٨٨٤- ابن حزم : نفس المصدر : ص١٨٦ ، ص١٨٧ .

٨٨٥- ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٣ : ص٨٠ .

٨٨٦- ابن خاقان : مطمع الأنفس .

ويشير د. مفتاح إلى آفة التغزل بالغلمان وكلف الأندلسيين بالغلمان وخاصة السود[٨٨٧].

وفى ذلك يقول ابن الخطيب[٨٨٨]:

بنفسى حالك شبه السويدا   لذلك ما يحن له الفؤاد

أطيل له التفانى والتماجى   لأن العين ينفعها السواد

أما الأمثال الشعبية فقد صورت تلك الآفة فى المجتمع الأندلسى يقول المثل :

«جلوس القط لباب جهنم»

ويقولون أيضًا : «من مقابل لواط مقتول»

ويبدو أن هذا المثل قيل لكثرة حوادث القتل بسبب اللواط والقطم ، فكان مصير اللائط أن يموت قتيلاً [٨٨٩]ويذكر صاحب الغصون اليانعة قتل بعض الأدباء المعروفين بسبب ذلك[٨٩٠].

وتبعًا لهذه الآفة الخلقية فى المجتمع الأندلسى وجدت طائفة من الشواذ يعرفون بالمخنثين الذين تروى حولهم بعض الطرف التى تجمع بين الفكاهة والبذاءة وكان فى مقدمة هؤلاء رجل اسمه الهيدرورة رويت حوله بعض النوادر الخادشة للحياء، وكانوا أكثر عدداً فى قرطبة منها فى أى مدينة أخرى ولقد تجمعوا فى حى منها بعينه اسمه درب ابن زيدون ، فكان الناس إذا أرادوا التعريض برجولة إنسان قالوا أنه من درب ابن زيدون[٨٩٢].

٨٨٧- مقدمة ديوان ابن الخطيب : ضمن المجلد الأول ص٨٣ تحقيق محمد مفتاح جـ١ دار الثقافة : ١٩٨٩م .

٨٨٨- ديوان ابن الخطيب : ص٣٢٨ .

٨٨٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٢٦ (مثل رقم ، رقم ١٦٧٦) نفس المرجع والصفحة .

٨٩٠- ابن سعيد : الغصون اليانعة : تحقيق ابراهيم الإبيارى. ص٤٣ دار المعارف مصر.

٨٩١- ابن جلجل : طبقات الأطباء : ص١٠٤ .

٨٩٢- ابن سعيد: المغرب : جـ١ : ص١٧١ ، ص١٧٢ .

انتشار بيوت الحظوة :

عرفت الأندلس بانتشار بيوت الحظوة بها، حيث اشتهرت بعض المدن الأندلسية بكثرة الملاهى وأماكن الدعارة مثل قرطبة التى كان يتردد عليها العامة من الناس فضلاً عن الريفيين الذين يهبطون على قرطبة للبيع والشراء[٨٩٣] كذلك عرفت برشانة[٨٩٤] بالمجون يقول عنها ابن الخطيب[٨٩٥] «فى هذه المدينة للمجون بها سوق وللفسوق ألف سوق » كذلك عرفت أبدة[٨٩٦] بملاهيها وراقصاتها يقول الشقندى[٨٩٧] : «وما كان بأبدة من أصناف الملاهى والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصفة فإنهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك وأخراج، القروى والمرابط والمتوجه» أما أشبيلية[٨٩٨] فكانت مضرب الأمثال فى الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة .

هذا وقد فرضت على العاهرات من النساء ضريبة نقدية . وكان يطلق عليهن الخراجيات أى دافعات الخراج ويطلق على بيوت الحظوة نفسها «دار الخراج»[٨٩٩].

ونتيجة لانتشار الزنا كثرت المشاكل الاجتماعية الناجمة عن هذه الجريمة والتى كانت تعرض على الفقهاء ، فقد أشارت كتب النوازل إلى حالة امرأة «حملت من زنى مرتين وأنها قتلت ما ولدت»[٩٠٠] خشية الفضيحة.

٨٩٣- ابن سعيد : المغرب : جـ١ : ص١٧١ ، ص١٧٢ .

٨٩٤- برشانة حصن بالأندلس : راجع الحميرى: الروض المعطار : ص٤٢ ويذكر الإدريسى فى كتابه نزهة المشتاق بأنها مدينة ضمن إقليم بجانة ، راجع الإدريسى: نزهة المشتاق : مجلد٢ ص٥٣٧ .

٨٩٥- ابن الخطيب : معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار ص٥٩ .

٨٩٦- المقرى : نفس المصدر : جـ١ : ص١٥٩ .

٨٩٧- المقرى : نفح الطيب : جـ٣ : ص٢١٧ .

٨٩٨- المقرى : المصدر السابق : جـ١ : ص١٥٩ .

٨٩٩- راجع الطاهر مكى : دراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة : ص٤٩ . دار المعارف مصر .
Provencal : Histoire: vol : III . p. 446 .

٩٠٠- ابراهيم القادر بوتشيش : أثر الأزمة الأخلاقية فى سقوط الإسلام بالأندلس: ص١٩ .

وأصبح إسقاط الجنين من بطن الزانية مسألة تتردد فى كتب الفتاوى(٩٠١).

بل هناك من النوازل التى عرضت على ابن لبابة (ت فى ق٤هـ) أن بلغ الأمر بالرجل أن يقول عن زوجته «هذا الحمل الظاهر بها ليس منى»(٩٠٢) وهناك من رأى زوجته وتدعى سعدونة تزنى»(٩٠٣).

كما أن هناك من تلاعب بالسنة مثال ذلك من طلق زوجته وجامعها حرامًا قبل أن يراجعها(٩٠٤) وفى هذا ما يدل على أن جرائم الزنا كانت منتشرة ويذكر ابن حيان(٩٠٥) أن الوزير ابن السقاء قد اتخذ على عادة الموسرين داراً أخرى غير داره للخلوة أطلق عليها دار اللذة كان يقضى فيها راحته بعد الانتهاء من أحكامه فإذا جاء الليل عاد إلى دار سكناه التى فيها أهله .

كذلك انتشرت الفنادق التى يمارس فيها الرجال مع النساء الخراجيرات وفيهن ورد هذان المثلان(٩٠٦):

«الجبرت الخرجير بصاكل»

«فندق بن راغو : نصارى ويهود ومسلمين أن لطاف»

وكان لشيوع الدعارة والزنا أن جاءت بعض الأمثال لتسخر من الرجال الذين لايشبعون من الخبز وليس لهم مال ولامنزل ومع ذلك يتتبعون النساء .

كذلك وردت أمثال تنهى عن الزنا يقول المثل(٩٠٧):

٩٠١- نفس المرجع : ص٢٠ .

٩٠٢- نورة التويجرى : مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام لابن سهل : ص٤٢٩ ، ص٤٣٠ «شورى فى نفى فمل» .

٩٠٣- نورة التويجرى: المرجع السابق : ص٧٠ .

٩٠٤- الونشريشى : المعيار المغرب: جـ٤ : ص٥٧ .

٩٠٥- ابن بسام : الذخيرة : ١ - ٤ : ص١٩٠ .

٩٠٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٢٢٨ (مثل ابن عاصم رقم ٢٤٤) و (مثل رقم١٧٧٠) .

٩٠٧- المرجع السابق : ص٢٢٧ مثل رقم ١٠٣٠ ، ١٣٧٥ .

«لاتسرق مع من سرق ولاتزن مع من زنا»

كذلك يقول[٩٠٨] المثل الأندلسى فى أولاد الزنا

«جواب أولاد الزنا السكوت»

ويقول أيضاً[٩٠٩] :

«لولا كلام الناس كان يمشى الذيب فى السوق»[٩١٠].

والخلاصة أن المجتمع الأندلسى لم يخرج عن ما أكده ابن خلدون أن مفاسد الأخلاق تؤدى حتمًا إلى تداعى الدول وانهيار الأمم فكان لانهيار القيم الأخلاقية أثر فى زوال ملك المسلمين فى الأندلس .

٩٠٨- نفس المرجع : نفس الصفحة (مثل رقم ٢٠٢٣) .

٩٠٩- نفس المرجع : ص١٣١ مثل رقم (٧٩١) .

٩١٠- نفس المرجع : ص١٣٢ : (مثل رقم٩٢١٤) .



المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

ابن سهل : أبو الأصبغ عيسى (ت٤٦٨هـ)

- الأحكام الكبرى مخطوط .

ثانيًا : المصادر المطبوعة:

ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) (ت ٦٥٨هـ) .

- الحلة السيراء : تحقيق حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣ .
- التكملة لكتاب الصلة جـ١ نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة والمثنى ببغداد سنة ١٩٥٦م .
- الجزء الخامس والعاشر من مجموعة المكتبة الأندلسية .
- المقتضب من تحفة القادم : تحقيق إبراهيم الإبيارى المطبعة الأميرية: القاهرة سنة ١٩٥٧ .

ابن أبى أصيبعة : (موفق الدين أحمد بن القاسم) (ت . سنة ٦٦٩هـ) .

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : تحقيق نزار رضا بيروت سنة ١٩٥٦ .

ابن الأثير : (على بن أحمد بن أبى الكرم) (ت ٦٣٠) .

- الكامل فى التاريخ القاهرة ١٣٥٣هـ، بيروت سنة ١٩٦٧ .

ابن أبى دينار القيروانى :

- المؤنس فى أفريقية وتونس طبعة تونس، ١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م .

ابن أبى زرع : (أبو الحسن على بن عبدالله).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس طبعة دار المنصور الرباط سنة ١٩٧٢ .

الأعمى التطيلى :

- ديوان الأعمى التطيلى ، تحقيق إحسان عباس : بيروت ١٩٦٣ .

الأدفوى :

- الطالع السعيد : تحقيق سعد محمد حسن الدار المصرية، للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م، تحقيق ابراهيم الإبيارى، دار المعارف فى مصر.

الإدريسى : (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف) (ت٥٥٨هـ) .

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس المعروف بنزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، طبعة دار عالم الكتب : سنة ١٩٨٩ وطبعة دوزى R. Dozy ودى جوجه De Goje ليدن ١٨٦٦ .

ابن بطوطة : (محمد بن عبدالله اللواتى الطنجى)

- الرحلة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار ترجمه وكتب حواشيه طلال حرب : دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام) (ت٩٤٢هـ) .

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة.

تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧١ .

الجزء الأول المجلد الأول، القاهرة١٩٣٩ .

الجزء الأول القسم الثانى القاهرة ١٩٤٢ .

والجزء الرابع القسم الأول القاهرة ١٩٤٥ .

ابن بسام : (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب ت فى القرن التاسع الهجرى) .

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة دار المعارف بغداد سنة ١٩٦٨م .

ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن عبدالملك) (ت٥٧٨هـ) .

- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: القاهرة سنة١٩٦٦م .

البكرى : (أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز البكرى) (ت٤٨٧هـ)

- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب نشر دى سلان ١٩٩١م، ومكتبة المثنى بغداد.

ابن بلقين (عبدالله) .

- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة نشره ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ م باريس ، طبعة الرباط دار المنصور سنة ١٩٧١ .

التادلى: (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن) .

- التشوف إلى رجال التصوف نشره وصححه أدولف فور ١٩٥٨ الرباط .

ابن جلجل : (أبو داود سليمان بن حسان) (ت أواخر القرن الرابع الهجرى) .

- طبقات الأطباء والحكماء تحقيق عبد السلام هارون القاهرة سنة ١٩٧١م ، جـ١ ، جـ٢ ، تحقيق ليفى بروفنسال : دار المعارف سنة ١٩٤٨ القاهرة.

- رسالة فى فضل الأندلس : ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس ، تحقيق صلاح المنجد بيروت سنة ١٩٦٨ .

- رسائل ابن حزم : جـ١ تحقيق إحسان عباس بيروت ١٤٠١ هـ .

- طوق الحمامة فى الإلفة والألاف : تحقيق الطاهر أحمد مكى الطبعة الخامسة ١٩٩٣ . دار المعارف .

الحميدى : (أبو عبد محمد بن أبى نصر) (ت ٤٨٨) .

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٦م .

الحميرى : (أبو عبدالله محمد بن عبد الله) (ت٨٦٦) .

- الروض المعطار فى خبر الأقطار حققه إحسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٥ .

صفة جزيرة الأندلس مأخوذة من الروض المعطار : تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة سنة ١٩٣٧ .

ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن على) (ت٣٦٧هـ) .

- صورة الأرض ، نشر مكتبة الحياة : بيروت سنة ١٩٧٩ .

ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى (ت٤٦٩) .

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس تحقيق ملشور أنطونية باريس سنة ١٩٣٧م .

- المقتبس جـ٥ ، تحقيق شالميتا وآخرون مدريد سنة ١٩٧٩ .

- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس . تحقيق عبد الرحمن الحجى بيروت سنة ١٩٦٥ .

ابن خاقان : (الفتح بن خاقان) (ت٥٢٩) .

- قلائد العقيان فى محاسن الأعيان ، مصور عن طبعة باريس المكتبة العتيقة تونس .

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس : القسطنطينية ١٣٠٢هـ وتحقيق على شوابكة، دار عمار مؤسسة الرسالة : ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

الخشنى : (أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشنى) (ت٣٦١) .

- قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، نشره عزت العطار الحسنى القاهرة سنة١٩٥٢ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) .

- المقدمة طبعة بيروت .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر بيروت سنة ١٩٦٥، طبعة بولاق. بيروت سنة ١٩٧١ .

ابن الخطيب : (لسان الدين ابن الخطيب المسلمانى) (ت٧٧٦)

- الإحاطة فى أخبار غرناطة ٤ أجزاء تحقيق محمد عبدالله عنان القاهرة سنة ١٩٣٧ .

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال بيروت سنة ١٩٦٥ .

- أعمال الأعلام القسم الثالث ، تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى: تحت عنوان تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ .

- نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب تحقيق أحمد مختار العبادى دار الكاتب العربى .

- ديوان ابن الخطيب : تحقيق محمد مفتاح .

ابن خفاجة : (الديوان) تحقيق سيد غازى منشأة دار المعارف الإسكندرية الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ .

الزبيدى : أبو بكر الزبيدى الأندلسى (ت٣٧٩) .

- طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : دار المعارف مصر سنة ١٩٧٣ .

الزجالى : (عبدالله بن أحمد الزجالى) (ت٦٩٤هـ) .

- أمثال العوام فى الأندلس : تحقيق محمد بن شريفة المعروفة باسم أمثال أبى يحيى الزجالى : رسالة ماجستير . غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٨م .

ابن زيدون :

- ديوان ابن زيدون : شرح وتحقيق على عبد العظيم القاهرة سنة ١٩٠٧ .

ابن سعيد : (المغربى الأندلسى) (ت ٦٧٣هـ) .

- المغرب فى حلى المغرب جزءان تحقيق شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٦٤ .

- المقصف فى أخبار الطرف القاهرة ١٩٨٣ تحقيق سيد حنفى .

- الغصون اليانعة : تحقيق إبراهيم الإبيارى دار المعارف مصر .

ابن سعيد الصفاقسى :

- نزهة الأنظار تونس ١٣٣١هـ .

ابن سهل : (أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبدالله الأموى) .

- مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام السفر الأول والثانى: تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجرى رسالة ماجستير مقدمة كلية الآداب جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠١هـ مخطوط رقم (٣١٦) .

- وثائق فى أحكام الجنائى فى الأندلس مستخرج من الأحكام الكبرى تحقيق عبد الوهاب خلاف .

السقطى : (أبو عبدالله محمد بن أبى محمد) (ت٦٣١) .

- آداب الحسبة، نشره ليفى بروفنسال باريس سنة ١٣٣١م .

الشقندى : (إسماعيل بن محمد) .

- رسالة فى فضل الأندلس وأهلها ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس تحقيق صلاح المنجد بيروت ١٩٦٨م .

صاعد : (ابن أحمد بن صاعد الأندلسى) (ت٤٦٢هـ) .

- طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشى لويس شيخو اليسوعى بيروت سنة ١٩١٢م .

ابن صاحب الصلاة : (عبد الملك) .

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين .

- السفر الثانى : تحقيق عبد الهادي التازى بيروت سنة ، ١٩٦٤ والجمهورية العراقية . سنة ١٩٧٩ .

الضبى : (أحمد بن يحيى بن عميرة) (ت ٥٥٩هـ) .

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٧م .

الطرطوشى : (أبو بكر محمد بن الوليد) (ت ٥٢٠هـ) .

- الحوادث والبدع . تحقيق محمد الطالبى ، تونس سنة ١٩٥٩ .

ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد) (ت٣٢٨هـ) .

- العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان : طبعة القاهرة بدون تاريخ .

ابن عبدون : (محمد بن أحمد التجيبى)

فى القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة) تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة سنة ١٩٥٥م .

ابن عذارى : (محمد المراكشى) (ت أواخر القرن السابع الهجرى) .

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب جـ٢ جـ٣ تحقيق ليفى بروفنسال : . دار الثقافة بيروت .

ابن عبد الرؤوف : (أحمد بن عبد الله) .

- آداب الحسبة والمحتسب (ضمن ثلاث رسائل فى الحسبة) تحقيق ليفى بروفنسال : مطبعة المعهد العلمى للدراسات الشرقية القاهرة : سنة ١٩٥٥ .

العذرى : (أحمد بن عمر) (ت ٤٧٨هـ) .

- نصوص عن الأندلس ضمن كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان .

- والمسالك إلى جميع الممالك تحقيق عبد العزيز الأهوانى مدريد سنة ١٩٦٥م .

ابن عربى : (محى الدين ابن عربى) (ت ٦٣٨) .

- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار فى الأدبيات والنوادر والأخبار القاهرة سنة ١٩٠٦ .

ابن عمر : (يحيى بن عمر) (ت ٢٨٩) .

- كتاب أحكام السوق تحقيق محمود على مكى.

- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٦م .

العمرى : (شهاب الدين أحمد بن يحيى) (ت٧٤٨) .

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ١ تحقيق أحمد زكى باشا القاهرة ١٩٢٤م .

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس : تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب تونس .

عبد الملك المراكشى : (أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك) (ت٧٠٣) .

- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة السفر الخامس تحقيق إحسان عباس دار الثقافة سنة ١٩٦٥ .

عريب ابن سعيد القرطبى :

- تقويم قرطبة : نشر مع ترجمة فرنسية دوزى : ليدن برايل : الطبعة الجديدة سنة ١٩٦١ .

ابن العطار القرطبى :

- الوثائق والسجلات : نشر بدروشالميتا وكورنيطى : مدريد ١٩٨٣م .

ابن عبد البر :

- بهجة المجالس : تحقيق محمد مرسى الخولى طبعة دار الكاتب العربى جـ١ .

ابن غالب : (محمد بن أيوب) (ت فى القرن السادس الهجرى) .

- قطعة من كتاب فرحة الأنفس تحقيق لطفى عبد البديع مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٥٥ وطبعة المحقق سنة ١٩٥٦ .

ابن الفرضى : (أبو الوليد عبدالله بن محمد) (ت٤٠٣) .

- تاريخ علماء الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٦م .

القلقشندى : (أبو العباس أحمد) (ت٨٢١هـ) .

- صبح الأعشى فى صناعة الانشاء القاهرة سنة ١٩١٣م جـ٥ .

ابن القوطية : (محمد بن عمر بن عبد العزيز) (ت٣٦٧) هـ .

- تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع بيروت سنة ١٩٧٥م ، إبراهيم الإبيارى الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ وطبعة رابير مدريد سنة ١٩٧١م .

ابن القاضى : (أحمد بن محمد بن أحمد بن دره) .

- الحجال فى غرة أسماء الرجال جزءان نشر علوس الرباط سنة ١٩٣٤م .

ابن القاضى : (محمد بن أحمد) .

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس .

ابن الكردبوس : (أبو مروان عبد الملك) (ت٦٨١هـ) .

- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط .

- نصان جديدان تحقيق أحمد مختار العبادى مدريد سنة ١٩٧١م .

المراكشى : (عبد الواحد بن على) (ت فى القرن السابع الهجرى).

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العرب العلمى ١٩٤٩ ، ١٩٦٥ .

المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين) (ت٣٤٦) .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محى الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٦٥ .

المقرى : (شهاب الدين أحمد بن محمد) (ت١٠٤١هـ) .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٤٩م، تحقيق إحسان عباس بيروت سنة ١٩٦٨، تحقيق يوسف البقاعى سنة ١٩٨٢م .

مجهول :

- أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما تحقيق ونشر لافونتى القنطرة مدريدة سنة ١٨٦٦م .

مجهول :

- كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس نشره أويثى ميراندا مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٩ ، ١٠، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ .

مجهول :

- مدونة من عصر عبد الرحمن الثالث الناصر، نشر ليفى بروفنسال وغرية غومس مدريد سنة ١٩٥٠ .

مجهول : (من أهل القرن الثامن الهجرى) .

- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة دار الرشاد الدار البيضاء : المغرب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩-١٩٩ .

مجهول : من أهل القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى.

- ذكر بلاد الأندلس : تحقيق لويس مولينا : مدريد سنة ١٩٨٣ م المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميجل الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميجل آسيد .

مجهول :

- نخبة تاريخية لأخبار البربر فى القرون الوسطى المعروفة باسم مفاخر البربر جمعها ونشرها ليفى بروفنسال سنة ١٩٣٢م .

مجهول :

- الاستبصار فى عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨ .

مجهول :

- ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم تحقيق عبد القادر زمامة مجلة البحث العلمى الرباط.

أبو المحاسن : (جمال الدين ابن تغرى بردى) .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية سنة١٩٥٦ .

ابن ماجة المحتسب :

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة .

النباهى : (أبو الحسن عبدالله بن الحسين) (ت . ٨١٤هـ)

- تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا.

النويرى : (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى)

- نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ٢٢ نشر جسبار رامير غرناطة سنة ١٩١٦م-١٩١٧ .

الونشريشى : (أبو العباس أحمد)

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس مطبعة الشافعية بدون تاريخ فاس .

ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبدالله) (ت٦٢٦) .

- معجم البلدان : طبع دار صادر بيروت ١٩٧٥ .

يعقوب زكى:

- ديوان الكاتب العربى . القاهرة بدون تاريخ .

المراجع العربية :

- إبراهيم القادرى بوتشيش :
- أثر الأزمة الأخلاقية فى سقوط الإسلام بالأندلس .

أحمد إبراهيم الشعراوى :

- الأمويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة سنة ١٩٦٦م .

أنيس النصولى :

- الدولة الأموية فى قرطبة بغداد سنة ١٩٢٦ .

إحسان عباس :

- تاريخ الأدب الأندلسى - (عصر سيادة قرطبة) بيروت ١٩٦٩ .
- دراسات فى الأدب الأندلسى بالاشتراك مع وداد القاضى وألبير مطلق، الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس ١٩٧٨ .
- أخبار الغناء والمغنيين فى الأندلس : مجلة الأبحاث جـ١ بيروت سنة ١٩٦٨ .

أحمد أمين :

- ظهر الإسلام جـ٣ بيروت سنة ١٩٦٩ .

أحمد بدر :

تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى دمشق سنة ١٩٧٤ .

- دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دمشق سنة ١٩٧٢ .

أحمد مختار العبادى :

دراسات فى تاريخ المغرب ، الإسكندرية ١٩٦٨م .

الصقالبة فى أرض أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية : مدريد سنة ١٩٥٣ .

- الأعياد فى مملكة غرناطة مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد المجلد الخامس عشر سنة ١٩٧٠ .

فى تاريخ المغرب والأندلس طبعة ١٩٧٨ .

- الإسلام فى أرض الأندلس مجلة عالم الفكر الكويت سنة ١٩٧٩م .

أحمد هيكل :

الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة ، القاهرة سنة ١٩٧٩ .

أمبرسيو هويثى ميراندا :

المطبخ الأسبانى خلال العصر الموحدى مجلة معهد الدراسات الإسلامية .

مدريد المجلد الخامس عشر سنة ١٩٥٧ .

بروفنسال ليفى :

- محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ترجمة عبد الهادى شعيرة مطبوعات جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥١ .

جودة الركابى :

- فى الأدب الأندلسى القاهرة سنة ١٩٧٥ .

حسن على حسن :

- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين مكتبة الخانجى مصر ١٩٨٠م .

حسين مؤنس :

- فجر الأندلس القاهرة ١٩٥٠م .

- معالم تاريخ المغرب والأندلس ١٩٨٠م .

- ثورات البحر فى إفريقية حولية كلية الآداب عدد ١٠ سنة ١٩٤٨ .

- حكمة على الأوسى : فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة مكتبة الخانجى القاهرة .

حمدى عبد المنعم :

- مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية رسالة دكتوراة غير منشورة آداب الإسكندرية ١٩٨٤ ..

حمدى عبد المنعم حسين :

- أضواء : حول ثورات طليطلة . مؤسسة شباب الجامعة مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية رسالة دكتوراه غير منشورة آداب الاسكندرية ١٩٨٤ .

رجب عبد الحليم :

- دولة بنو حمود فى مالقة بالأندلس رسالة ماجستير غير منشورة معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ .

سامى مكى العانى :

- دراسات فى الأدب الأندلسى ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره سنة ١٩٧٨ .

سحر سالم :

- أزياء الرجال فى الأندلس

سعد البشرى :

- الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف بالأندلس . نشر مؤسسة الملك فيصل بالرياض ١٤١٤هـ .

سعد عثمان :

- المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى .

سعيد عبد الفتاح عاشور :

- الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية مجلة عالم الفكر ، الكويت سنة ١٩٨٠ .

السيد عبد العزيز سالم : (رسالة دكتوراه غير منشورة الرياض) .

- قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس . بيروت سنة ١٩٧٢ .

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية. بيروت سنة ١٩٦٩ .

- مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧٦- ١٩٧٨ المجلد

التاسع عشر .

- المساجد والقصور في الأندلس دار المعارف سنة ١٩٥٨ .

- صور من المجتمع الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج .

- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة مؤسسة شباب الجامعة .

شكيب أرسلان :

- تاريخ غزوات العرب .

شوقى ضيف :

- بلاغة العرب في الأندلس .

عبد الرحمن الحجى :

- الكتب والمكتبات فى الأندلس بحث نشر فى مجلة الدراسات الإسلامية بغداد .

صلاح خالص :

- أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى طبعة بيروت .

عبد العزيز الأهوانى :

- على هامش ديوان ابن قزمان . مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧٦- سنة ١٩٧٨ .

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة جـ٢ مجلة معهد المخطوطات سنة ١٩٥٧ .

عبد المجيد عابدين :

- الشعر الأندلسى دراسة تحليلية نقدية . دار الفكر بيروت الدار السودانية مكتبة الخرطوم يناير ١٩٧٢ .

عبد الحليم عويس :

- ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، دار الاعتصام ، القاهرة بدون تاريخ .

عبد الواحد طه زنون :

- استقرارالقبائل العربية فى الأندلس مجلة أوراق يصدرها المعهد الأسبانى.

عبد الكريم العوانى :

- القرب للثقافة مدريد العدد الرابع ١٩٨١ .

- مأساة انهيار الوجود العربى فى الأندلس : الدار البيضاء : ١٩٦٧ .

عز الدين موسى :

- النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى : على حسنى الخربوطلى الشروق ١٩٨٣ .

- العرب فى أوروبا : القاهرة سنة ١٩٦٥ .

على راضى :

- الأندلس والناصر .

فيليب حتى :

- تاريخ العرب مطول جـ٣ بيروت سنة ١٩٥٩ .

كمال السيد أبو مصطفى :

- مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف . دراسة فى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٣ .

لطفى عبد البديع :

- الإسلام فى أسبانيا القاهرة ١٩٦٩ .

محمد بحر عبد المجيد:

- اليهود فى الأندلس القاهرة ١٩٧٠ .

محمد عبد الحميد عيسى :

- تاريخ التعليم فى الأندلس الطبعة الأولى ١٩٨٢ نشر دار الفكر .

محمد عبد الله عنان :

- دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول القسم الأول ، العصر الأول القسم الثانى (عصر الخلافة) .
- عصر ملوك الطوائف . نشر مكتبة الخانجى .
- تراجم أندلسية وشرقية القاهرة ١٩٧٠ .
- الآثار الأندلسية الباقية القاهرة ١٩٦١ .

محمد عبد العزيز مرزوق :

- الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس بيروت بدون تاريخ .

محمد عبد المنعم خفاجة :

قصة الأدب فى الأندلس جـ١ بيروت ١٩٦٢ .

محمد مبروك نافع :

- تاريخ العرب جـ٤ القاهرة ١٩٤٩ .

محمد بحر عبد المجيد :

اليهود فى الأندلس القاهرة ١٩٧٠ .

نعمة العزاوى :

أبو بكر النبيدى النحوى وآثاره فى النحو واللغة النجف ١٩٧٥ .

الفاسى : (محمد)

تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البينة : السنة الأولى : العدد الثالث : الرباط ١٩٦٢ م - ١٣٨٢هـ.

ثالثًا : المراجع المعربة :

آدم متز :

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة عبد الهادى أبو ريدة : بيروت ١٩٦٧ .

أنخل جانثالث بالنثيا :

- تاريخ الفكر الأندلسي: ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥ .

أ . س . ترتون :

- أهل الذمة فى الإسلام : ترجمة حسن حبشى القاهرة ١٩٤٩ .

خوليان رايبرا :

- التربية الإسلامية فى الأندلس ترجمة الطاهر أحمد مكى القاهرة بدون تاريخ .
- المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الإسلامية ترجمة جمال محرز .
- مجلة معهد المخطوطات العربية جـ١ : ١٩٥٩ .

دوزى :

- تاريخ مسلمى أسبانيا : جـ١ القاهرة ترجمة حسن مبشر ١٩٦٣ .

فيليب حتى :

- تاريخ العرب : ترجمة مبروك نافع : الطبعة الثالثة ١٩٥٢ .

هنرى بيرس :

- الشعر الأندلسى فى عصر ملوك الطوائف ترجمة الطاهر أحمد مكى دار المعارف ١٩٨٨ .

غوستاف لوبون :

- حضارة العرب : ترجمة عادل زعيتر بيروت ١٩٧٩ .

كارل بروكلمان: تاريخ الآداب العربية - دار المعارف .

ليفى بروفنسال :

- الحضارة العربية فى أسبانيا ترجمة الطاهر مكى القاهرة ١٩٧٩ .
- سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها . ترجمة عبد الهادى شعيرة مطبوعات جامعة الإسكندرية ١٩٥١ .

رابعًا : المراجع الأجنبية :

Abd el - Aziz Salem :

- Centras de la Ceramica Revista : Auraq, Madrid 1984 .

Abaddy :

- Ahamed Mujtar Al Abaddy .
- El Reino de Granada en la Epoca de Muhammad . Madrid 1973.

Codera (Francisco) :

- Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en Espana, (Zar-ogoza 1899) .

Dozy :

- Histoire de los Musulmanes de Espana.
- Diconniare detaille des noms des vetements, chez les Arabes Spanish Islam .

Goitein :

- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, Brill :1968.

Henrei Peres , la Poesie : Andalous Paris : 1953 .

Jose Ramon Melide Catalogo Manumental de Espana Provincia de Badojoz : L . I Madrid : 1925 .

Levi Proencal :

- Histoire de L'Espagan Musulmamgne .
- L'Espgne Musulmane au xe sicle, Paris: 1932 .

Simonet :

- Histoire de los Mozarabes de Espana . Madrid 1903 .

S . P . Scott :

- History of the Moorish Empire.
- Una Cronica Anonima de Abd Al Rahaman III al- Nassir . Madrid Granada , 1950 .

الفهرس

رقم الإيداع ٩٨/١١١٥٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 5487 - 94 - 3

دار روتابرينت للطباعة ت: ٣٥٥٢٣٦٢ - ٣٥٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق